(١٤)

المرأة

في سيرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام

(قراءة أدبية)

تأليف

الدكتورة بيان العريّض

إشراف ومراجعة وتخريج

مركز الإمام أمير المؤمنين للدراسات والبحوث التخصصية

٢١٨ /٥

ع ٤٩٦ العريض، بيان

المرأة في سيرة الإمام أمير المؤمنين(ع)/ بيان العريض- ط١- النجف الاشرف: مركز الامام امير المؤمنين (ع)، ٢٠٢٣.

٢٥٠ص؛٢٤سم

ردمك: ISBN: 978-9922-700-29-8

١. البلاغة العربية. ٢. المعاني، علم. ٣- علي بن أبي طالب(ع)- إمام
أ- الباججي، هاشم محمد (مقدم). ب- العنوان

م . و.
٧٩٥ / ٢٠٢٣

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٧٩٥) لسنة ٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

هوية الكتاب

* **اسم الكتاب**: المرأة في سيرة الإمام علي (عليه السلام) – قراءة أدبية

* **تأليف**: الدكتورة بيان العريّض

* **إشراف ومراجعة وتنقيح**: مركز الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للدراسات والبحوث التخصصية

* التدقيق اللغوي : أ.م.د. خالد كاظم حميدي

* **الإخراج الفني**: نذير هندي الكوفي

* **المطبعة**: مطبعة الضياء – النجف الأشرف

* **الناشر**: مركز الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للدراسات والبحوث التخصصية – النجف الأشرف، ١٤٤٤هـ -٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ
مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ
وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾

صدق الله العلي العظيم

(سورة النساء: ١٢٤)

الإهداء

إلى ...

سيد الأكوان ونفسه .. علي

إلى ...

سيدة النساء وبعلها .. علي

إلى ...

سيدي شباب أهل الجنة وأبيهما .. علي

إلى ...

والدي ووالدتي وحبهما .. علي

سيدي ومولاي، لا تحرمني من النطق حتى الممات، وبعد الممات: «إمامي علي بن أبي طالب»

الباحثة

ابنتكم الفقيرة لله

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

مركز الإمام أمير المؤمنين عليه السلام للدراسات والبحوث التخصصية

الحمد لله رب العالمين حمدا دائما سرمداً أبداً ، وصلى الله على المبعوث رحمة للعالمين أبي القاسم محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

لقد أظهر الاسلام دور المرأة الفاعل في المجتمع ولاسيما أنها اللبنة الأساسية في المجتمع والشريك المهم في تكوين الأسرة وتربية الأطفال وصيانة حقوقهم، فالمرأة في الحقيقة هي نصف الإنسانية اللطيف، والضعيف، وكما يقال انها نصف المجتمع انطلاقًا من أن المجتمع مؤلَّف من الرجال والنساء.

والمرأة في التاريخ ما قبل الإسلام ولاسيّما في العصر الجاهلي عند العرب كانت مضطهدة بشكل عجيب، بحيث أنهم كانوا يدفنونها حيَّة عند

ولادتها، أو بعد أن تكبر وهي العادة الاجتماعية التي استنكرها الله ـ سبحانه ـ وأنزل فيها آيات بينات كقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾(التكوير: ٨) ، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾(النحل: ٥٨)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾(الزخرف: ١٧).

لكن الإسلام كرّم المرأة بأعلى مراتب التكريم فأنصفها، وأعطاها حقوقها وبوَّأها مكانتها في البيت أميرةً، وفي المجتمع إنسانيةً ومربيةً لها كل الصلاحية والشخصية الاعتبارية، ولا يوجد دستور ولا قانون من قوانين الأرض الوضعية أنصف المرأة بحق كما فعل الدِّين الإسلامي الحنيف، وهذه حقيقة عاشها فكراً وممارسة الامام أمير المؤمنين الإمام علي ابن أبي طالب سلام الله عليه فتى الإسلام ونفس النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، والبحث عن المرأة كإنسانة، وكزوجة، وكبنت، وأخت، وحفيدة وغيرها من المراتب له جماليته وواقعيته في سيرة وحياة ومنهج الإمام علي عليه السلام، وهو سياحة وسباحة في بحر عميق من الرُّؤى والكلمات التي يمكن أن نستفيدها من أمير البلاغة والبيان ونهجه الخالد ..

فالمرأة ريحانة، وزهرة، ووردة هذه الدنيا، وليست بقَهْرَمانة ، كما وصفها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ، فهي منبع الحب والعطف والحنان،

لزوجها وأبنائها وعائلتها ، والإمام منذ ولادته والى شهادته كان للمرأة دور كبير في سيرته وحياته.. فهي الأم والراعية والمربية والأخت والزوجة والبنت...، وكل واحدة من هذه الصفات كان لها دور في حياة الإمام وسيرته، وهذا البحث للدكتورة إيمان العريض هو محاولة لاستعراض دور المرأة في حياة الإمام سلام الله عليه، وقد كتبته بصورة أدبية علمية جميلة ، فهي امرأة باحثة لها شعور وعواطف كباقي النساء فتمثلت هذه العواطف والمشاعر في هذا البحث عن طريق قلمها المعطاء.

وبعد مراجعة المجلس العلمي الاستشاري في المركز لهذا البحث، وتقييمه عن طريق بعض الملاحظات الفنية والعلمية التي أبداها ، وتغيير اسم البحث ، عمل المركز على مراجعة الكتاب وتنقيحه وتدقيقه لغويا وضبط المصادر ، ومن ثم إخراجه وطبعه ، ليكون في متناول القارئ الكريم ، لنشر فكر وتراث الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ونهجه الخالد ، والله من وراء القصد.

النجف الاشرف
جمادى الاخرة ١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

مركز الامام أمير المؤمنين عليه السلام
للدراسات والبحوث التخصصية

مدخل

الآن ... يا بيان !؟

أي فؤادٍ لا يهوى أبا الحسن ؟

وأي فكرٍ لا يشغله ، فكر أبي الحسن ؟

فتحتُ عينيّ في مدينة داحي الباب ، فتشربت نسائم حب علي التي تملأ الآفاق ، لم ينشغل العقل منّي بالتبيان والتحليل .. من هو علي بن أبي طالب ؟ من هو أمير المؤمنين ؟

أين كان منّي ، وجود علي ورحابه ؟ أين كُنتُ من رحاب علي ووجوده ؟

لم تؤرقني التساؤلات ، ولم تأخذ بتلابيب ذهني المتناقضات ، فمن الإطلالة الأولى على الحياة ، كان (أبو الحسنين) حقيقة الهوى النجفي ، ماثلة نصب عيني ، وكذا يطرق سمعي ، في كل آن ، قسم الكبار والصغار ، نسوة ورجالاً، صبية وأخياراً، قَسَمٌ لا يفارق الشفاه: وحق (داحي الباب). و(الصميدة علي)، يمرّ القسمُ جميل الوقع دائم الترديد، كأنه تحية الصباح والمساء .

ولو قيض لك أنك ولدتَ مثلي في مدينة علي ، فستجد نفسك بين أمرين لا ثالث لهما – وهذا ما كنت عليه أنا – تعدو بك الأيام وحب أمير المؤمنين يتغلغل فيك ويهيمن على روحك ، فلا مفرّ من حكومة عشقه وتبتله ، وإن كنت ستبتلي بحالين ، في أحدهما : يقترب منك الإمام علي حتى يصير واحداً من أهلك أو صحبك أو نفسك ؟! ثم في ذات اللحظة ، وفي حال مغايرة يرتحل عنك الإمام إلى الآفاق البعيدة ويسمو بظله ، كالنجم الثاقب ، فإذا هو بعيد كبعد الإله والسماء السابعة عن الأرض وأهلها ، وما حوته من مزايا دنيويّة .

وما بين القرب والبعد ينغرس حبّ علي في الذات المؤمنة .. من دون وعي أو إشعار ، كالغرس الطيب في الطين اللازب ، فتحسبه هينـًا هو حبّ أبي الحسن لمن كتب له الباري التبعة والانتهاج لسيد هذا الغرس ، وهو أصعب من الأمر المستصعب لمن عاند وكابر وأبى الاقتداء.

فمنذ خمسين عامـًا وأنا استكشف عوالم حبّ الإمام الرحيبة ، وشغفي اللامتناهي به ، ارتحلت مع الكتب لتتبع السيرة من المهد إلى اللحد ، مع سبق حب وولاء وانتماء ، فقد كان علي ملجئي في اشتداد الخطب ، والانزواء عن الخلق في لحظات الكد والنصب .

أمَّا نهج بلاغة الإمام ، فكان مرجعي ومسكني المستوحد ، الذي أدلف إليه في كلّ رمضان بعد أن أزيح عن دربي كل القراءات والانشغالات ، عاماً من بعد عام .

في البدء ، سوف يتراءى علي بن أبي طالب لك من بين السطور ، وفيض الكلمات ، عصياً على الفهم ، عصياً على الاستيعاب ..، كأنّه فكرة مطلقة مجردة لا تمت لعوالمنا بصلة ، وما أن تعاود الكرّة تلو الكرّة، حتى تعثر على مخلوق إلهي السمات ، ناصع الخلق والخُلق ، كأنه قُدّ من ضياء وسمو ، يُنير لك بنهجه آفاق يومك ومعادك ، فتنتبه مستغرباً أنك لم تعثر عليه فحسب ، بل عثرت على ذاتك أو بعض ذاتك التي فطرك الخالق عليها !!

وكم راودتني نفسي مراراً أن اغترف من هذا اليم ، فأحجم خشية الغرق ، فأخذت اقترب من ساحل أبي تراب رويداً رويداً ، فأكتب شذرات عن صنو الإمام ، زوجه وبضعة النبي وأثيرته مولاتي فاطمة الزهراء عليها السلام في سلسلة مقالات (قبس من نور الزهراء) ، أو أدوّن بعض صفحات لكتاب عن وليدة الإمامة (سيدة الأحزان) مولاتي زينب الكبرى عليها وعلى آبائها الكرام السلام ..، وكم عاودني الحنين لطرق باب داحي الباب ، لجملة أسباب وأسباب .

أولها : إنَّ العمر قد انتصف واقترب من الرحيل ، ولا أملك ما اتقرّب به إلى الله ورسوله إلاّ بضاعة مزجاة قد عزمت على تهيئتها منذ سنين ، وآن للعد التنازلي أن يبدأ ليعدّ ما تبقى من السنين .

وثانيها : لطالما سعيت في قراءاتي عن الإمام علي عليه السلام أن أقترب من جانب إنساني لم يتطرق إليه الدارسون كثيراً ، وهو أنسنة الإمام ، واستكشاف علاقته مع أقرب النساء إليه ، كإنسان يتعامل مع مخلوقين من أشباهه ، وعلى وجه التحديد علاقة الإمام بأهله: أسرته الأولى (والدته ووالده وإخوانه وأخواته ..) ، وكذلك مع أهل بيته (زوجاته وأبنائه وبناته ..) ؛ لأنَّ إظهار هذه المنطقة من دائرة حركة الإمام ستكون خارطة طريق حياتية لكل من يجاهد للاقتداء به وبالأئمة عليهم السلام .

وثالثها : رفع الضرر والإبهام عن نفسي والآخرين في أمر لطالما واجهتني به الألسن ، وهو قول الإمام عن النساء بأنهن ناقصات عقل ومال ودين ، وما إلى ذلك من أقوال للإمام بحق المرأة أو بما ينسب إليه مما يشينها وينعتها بأسوأ الصفات ، فكان لابدَّ لي من سبر غور هذه الأقوال ، والتحقق منها ، وتقصي مسبباتها ، عن طريق تتبع نهج الإمام الإنساني ، وتعامله الرباني مع الأرامل واليتامى ، وصاحبات الحاجة في مواقف حفلت بها الكتب والمصادر .

رابعها : لقد اتخذت لنفسي الآثمة سبيلاً – أحسبه خيّراً – في تقصي أمر المرأة المسلمة قديماً وحديثاً ، فكان لزاماً عليَّ أن أكتب عن (الإمام والنساء) كباكورة عمل أو كوة أفتحها على عوالم أمير المؤمنين ، وهي العوالم الكثر ، والثرة في عطائها .

وكادت هذه الفرصة واختمارها في ذهني تذهب أدراج الرياح لولا مركز الامام أمير المؤمنين عليه السلام للدراسات والبحوث التخصصية ، فما أن أعتقت نفسي من ربقة الكتابة لعشر سنوات خلت (لنيل شهادتي الماجستير والدكتوراه) ، حتى ألزمت نفسي بالكتابة عن بطل الاسلام الخالد ، وإن عز الوقت وضاق .. وهكذا كان .

لقد هتف بي هاتف التعجيل : الآن .. يا بيان !؟ عليك أن تتقربي إلى بحر الإمامة – ولو بأسطر معدودات – تكشف الغطاء عن فيض حنان ورقة نفس (علي بن أبي طالب عليه السلام) مع النساء المؤمنات اللواتي ما فتئن يلهجن بذكره الحسن ، حتى بعد مماته ، وفي مجلس قاتله وغريمه وحاسده (معاوية) ، ومن ينسى للإمام علي مواقفه الرساليَّة المشهودة في رعاية الأرامل والأيتام ، وفي تجهيز الطعام وإطعامهم وملاطفتهم .

ولو سهوت فلن أسهو عن موقف الإمام من ابنته زينب الكبرى ، عند دفن والدتها الزهراء في الليل الحالك ، ملتفتاً إلى ولده الحسن أن يعود

بأخته إلى الدار ليجنبها تلك اللحظات الأليمة ، حنو وأي حنو ؟!، قد لا يلتفت إليه أبرّ الآباء في ظرف مماثل .. ولكنه أبو الحسن وليس كأيِّ أب .

وأخيراً واجب الشكر والامتنان أمانة تؤدّى لكل من شجع وأعان، وأرفد وأنصح، وسطّر ودوّن، فالمصادر جمّة، والكل يستبق الكل في طلب الحظوة والتبرك ونيل درجة التقرب من سنى وهج الإمام علي ..، وإن كانت كثرة المصادر قد أعيتني، وشتت بعض جهدي في ابتغاء المطلوب.

ففي بعض المصادر يتجلى الإمام أسطورة إنسانية خالدة ، ترتقي إلى مصاف الإعجاز والفرادة حد تغريبها عن طابعها البشري ، وفي بعضها الآخر ينزوي هذا العملاق ليبدو شخصية تاريخية لها ما للآخرين في سرد المؤلف لخصالها ، هذا إن لم يشرك البعض في بعضها ، أو يجرّد الإمام عليـًا منها ، ليسبغها على من يفضله بحسب هواه الشخصي !! لا يعبأ بالروح العظيمة ، ولا بالمثل والقيم الثوابت ، ولا بغرر المواقف والأفعال والأقوال لأمير المؤمنين ، فيصبح مروره التوثيقي للسيرة ، مروراً جامداً سطحيـًا، لا يأخذ من بطل العقيدة والفداء (الإمام – المثال) إلاّ قشوراً لا تصل إلى أطراف عباءةٍ ورداءٍ ارتداه علي ، بل إن بعض الكتابات تسقم روحك وتغلي طبعك السموح ، ولا ترتقي في سردها إلى بعض خصف نعل قنبر .

وللختام أضيف : حرَّرتُ هذا البحث المتواضع بيراعي العاجز رغبةً في نيل حسن المعاد لا المعاش ، وادَّخرته في كلِّ حرف من حروفه للدين لا للدنيا ، فأسأل الله تعالى جل في علاه ، أن يجعله سبب نجاتي ، وحط سيئاتي ، ورفع درجاتي ، ونيلي شفاعة محمد وآل محمد ، إنه سميع مجيب .

وعذراً لكل تقصير ، فهو المستعان ومنه التوفيق .

المؤلف
بغداد ١٥/ شعبان / ١٤٣٣هـ
٥ / تموز / ٢٠١٢م

الفصل الأول

علي والفواطم

أنا ابن الفواطم

منذ بدْء الخليقة أعلن الله سبحانه وتعالى أمام ملائكته : ﴿**إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾[١] ، وكان ذلك الخليفة هو الإنسان الذي تحمَّل أعباء تلك الأمانة التي عرضت على السموات والأرض والجبال ﴿**فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً**﴾[٢] . وكلمة إنسان تعني المرأة والرجل ، من دون التفريق بينهما ، فهي كما الرجل غاية المشروع الإلهي على الأرض[٣].

وظلت المرأة تواكب حركة الرسالات الإلهية ، كما تواكب حركة التاريخ البشري ، فيعرض علينا القرآن الكريم قصص أم موسى وأخته ، ومريم بنت عمران ، وابنتي شعيب ، وزوجتي إبراهيم ، وبنات لوط وامرأته ، وزوجة فرعون ، وغيرهن من النساء . فكان من هذه القصص ، سرد واستذكار وأمثلة لنساء كافرات ومؤمنات لأنبياء ورسل وأولياء صالحين .

---

١ - البقرة : ٣٠ .

٢ - الأحزاب : ٧٢ .

٣ - حسن السعيد ، المرأة المسلمة هموم وتحديات ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بيروت – لبنان ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م ، ص ٨١ .

وهذا ما كان من أمر ذكر نبينا الكريم وأهل بيته في آيات القرآن الكريم ، فقد جسدت هذه الآية الكريمة (وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ) أعمق الدلالات على نقاوة وطهارة الوعاء الذي احتوى النسل الواحد لكلٍّ من نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأخيه الإمام علي عليه السلام .

فقد جاء في الحديث الشريف : (أنا سيد ولد آدم)[١] و((إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة واصطفى من بني كنانة قريشاً واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم)) .

وعن الإمام جعفر بن محمد بن علي عن أبيه محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : ((قسم الله الأرض نصفين فجعلني في خيرهما ، ثم قسم النصف على ثلاثة فكنت في خير ثلث منها ، ثم اختار العرب من الناس . ثم اختار قريشاً من العرب ، ثم اختار بني هاشم من قريش ، ثم اختار بني عبدالمطلب من بني هاشم ، ثم اختارني من بني عبدالمطلب))[٢] .

---

١ – ابن سعد ، الطبقات الكبرى – المجلد الأول ، ج١ ، (السيرة النبوية الشريفة) ، تقديم إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ص ٢٠ .

٢ – المصدر نفسه .

والأحاديث متواترة عن افتخار النبي الأكرم بانتسابه إلى عبد المطلب، إذ سُمع النبي ﷺ يوم حنين يقول :

أنـــا النبـــيّ لا كَـــذِب أنـــا ابـــنُ عبـــدالمطّلب

وجاء عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى : وتقلبك في الساجدين . قال : من نبي إلى نبي ، ومن نبي إلى نبي حتى أخرجك نبيـًا . وهذا ما يؤكد قول رسول الله : ((بُعثت من خير قرون بني آدم قرنـًا فقرنـًا حتى بُعثت من القرن الذي كنت فيه))[١] .

ومع شدّة افتخار النبي بآبائه وأجداده ونسبه إلا أنه لم يغفل الإشارة إلى أمهاته ، حتى أننا نجد إشارات ساطعة الوضوح ، وإن كانت عابرة على طهارة الأمهات المشتركات لكلٍّ من النبي الكريم وأمير المؤمنين ، في أكثر من قول وفي أكثر من خطبة ، بل نُقل عن النبي ﷺ وسلم قوله أنا ابن الفواطم ، أنا ابن العواتك ، وكذلك الإمام علي وحفيده السجاد في إحدى خطبه الشهيرة في الكوفة بعد واقعة الطف .

ولا يتبادر إلى الذهن هنا ، أن هذا الانتساب والافتخار هو انتساب عنصري أو تعصبي جاهلي ويكفي للدلالة على إنسانية النبي وتواضعه

١ – ابن سعد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٥ .

قوله للرجل الذي أخذته الرعدة بين يديه : (هون عليك فإني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد)[١] .

إن حفظ الباري عز وجل لطهارة نسب النبي ووصيه في تقلبه في الساجدين ، نسل من بعد نسل ، يعني بالضرورة العناية به وحفظه من الجهتين ، الأب والأم ، فمن غير المنطقي أن تتولاه العناية من جهة الآباء والأجداد ، وتهمله من جهة الأمهات والجدات .. وها هي كتب السير تزخر بالشواهد على نقاء سريرة الأمهات وطهارة نبعهن ، وحفظ الخالق لهن من كل عيب أو شائنة والعياذ بالله .

أسهبت المصادر والمراجع وكتب السير في ذكر الفواطم والعواتك اللاتي ولدن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع التأكيد على أنَّ العاتكة في كلام العرب تعني المرأة الطاهرة ، أمَّا الفواطم اللائي ولدن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فخمس : قرشية وقيسيتان ويمانيتان[٢] .

فالقرشية هي أم أبيه عبدالله بن عبدالمطلب (فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم المخزومية) .

---

١ – ابن سعد ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٣ .

٢ – ابن الأثير ، الكامل في التاريخ –ج١ ، تاريخ ما قبل الهجرة النبوية الشريفة ، دار التوفيقية للطباعة ، القاهرة – مصر ، ص ٥٢٩ ؛ ابن سعد ، م. س ، ص ٦١ .

وأمَّا القيسيتان فأمّ عمر بن عائد (فاطمة بنت عبدالله بن رزاح بن ربيعة بن حجوش بن معاوية بن بكر بن هوازن) وأمها (فاطمة بنت الحارث بن بهثة بن سليم بن منصور) .

وأمَّا الأمهات الفواطم من اليمانيتين فأم قصي بن كلاب (فاطمة بنت سعد بن سيل بن أزد شنواة) ، وأم حُيي بنت حُليل بن حبشية بن كعب بن سلول ، وهي أم ولد قصي (فاطمة بنت نصر بن عوف بن عمرو بن ربيعة بن حارثة الخزاعية)[١] .

وكذلك ولدتِ الفواطم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، فأمّه (فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف) وجدته لأمه (فاطمة بنت هرم بن رواحة بن حجر بن عبد معيص بن عامر بن لوي)[٢] .

١- ابن الأثير ، مصدر سبق ذكره، ج١ ، ص ٥٢٩ .

٢- ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة –ج١ ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة طريق المعرفة – دار الكتاب العربي ، النجف –بغداد ، ط١ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، ص ٤٠ ؛ علي محمد علي دخيل ، فاطمة بنت أسد رضي الله عنها ، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام ، سلسلة أعلام النساء – ٢ ، بيروت – لبنان ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ص ٩؛ محمد علي الأنصاري ، أهل البيت عليهم السلام ، إمامتهم ، حياتهم ، قم : مجمع الفكر الإسلامي ، ط١ ، ذي الحجة الحرام ١٤٢٤هـ . ق ، المطبعة : شريعت – قم ، ص ٢٠٧ .

وكذلك جدته لأبيه وهي (فاطمة بنت عمر بن عائد بن عمران بن مخزوم) وهي أم عبدالله والد سيدنا رسول الله وأم الزبير بن عبدالمطلب، وسائر ولد عبدالمطلب بعد لأمهات شتى[١] .

إنَّ افتخار النبي والوصي بأمهاتهم كان في عالم ومجتمع يعيش أحلك أشكال التردّي في معاملته للمرأة، وقد أنبأنا القرآن الكريم عن هذه الحال، وكيف كانت وجوه الآباء تسودّ حينما يبشرونه بولادة الأنثى ، وقد أشار الباري سبحانه وتعالى بقوله إلى هذا ﴿**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنْ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾[٢] . وذهب بعضهم بعيداً بغيظه وجلافته وقسوة القلب حدّ دسها في التراب .

هذه العادة الجاهليَّة التي حاربها الإسلام وذكرها كذلك القرآن الكريم ، ألا وهي وأد البنات ، ولنتمعن قليلاً في هذا الحديث الذي أسر به قيس بن عاصم النبي المختار واصفـًا حاله بالقول[٣] : (يا رسول الله أنا أمير تميم وفي عاداتنا دفن البنات من المكرمات ، ولقد دفنت عدة بنات .

---

١ – ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ص ٤٠ .

٢ – سورة النمل، آية ٥٨ (وعن مجمع البيان للطبرسي (ظل وجهه مسوداً) أي صار لون وجهه متغيراً إلى السواد لما يظهر فيه من أثر الحزن والكراهية) .

٣ – غادة الخرسا ، المرأة عبر التاريخ ، بيروت – لبنان ، ص ٣٣ .

وفي سنة كنت على سفر وكانت امرأتي حاملاً فوضعت أنثى ، وخشيت عليها مني ، فأهدتها إلى أخوالها فلما عدت من السفر سألتها عن الجنين قالت ولد ميتـًا .. قبلت هذا الكلام والشك ملء نفسي .. وبعد سنين عدة كبرت البنت وجاءت ذات يوم لزيارة أمها فرأيتها رائعة الجمال وتمنيت أن تكون لي ابنه مثلها فقالت أمها : إنها ابنتك يا قيس .

فغضبت غضبـًا شديداً ، وقمت إلى البنت فحفرت لها حفرة كانت تساعدني فيها ، ولما كنت أهيل عليها التراب وهي حية كانت البنت تبكي وتسألني : ماذا تفعل يا أبي بفلذة كبدك .. وظلت تبكي وأنا أسمع أنينها تحت التراب ولم أدعها حتى صمتت إلى الأبد . فبكى النبي بكاءً شديداً ومعه صحابته ثم تلا رسول الله ﷺ قول الله الرؤوف الرحيم : ﴿**وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ**﴾[1] .

إنَّ رقة قلب النبي الكريم وبكاءه الشديد لم يكن تعاطفـًا آنيـًا منه مع الحكاية ، بل قناعة فطرية بضرورة حفظ النساء وإكرامهن وهو القائل : ((الجنة تحت أقدام الأمهات)) و((النساء شقائق الرجال)) و((خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي ، ما أكرم النساء إلا كريم وما أهانهن إلا لئيم)). وهو الذي قال فيه عمه أبي طالب :

---

١ - سورة التكوير : آية ٨ .

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى، عصمة للأرامل[١]

بهذه النفس الرحومة المشفقة على كل ما هو إنساني وطاهر وشفيف، أطل وليد الكعبة في بطن الكعبة من رحم إحدى الفواطم الجواهر – الطواهر الموحدات بالله والمؤمنات برسله وأنبيائه ، إنها إحدى الفواطم المباركات اللواتي افتخر بهن النبي والوصي معـًا . إنها أم علي فاطمة بنت أسد .

١ – ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة / ٣ ، م. س ، ص ٣١٦ .

حدقات النسوة تبارك الميلاد

كلُّ مخلوق يفخر بآبائه وأجداده ، إلا علي بن أبي طالب يفخر بذاته، كيف لا ؟ وهو الحائز على عطية السماء المفردة ، الحاجزة له من دون غيره من المخلوقين ، إنه وليد بيت الله ، وليد كعبته المشرَّفة .

ولو لم يكن لمولود آدمي من المكارم والفضائل التي صبَّها الخالق عزَّ وجل على أبي الحسن عليه السلام صبـًا ، إلا معجزة الميلاد ، لكفته فخراً وعزاً في الأولين والآخرين ..، فالعقل منه في حَيْرة ، لمَ هذا الموضع ؟

ولمَ هذا الاختيار ؟

ولمَ هذا الوليد بالذات ؟

أي هبة جلية البرهان على السبق في كلِّ النعم السابغات أن يكون مسقط رأس علي هو الكعبة لا غيرها من بقاع أرض الله الواسعة .

وهنا ، لا نمحق ما للمكان من شرف وعلو ، وما للوليد من رفعة وسمو ، إلا أن القول لا يكتمل من دون الالتفات إلى طهارة الرحم الذي حمل الجنين المتفرّد ، ووضع الوليد المعجزة ..، إنَّه رحم أول هاشمية تلد هاشميا لهاشمي[1] ، فكانت الولادة البشرية الوحيدة والمتفرّدة تحتضنها أركان الكعبة المشرفة ، تحقيقـًا لإرادة إلهية محققة .

---

١ - الأنصاري، أهل البيت عليهم السلام ، م . س ، ص ٢٠٨ ؛ ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة/ ج١، م . س ، ص ٣٩ .

لقد جاء أمر السماء جازمـًا ، أن تنطلق فاطمة بنت أسد عليها السلام بحملها المكتمل إلى الكعبة لا إلى غرفتها في دار أبي طالب ، لتضع وليدها الرابع والأخير من الذكور في بيت الله[١] .

نعم إنه أمر الله المحكم ، وإن لم يكن كذلك ، فما الذي يدفع امرأة مثقلة بحملها لتسعة أشهر ، وفي وضع الطلق ، أن تترك بيتها والقابلات والجارات من معاونات على هكذا حال ، لتلتجئ إلى ركن ومقام كريم ، لا يمكن الاقتراب منه إلا تطهراً ، وفاطمة بنت أسد[٢] عالمة بقدسية وطهارة المكان الذي ركنت إليه بحملها الثمين .

وما يجذب الذهن للتفكر في هذا الموقف الفريد، أنَّ أم الإمام علي سبق لها أن وضعت ثلاثة من أخوته في ثلاثين عامـًا خلت[٣]، ولدتهم كلهم في دار

١- في المستدرك على الصحيحين ٣ : ٤٨٣ جاء فيه : ((تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في جوف الكعبة)) وينظر مروج الذهب ٢ : ٣٤٩ وغيرها من المصادر التي أسهبت في وصف الولادة قولاً وشعراً .

٢- فاطمة بنت أسد ، من سابقات المؤمنات إلى الإيمان والموحدة بالله والمتبعة لديانة أبيها إبراهيم الخليل (عليه السلام) قبل بزوغ نور الرسالة المحمدية على الوجود .(أمهات المعصومين، السيد محمد الشيرازي)

٣- تذكر المصادر أن الإمام علي هو أصغر بني فاطمة بنت أسد من الذكور وجعفر أسن منه بعشر سنين ، وعقيل أسن منه بعشر سنين ، وطالب أسن من عقيل بعشر سنين . وفاطمة أمهم جميعـًا ، للمزيد ينظر : بن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، م. س ، ص ٤٠ .

أبيهم أبي طالب، ولم تذكر المصادر والسير أنها زحفت إلى الكعبة بحملها إبان الطلق، إلا عند وضعها لصغيرها المقدّس علي لخصوصية شاءها الخالق العظيم، وشهادة ربانية بعلو شأن الوليد القادم للوجود .

فها هو القمر قد اكتمل أو كاد ، ففي يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب المبارك بعد عام الفيل بثلاثين سنة ، أي قبل البعثة النبوية بعشر سنين[١] ، ولما مضى من الليل ثلثه ، أتى أمر الله ، فسمعت فاطمة بنت أسد قائلاً يقول : (يا فاطمة عليك بالبيت الحرام) ، فاستجابت وانطلقت إلى الكعبة بروايات عديدة ، منها أنها كانت لوحدها ، وأخرى أنَّ أبا طالب رافقها ، وهي الرواية المرجّحة هنا ، فما كان له أن يترك زوجه في حال المخاض وحدها في الليل البهيم !

وكأنها قصدت بيته للزيارة والتبرّك بالفرج مما ألمَّ بها ، لا للولادة والوضع ، وقفت بإزاء جدار الكعبة تستفتح أبواب الرب المغلقة من دون الخلق أجمعين . أي أيتها الأبواب انفتحي فأنا العبدة لله ، الموحدة بك ، إليك التجأت يا الله ... فكان الذي انفتح الجدار الصلد لا الباب المغلق ، إمعانـًا في تنبيه العقول الحاضرة واللاحقة، إن الحدث جلل وليس بالهين،

١ – تذكر بعض المصادر أن الولادة كانت قبل البعثة النبوية باثنتي عشرة سنة للمزيد ينظر : موجز سيرة الرسول وأهل البيت(عليهم السلام)، تأليف ونشر : لجنة التأليف – مؤسسة البلاغ ، ط١ ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م ، المطبعة : صدر قم ، طهران، الجمهورية الإسلاميّة في إيران، ص ٥٩.

وإلا كان بمقدور العزيز الجليل أن يفتح لفاطمة باب الكعبة ثم يغلقه دونها ، ولكنه أراد في شق الجدار وغلقه ثانية دونها ، وضع الشوكة في أحداق المكابرين والمغالطين والناكرين .

وهنا يدلو بشهادته شاهد حضر الموقف فنقله للأجيال، قال يزيد ابن قعنب[١] : كنت جالسـًا والعباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه ، وفريق من بني عبد العزى ، بإزاء بيت الله الحرام ، إذ اقبلت فاطمة بنت أسد ، أم أمير المؤمنين عليه السلام ، وكانت حاملاً به لتسعة أشهر ، وقد أخذها الطلق ، فقالت: "يا رب إني مؤمنة بك ، وبما جاء من عندك، من رسل وكتب، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل عليه السلام، وإنه بنى البيت العتيق، فبحق الذي بنى هذا البيت، و(الجنين) الذي في بطني إلا ما يسرت عليّ ولادتي " .

قال يزيد بن قعنب : فرأيت البيت قد انشق عن ظهره ودخلت فاطمة فيه ، وغابت عن أبصارنا ، وعاد إلى حاله ، فرُمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح ، فعلمنا أن ذلك من أمر الله تعالى[٢] .

---

١ – علي محمد علي دخيل ، فاطمة بنت أسد رضي الله عنها ، ص ١٧ .

٢ – أجمعت المصادر من الطرفين على صدق الرواية ، وحديث فاطمة بنت أسد أمام جدار الكعبة وولادتها للإمام علي في الكعبة أمر مستفيض ، صرح به المئات من المؤرخين وأهل السير وقد جمع العلامة المحقق الشيخ محمد علي الأوردبادي طاب ثراه في كتابه (علي وليد الكعبة) أكثر من مائة مصدر مصرحة بذلك .

وفي استذكار آخر ، قال أبو طالب عليه السلام : أشفقت عليها في ذلك وأردنا أن نفتح الباب لنصل إليها بعض نسائنا فلم نستطع أن نفتح الباب فعلمنا أن هذا الأمر من الله سبحانه وتعالى[١] .

إن ما وقع من الحدث خارج جدران الكعبة رأته الأعين ، وأما ما جرى داخل جدران الكعبة ، فأمر لم يشهده إلا الله جل في علاه وفاطمة بنت أسد ووليدها علي والملائكة والنسوة المبعوثات من عوالم الأولين لشهود ولادة سيد الوصيين .

لقد فتح علي بن أبي طالب عينيه على الوجوه ، فرأى وجوه نسوة مباركات تحدّق فيه بحنو وتتلقف بلهفة هذا المولود المتفرد الولادة ، في أشرف بقعة أرض بسطها الباري لخلقه .

أمَّا النسوة فكنَّ خمسة برواية الأم[٢] : ((.. وإذا خمسة نساء (نسوة) كأنهن الأقمار قد دخلن عليّ، وعليهنَّ ثياب من الحرير والاستبرق، ويفوح طيبهن كالمسك فقلن لي: السلام عليكِ يا بنت أسد ثم جلسن بين يدي ومع إحداهنَّ جونة في فضة.. وهنَّ حواء، ومريم، وهي صاحبة الجونة

١- موجز سيرة الرسول وأهل البيت ، م. س ، ص ٥٩ .

٢- رجب البرسي الحلي ، مشارق أنوار اليقين في حقائق وأسرار أمير المؤمنين عليه السلام ، تحقيق: جمال المازندراني ، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

فطيّبته بها من طيب الجنة وآسيا بنت مزاحم وسارة زوجة إبراهيم عليه السلام ، والخامسة أم موسى عليها السلام ، وكشفن عن سرته فإذا هي مقطوعة . قالت فاطمة : ثم خرجت النسوة عني)) .

وما كانت فاطمة بنت أسد لتعجب مما رأت من عجائب المشاهد والوقائع ، فلقد سبق لها وأن شهدت ما يماثل هذه المناظر ، فقد روي في روضة الواعظين عن النيسابوري : أن فاطمة بنت أسد حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فلما كان وقت الصبح قالت لأبي طالب : رأيت الليلة عجبـًا ، يعني حضور الملائكة وغيرها فقال : انتظري سبتـًا تأتين بمثله فولدت أمير المؤمنين عليه السلام بعد ثلاثين سنة .

في واقعة الولادة المباركة هذه تفاخرت الأم وابنها ، أما الأم ، فقد خرجت بعد ثلاثة أيام في الكعبة ، خرجت في اليوم الرابع ، وعلى يدها وليدها قائلة لمن يستفهمها : أني فُضّلتُ على من تقدمني من النساء ، لأن آسية بنت مزاحم قد عبدت الله سراً في موضع لا يحب الله أن يعبد فيه إلا اضطراراً ، وأن مريم بنت عمران هزت النخلة اليابسة حتى أكلت منها رطبـًا جنيـًا ، وإني دخلت بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنة وأرزاقها ، فلما أردت أن أخرج هتف بي هاتف وقال : يا فاطمة سميه عليـًا ، فهو علي ، والله العلي الأعلى يقول : شققت اسمه من اسمي ، وأدبته بأدبي ،

وأوقفته على غامض علمي وهو الذي يكسر الأصنام ويمجدني ، فطوبى لمن أحبه وأطاعه ، وويل لمن أبغضه وعصاه[١] .

إنَّ انفطار جدار الكعبة لفاطمة بنت أسد هو دليل قاطع على طهر الوالدة والوالد والوليد معـًا ، وعلى أن فاطمة بنت أسد وبعلها أبا طالب كانا على ملة إبراهيم الموحدة فوُلد الإمام علي هاشميـًا من أبوين هاشميين موحدين لله تعالى قبل ظهور الإسلام وبزوغ نوره ، ولولا توحيدهما لما انشق جدار الكعبة ، لتضع زوجة أبي طالب وليدها المبارك داخل كعبة محمد ﷺ .

قال سيد الشعراء في القرن الثاني الهجري إسماعيل الحميري :

وَلَدتْـــهُ في حَـــرم الإلـــهِ وأمْنـــهِ والبيـــتِ حيـــثُ فِنـاؤه والمســجدُ
بيضـــاءُ طـــاهرةُ الثيـــابِ كريمـــةٌ طابتْ وطـابَ وليـدُها والمولِدُ[٢]

إنَّ من حقّ الإمام علي بن أبي طالب أن يفتخر فخراً إضافيـًا بواقعة الولادة هذه ، فلم تقع الأعين على الوليد عاريـًا من القوابل أو المقرّبات من نسوة القوم .. إنها فقط أمه من شهدت ولادته وبضعة نسوة صديقات من سالف الزمان وغابره ، لم يعاصرنه ولم يعاصرهن .

١- علي محمد علي دخيل ، فاطمة بنت أسد ، م. س ، ص ١٩ .

٢- أبو حيدر عبد الزهرة الخزاعي ، الإمامة عقيدة قرآنية ، العارف للمطبوعات ، ط١ ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م ، ص ١٥٢ .

إنَّ ولادة النور يوم مولد النبي صلى الله عليه وآله كانت سبقاً وإيذاناً بولادة شطره النور الآخر يوم مولد الوصي عليه السلام ، فعن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن الله كان إذ لا كان، فخلق الكان والمكان ، وخلق نور الأنوار الذي نورت منه الأنوار ، وأجرى فيه من نوره الذي نوّرت منه الأنوار ، وهو النور الذي خلق منه محمداً وعلياً ، فما يزالان نورين أولين إذ لا شيء كوّن قبلهما ، فما يزالان يجريان طاهرين مطهرين في الأصلاب الطاهرة حتى افترقا في أطهر طاهرين في عبدالله وأبي طالب عليهما السلام [١] .

وكما كان طهر الأب والأجداد ، مثله كان طهر الأم والأمهات ففي قول للإمام علي عليه السلام أنَّ النبي محمداً صلى الله عليه وآله قال : إنّا (أول) أهل بيت قد أذهب الله عنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

وقال النبي صلى الله عليه وآله : إنَّ في قوله ﴿**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ**﴾[٢] فانتهت الدعوة إلي وإلى علي .

وفي خبر (أنا دعوة إبراهيم)، وإنَّما عنى بذلك الطاهرين لقوله : نقلت من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات لم يمسني سفاح الجاهليَّة .

---

١ – رجب البرسي ، مشارق أنوار اليقين .. ، م. س ، ص ٦٠ ، نقلاً عن الكافي ١/ ٤٤١ باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ، حديث ٩ .

٢ – سورة إبراهيم : ٣٥ .

وقد شارك الوصي علي عليه السلام أخاه النبي محمداً صلى الله عليه وآله وسلم هذا الأمر فلم تحمله سوى الأرحام المطهرات، لينتقل من صلب ورحم مطهر إلى آخر، حتى استودعته العناية الإلهية رحم فاطمة بنت أسد التي كانت أماً للنبي قبل الوصي ، وما فتئ يناديها محمد رسول الله بـ(يا أماه) حتى الوفاة فمن هي أول الفواطم في حياة علي ؟

أول الفواطم .. أم محمد وعلي

كانت أحضان أول الفواطم هي مهد علي بن أبي طالب ومأمنه، ففي حضن فاطمة بنت أسد الطاهر الحنون تفتّحت وردة حياة الإمام، وترعرعت في ظل أسرة مؤمنة موحِّدة مستقرة تظللها المحبَّة والتفاهم والانسجام .

ففاطمة بنت أسد زوج أبي طالب، وأبو طالب زوج فاطمة بنت أسد، ولا إلى غيرها ركن ، فجاءته بالبنين في كل عقد من الزمان بصبي ، كالدرر الكريمة يعز أن يستكثرها الزمان أو يجود بمثلها .

وقبل ميلاد علي ، أصغر الأبناء وأشد الجواهر ندرة ولمعانـًا ، كانت أول الفواطم قد مارست دور الأم لأكثر من ثلاثين عامـًا ، فكانت أمـًا لصبيانها وبناتها وكذلك أتحفت الوجود بتربيتها وعنايتها لخير الخلق وسيد البشر (محمد بن عبدالله) عليه صلوات الله وعلى آله .

إنَّ وقفة متأنية عند هذه العلاقة الحميمية ما بين النبي محمد وزوجة عمه هي جديرة بالبحث والتفكير والتقصي . فمن الطبيعي أن يولي أبو طالب ، رعايته واهتمامه لابن أخيه الصغير يتيم الأبوين ، وبعد وصية لازمة من الجد عبدالمطلب[1] ، أمَّا النادر فهو رعاية فاطمة بنت أسد

---

١ – ابن سعد ، الطبقات الكبرى ،ج١ ، ص ١١٨ .

لابن (حماها) وحبها له وتفانيها في خدمته سنين قاربت العقدين من الزمان ، ومبادلة الصبي اليتيم لها هذا الود في مواقف وأحاديث توثق عمق العلاقة العائلية الكريمة التي وفرتها هذه المرأة – النموذج ، لصبيانها الخمسة من دون تفريق بينهم أو حسد أو ضغينة، بل أنَّها أعجزت المتعارف عليه من العادات والقيم بتفضيلها ابنها (محمد) على بقية أخوته بنص تصريح النبي بذلك .

لقد كان النبي محمد يعامل فاطمة بنت أسد كما يعامل ابن بر أمـًا ، وظل يبرها حتى بعد زواجه[١] .

إنَّ أول أحاديث الفخر بهذه الأم الرؤوم من قبل ولدها النبي قوله لولدها الوصي : ((يا علي لك أشياء ليست لي ، منها أن لك زوجة مثل فاطمة وليست لي مثلها ، ولك ولدان من صلبك وليس لي مثلهما من صلبي، ولك مثل خديجة أم أهلك وليس لي مثلها حماة ، ولك صهر مثلي وليس لي صهر مثلي ، ولك أخ في النسب مثل جعفر وليس لي مثله في النسب ، ولك أم مثل فاطمة بنت أسد الهاشمية المهاجرة وليس لي مثلها[٢] .

---

١ – عبدالرحمن الشرقاوي ، علي إمام المتقين ، مؤسسة مدين للطباعة والنشر ، مطبعة برستش ، ط١ ، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م ، ص ١٦ .

٢ – ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب ، ٢ ، انتشارات ذوي القربى ، تحقيق: يوسف البقاعي، ط٣ ، ١٤٢٩هـ ق ، ١٣٨٧هـ ش ، المطبعة سليمان نزادة ، قم – طهران . ص ١٩٤ .

ومن الطبيعي أن يذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الإمام علي بالفخر بكل هذه الشمائل ، ولكن لا أحد يفضل أمـًا على أمه الطبيعية ، إلا إذا كانت له نعم الأم من بعد يتم ، وهذا ما كانت عليه فاطمة بنت أسد . فقال فيها محمد هذا القول الفصل بأنها أمـًا فاقت بالمثال جميع الأمهات حتى أم خير الرسل وخاتم الأنبياء وهو يسميها بالاسم وينعتها (بالهاشمية المهاجرة) تأكيداً منه على إعزازها وتوقيرها .

قد فصَّلتْ كتبُ السيرِ الحديثَ في فضل هذه المرأة المؤمنة وأسهبت إلى حدِّ التواتر، ومنها قوله صلى الله عليه وآله وسلم : ((لم نلق بعد أبي طالب أبر بي منها))[١] وقوله فيها ((رحمك الله يا أمي ! كنت أمي بعد أمي تجوعين وتشبعيني وتعرين وتكسيني ، وتمنعين نفسك طيب الطعام وتطعميني تريدين بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة))[٢] ففاطمة هنا لا تتصنع الإحسان مرضاة لزوج أو عشير أو جار يرقب فعلها ، بل إنها تريد مرضاة الخالق في كلِّ ما أغدقته على ولدها (محمد) من إيثار ومحبَّة فائقة .

ولكننا لن نعجب من حسن صنيعها لو تتبعنا سيرة حياة أول الفواطم، ووجدناها تنبع من أصول الأنبياء ، التي أشار إليها أبو طالب في

---

١ – علي محمد علي دخيل ، فاطمة بنت أسد ، م. س ، ص ٤٢ .

٢ – الموفق بن أحمد الخوارزمي (٥٦٨هـ) ، المناقب ،١ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ، ص ٣٣ .

خطبته عند نكاح فاطمة بنت أسد : ((الحمد لله رب العالمين ، رب العرش العظيم ، والمقام الكريم ، والمشعر والحطيم ، الذي اصطفانا أعلامًا وسدنة ، وعرفاء وخلصاء ، وحجة بهاليل أطهار من الخنا والريب، والأذى والعيب ، وأقام لنا المشاعر ، وفضلنا على العشائر ، نخب آل إبراهيم وصفوته ، وزرع إسماعيل ، في كلام له ثم قال : وقد تزوجت بنت أسد وسقت المهر ونفذت الأمر فاسألوه واشهدوا فقال أسد : زوجناك ورضيناك ، ثم أطعم الناس فقال أمية بن الصلت :

أغمرنا عرس أبي طالب وكان عرسًا لبن الحالب
أقرؤه البدو بأقطاره من راجل خف ومن راكب
فنازلوه سبعة أحصيت أيامها للرجل الحاسب[1]

إن تلكم الكلمات التي قالها أبو طالب هي عين اليقين في توحيده لله وتعبده لرب الأرباب وافتخاره بالانتساب لخير أنساب الأنبياء وهذا ما أشار إليه النبي محمد مراراً ، فعن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : ((سألت رسول الله ﷺ عن ميلاد علي بن أبي طالب، فقال : سألتني عن خير مولود ولد في شبه المسيح، إن الله تبارك وتعالى خلق عليًا من نوري وخلقني من نوره وكلانا من نور واحد ، ثم أن الله عز وجل نقلنا من

١ - ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب – ٢ ، م. س ، ص ١٩٧ .

صلب آدم في أصلاب طاهرة إلى أرحام زكية فما نقلت من صلب إلا ونقل علي معي فلم نزل كذلك حتى استودعني خير رحم وهي آمنة واستودع علي خير رحم وهي فاطمة بنت أسد))[١] .

لقد تربى النبي محمد والإمام علي في كنف ذات الأسرة وذات المربية العالية الشأن، ولم يكن حب فاطمة بنت أسد وأبو طالب لمحمدﷺ من ترف وفضلة غنى ، فقد كان أبو طالب لا مال له[٢] ، ومع ذاك كان حبه للرسول حبـًا شديداً لا يحبه ولده ، وكان لا ينام إلا إلى جنبه ، ويخرج فيخرج معه ، وصب به أبو طالب صبابة لم يصب مثلها بشيء قط[٣] .

تمر الأيام ببيت فاطمة بنت أسد ، والزاد فيه قليل فلا يأذنوا لأولادهم بالأكل من دون حضور الحبيب محمد ، فيأتي القول : ((كما أنتم حتى يحضر ابني)) . وكان صبية أبي طالب يصبحون رمضـًا شعثـًا ، ويصبح رسول الله ﷺ دهينـًا كحيلاً[٤] ، في صورة رائعة من عناية الأم بصبيها الأثير .

١- جواد جعفر الخليلي ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب القسم الأول ، الإرشاد للطباعة والنشر ودار الهدى ، ط٢ ، بيروت – لبنان ، ١٤٥٢هـ - ٢٠٠١م ، ص ٢٠ .

٢- ابن سعد ، الطبقات الكبرى –ج١ ، ص ١١٩ .

٣- المصدر نفسه ، ص ١٢٠ .

٤- " قل أن يسود فقير وساد أبو طالب" للمزيد ينظر : شرح ابن ابي الحديد ، ١ / ٢٩ .

لقد كانت فاطمة بنت أسد شريكة أبي طالب في هذه الرعاية للرسولﷺ، فقد كانت تقدمه على أولادها براً به، وعطفاً عليه، حتى كان يسميها (أماه). وإذا ما استذكرها في أحاديثه قال عنها: ((إنها كانت من أحسن خلق الله صنيعاً بي، بعد أبي طالب. وكانت أمي بعد أمي التي ولدتني. إن أبا طالب كان يصنع الصنع، وتكون له المأدبة ، وكان يجمعنا على طعامه، فكانت هذه المرأة تفضل منه كله نصيباً فأعود فيه)) [١] .

لقد شبَّ (محمد بن عبد الله) في ظلِّ رعاية فاطمة وزوجها ، فكانا أفضل أبوين غذيا ابنهما بكلّ مكرمة حميدة ، فمع فاطمة وأبي طالب شب النبي يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من أمور الجاهليَّة ومعايبها ..، حتى إذا بلغ مبلغ الرجال كان أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً ، وأكرمهم مخالطة ، وأحسنهم جواراً . وأعظمهم حلماً وأمانة ، وأصدقهم حديثاً وأبعدهم من الفحش والأذى . وما رُئي مُلاحياً ولا مماريا أحداً حتى سماه قومه الأمين[٢] .

وإذا ما صرفنا النظر عن الآيات والأحاديث ورجعنا إلى السيرة التاريخيَّة للنبي والوصي لوجدنا اقتران تاريخ محمد بتاريخ علي لا يكاد

---

١ - موسوعة الإمام علي بن أبي طالب (ع) في الكتاب والسنة والتاريخ ، محمد الريشهري ، ج ١ ، ص ٧٠.

٢ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى –ج١ ، ص ١٢١ .

يفترقان حتى يلتقيا مجدداً ، فإذا ذكرت نشأة محمد ذكرت بيت أبي طالب وفاطمة بنت أسد ، وإذا ذكرت بعثة محمد ودعوته إلى الإسلام ذكرت علياً وأباه ودفاعهما عنه[١] ، وسابقة فاطمة بنت أسد في الإيمان والتصديق والهجرة والمبايعة .

لقد بادلت فاطمة بنت أسد النبي حباً بحب وإيثاراً بإيثار وفضلاً بفضل ، فها هي تضع وليدها علي بعد ثلاثين عاماً من ولادة أخيه محمد، فتلقفه منها شوقاً لضمه تحت جناحه فيغدو لصيقاً به ، لا يفارقه . فهما قد خلقا من نور واحد[٢] .

تذكر السير

[في خبر طويل أن فاطمة بنت أسد رأت النبي صلى الله عليه وآله يأكل تمراً له رائحة تزداد على كل الأطايب من المسك والعنبر من نخلة لا شماريخ لها ، فقالت : ناولني أنل منها ، فقال لها : ((لا تصلح إلا أن تشهدي معي أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله ، فشهدت الشهادتين ، فناولها فأكلت فازدادت رغبتها وطلبت أخرى لأبي طالب فعاهدها أن لا تعطيه إلا بعد الشهادتين فلما جن عليها الليل اشتم أبو طالب نسماً ما اشتم مثلها قط ،

١ – محمد جواد مغنية ، فضائل الإمام علي ، منشورات دار الهلال ودار الجواد للطباعة والنشر ، ط٢ ، ١٩٨١ ، بيروت ، ص ٣١ .

٢ – بن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب ٢ ، ص ١٩٦ .

فأظهرت ما معها فالتمس منها فأبت عليه إلا أن يشهد الشهادتين فلم يملك نفسه أن شهد الشهادتين غير أنه سألها أن تكتم عليه لئلا تعيره قريش فعاهدته على ذلك ، فأعطت ما معها وأدى إلى زوجته ، فعلقت بعلي في تلك الليلة][1] .

لقد أطعم الله عز وجل سيد الأوصياء علي عليه السلام وأمه فاطمة بنت أسد من ثمار الجنة قبل الولادة وبعد الولادة ، ففي رواية شعبة بن قتادة عن أنس عن العباس بن عبدالمطلب ، وفي رواية عن الحسن بن محبوب عن الإمام الصادق عليه السلام ، إن جدار البيت العتيق عندما انفتح من ظهره ودخلت فاطمة فيه ثم عادت الفتحة والتصقت وبقيت فيه ثلاثة أيام ، فأكلت من ثمار الجنة فلما خرجت قال علي عليه السلام : (السلام عليك يا أبه

١- محسن باقر القزويني ، علي بن أبي طالب رجل المعارضة والدولة ، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع ط١ ، لبنان ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م ، ص ١٧ ، نقلاً عن: [قال سلمان المحمدي : سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله وطيفاً يسبح الله ذلك النور ويقدسه قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام ، فلما خلق الله آدم ركز ذلك النور في صلبه ، فلم نزل في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبدالمطلب فجزء أنا وجزء علي.. أورده ابن عساكر في تاريخ دمشق ترجمة الإمام علي ابن أبي طالب ج١ ، ص١٣٧ ، عن سند صحيح ووثقه لسان الميزان ج٣ ، ص ٢٢٩ وميزان الاعتدال ج٨ ، ص ٢٣ ورواه الإمام أحمد بن حنبل في الحديث ٢٥٢ من كتاب الفضائل ورواه الخوارزمي في الفصل ١٤ في المناقب ص ٨٨] .

ورحمة الله وبركاته) ثم تنحنح وقال : بسم الله الرحمن الرحيم (قد أفلح المؤمنون)[١] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : ((قد أفلحوا بك أنت والله أميرهم، تميرهم من علمك فيمتارون ، وأنت والله دليلهم وبك والله يهتدون)) ، ووضع رسول الله لسانه في فيه فانفجرت اثنتا عشرة عينـًا ، قال فسمي ذلك اليوم يوم التروية ، فلما كان من غده وبصر علي برسول الله سلم عليه وضحك في وجهه وجعل يشير عليه فأخذه رسول الله فقالت فاطمة : عرفه فسما ذلك اليوم عرفة)[٢] .

وما ان مرّت على ولادة الطفل أيام حتى قال النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة بنت أسد : اجعلي مهده بقرب فراشي . فلبت السيدة فاطمة طلب العزيز محمد صلى الله عليه وآله ، ووضعت مهد وليدها جنب فراشه[٣] . وقد ورد عن فاطمة بنت أسد قولها أنها لما وضعت عليـًا ، وجاءت به إلى الدار امتنع عن ثديها ثلاثة أيام فكان النبي صلى الله عليه وآله يأخذه ويغذيه من ريقه .

يقول الحسين بن زيد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب ((سمعت زيداً أبي عليه السلام يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يمضغ اللحمة

١- سورة المؤمنون : ١ .

٢- بن شهرآشوب ، مناقب آل أبي طالب / ٢ ، ص ١٩٨ .

٣- محمد رضا عباس محمد الدباغ ، سيرة المرتضى بأسلوب قصصي ميسر ، شكوري مطبعة قلم ، ط١ ، ٢٠٠٥م ، إيران ، ص ٥٨ .

والثمرة حتى تلين ويجعلها في فم علي عليه السلام وهو صغير في حجره))[١] .

وقد أشار الإمام علي لتلك العناية والرعاية الأثيرتين اللتين خص بها الرسول الأكرم الإمام علياً فيصفها بالقول: ((وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة، والمنزلة الخصيصة، وضعني في حجره وأنا ولد، يضمني إلى صدره، ويكتنفني في فراشه، ويمسني جسده، ويشمني عرفه ، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه ، وما وجد لي كذبة في قول، ولا خطلة في فعل ، ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ، ليله ونهاره ، ولقد كنت أتبعه إتباع الفصيل أثر أمه ، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، ويأمرني بالاقتداء به ، ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء ، فأراه ولا يراه غيري، ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرسالة ، وأشم ريح النبوة..))[٢] .

لم يكن الإمام علي طفلاً عادياً ، فلقد حباه الإله بكل الشمائل والصفات الحميدة ، بل لقد قلده منتهاها حتى انحسرت عن غيره محاسنها وأردفت به دون غيره على وفرتها ، ففي الشجاعة ، وهو طفل

١- شرح ابن أبي الحديد ، م٣ ، ص ٢٥١ .

٢- الأنصاري ، أهل البيت عليهم السلام .. إمامتهم .. حياتهم / ص ٢٢٥ .

كانت أمه فاطمة بنت أسد أول من تحرى فيه بواكير بزوغها ، كانت تشده بالقماط فتجعله قماطين فشقهما ، فإذا جعلته ثلاثة وزادت في سماكته من جلد وحرير فلم يجديها نفعاً ، فاضطرت إلى تركه بدون قماط ، وكان أبوه أبو طالب يجمع له أولاده وأولاد أخوته ويأمرهم بمصارعته ، فكان علي يحسر عن ذراعيه ، ويصارع الكبير منهم والصغير فيصرعه ، وفي ذات يوم كان يسير مع طفل أكبر منه سنة ، فما شعر إلا والطفل يهوي في البئر على رأسه ، فأسرع علي وأخذ برجله وأنقذه)[١] .

ولا عجب ، فلقد كان علي عليه السلام على هيأة الأسد قلباً وقالباً ، غليظاً منه ما استغلظ ، دقيقاً منه ما استدق[٢] . وكانت والدته ووالده يدركان ما يمتلكه علي من شجاعة وصلابة ، ويذكر أن أبا طالب كان شديد الحفاظ على محمد فكان يبادل مكان نومه فيأخذه ويضعه في فراش علي ويضع علياً مكانه ، مع العلم كان لأبي طالب أربعة من الأولاد أصغرهم علي ، ولما سئل عن سبب إيثار علي بهذا الفداء وهذه التضحية. أجاب : إن لعلي من الشجاعة ما ليس لسواه[٣] .

١- محمد جواد مغنية ، فضائل الإمام علي ، م. س ، ص ٢٩ .

٢- بن شهرآشوب ، مناقب أبو طالب – ٣ ، ص ٣٥٣ .

٣- مهدي محبوبة ، ملامح من عبقرية الإمام ، تقديم وتمهيد : هاشم محمد الباججي ، إصدارات العتبة العلوية المقدسة قسم الشؤون الفكرية والثقافية ، المعارف للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، العراق – النجف الأشرف ، ٢٠١١م ، ص ١٣٥ .

وقد تميز الإمام علي حتى في أسرته الصغيرة ، وكان الأبرز ما بين أخوته.

فعن أسماء بنت عميس، قالت : حدثتني أم هانئ ابنة أبي طالب، قالت : ((كان علي من أجود الناس ، لقد كان أبوه يوجه معه باللطف إلى بعض أهله ، فيقول : يا أبه ، هذا قليل زده ، ثم يأتي أمه فاطمة بنت أسد ، فيقول : يا أمه زيدي عليه من نصيبي : فتفعل ، ولقد كان يدفع إليه وإلى عقيل الشيء يسوي بينهما ، فيميل عقيل عليه ، ويقول له : أعطيت أنت أكثر مما أعطيت أنا ! فيضعه على نصيبه بين يديه ، ويقول له : ((خذ منه ما تريد))[١] .

لقد بقي علي في أسرته حجر الأساس وقطب الرحى ، حتى عندما شاءت إرادة السماء أن تضمه إلى جنب أخيه وابن عمه رسول الله وهو في السادسة من عمره عندما تعرضت قريش لأزمة اقتصادية خانقة ، وكانت وطأتها شديدة على أبي طالب إذ كان رجلاً ذا عيال كثير ، وكهفـًا يلوذ به المحتاج والفقير ، بحكم مركزه الاجتماعي في مكة ، فأقبل الرسول ﷺ مع أعمامه للتخفيف عن أبي طالب وأخذ أحد أبنائه كل واحد منهم.

---

١ - علي الأحمدي الميانجي ، عقيل بن أبي طالب ، تحقيق ومراجعة: مجتبى فرحي ، دار الحديث للطباعة والنشر ، ط١ ، إيران – لبنان ، ص ٧٥ .

فكانت قسمة رب الأرباب أجلى برهانًا وأوفى اقتسامًا ، فعلي لمحمد ، ومحمد لعلي ، ما كان لهما أن يفترقا أكثر من بضع سنين ، وإن كانا لم يفترقا قط . كان الإمام علي بهذه الانتقالة الربانية من كنف فاطمة ابنة أسد إلى كنف ابن عمه قد أصبح حلقة وصل بين بيت النبوة وأسرته وشاء المهيمن العزيز أن يكون بيت أبي طالب أول بيت يدخله الإسلام ، يبدأ بعلي ، ثم يتلاحق أفراد العائلة واحداً بعد واحد[١] .

فقد ذكر ابن الجوزي أن فاطمة بنت أسد كانت أول امرأة بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة بعد خديجة ، ويذكر ابن أبي الحديد أنها أسلمت بعد عشر من المسلمين ، وكانت الحادية عشرة ، وأن فاطمة أول امرأة بايعت الرسول من النساء[٢] أما هجرتها فحكاية تروى أنها هجرة الفواطم مع علي أسد الإسلام وفارسه .

خرج علي عليه السلام بالفواطم يريد المدينة حسبما أمره الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فأدركه ثمانية فرسان ملثمون معهم (جناح) مولى لحرب بن أمية[٣] . وما كانت مسيرته بالفواطم هذه مهمة سهلة ، فقد قضى الليالي الثلاث التي سبقتها في مكة يؤدي أدوار البطولة التي أناطها به النبي ، أعظمها

١ - علي محمد علي دخيل ، فاطمة بنت أسد ... ، ص ٢٨ .

٢ - ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة / ج١ ، ص ٤٠ .

٣- مهدي محبوبة ، ملامح من عبقرية الإمام ، ص ٢٠٤ .

فداؤه بنفسه في المبيت في فراشه ، ثم رده للودائع إلى أربابها ثم جمعه لبنات ونساء أهله والهجرة بهن إليه[١] .

قال المفيد: فقام علي عليه السلام به أحسن القيام ورد كل وديعة إلى أهلها، وأعطى كل ذي حق حقه وحفظ بنات نبيه صلى الله عليه وآله وحرمه وهاجر بهن ماشياً على قدميه يحوطهن من الأعداء ، ويكلاهن من الخصماء ويرفق بهن في المسير، حتى أوردهن عليه المدينة على أتم صيانة وحراسة ورفق ورأفة وحسن تدبير ..)[٢] .

ولقد ظل في رحلته تلك ليالي أربع عشرة وحيداً يسبح في بحر لجي من الرمال تحته ومن الأنجم والكواكب فوقه[٣] وهمه حفظ الفواطم وإيصالهن مبتغاهن ، وهن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم ، وفاطمة بنت الزبير بن عبدالمطلب وفاطمة بنت الحمزة تنفيذاً لأوامر سيده وحبيبه وأخيه التي بعثها إليه بكتاب جاء فيه : ((بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله وابن عبديه محمد رسول الله إلى علي بن أبي طالب ، أما بعد يا علي أن كنت تسأل عن الأنصار فجزاهم الله عني

١ - محمد الدباغ ، سيرة المرتضى ، ص ٧٢ .

٢ - الشيخ المفيد ، الإرشاد ، منشورات المطبعة الحيدرية ومكتبتها في النجف الأشرف ، ١٩٦٢م - ١٣٨١هـ ، ص ٢٣ .

٣- عزيز السيد جاسم ، علي سلطة الحق ، تحقيق وتعليق: صادق جعفر الروازق ، منشورات الاجتهاد والعزيز للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، قم ، ص ٧١ .

خيراً ، فلقد أتوني بمفاتيح دورهم وبذلوا أنفسهم دوني ، فإذا وصلك كتابي فاحمل إلي الفواطم وهلم أنت معهن والسلام))[١] .

رافقت فاطمة بنت أسد ابنها الشجاع مهاجرة من مكة في وضح النهار، فكان هو فتاها الذي ما فارقته علامات البأس والقوة والشجاعة طفلاً رضيعاً وصبياً يافعاً ، لقد خرج علي بالفواطم في وضح النهار وهو الأمر الذي استصعبه المحيطون به فنصحوه بالتخفي ، جادله عمه العباس بن عبدالمطلب فقال له : إنَّ محمداً ما خرج إلا خفية ، وقد طلبته قريش أشد الطلب ، وأنت تخرج جهاراً ، في أثاث وهوادج ومال ورجال ونساء ، تقطع بهم السباسب والشعاب بين القبائل ، ما أرى لك ذلك ، وأرى أن تمضي في خفارة من خزاعة ، فقال له علي عليه السلام :

إن المنيـــة شـــربة مـــورودة لا تجـــزعن وشـــد الترحيـــل
إن ابـــن آمنـــة النبـــي محمـــد رجـل صـدوق قـال مـن جبريـل
أرخ الزمـــــام ولا تخـــــف فـــالله يـــرديهم عـــن التنكيـــل
إني بربـــي مـــوقن وبأحمـــد وســـبيله متلاحـــق بســـبيلي[٢]

---

١ – محمد جواد الطبسي ، حياة الصديقة فاطمة – دراسة وتحليل ، مؤسسة بوستان كتاب قم ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ، ط١ ، ١٤٢٣هـ ، ١٣٨١ ش ، قم ، ص ٧٢ .

٢ – المجلسي ، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، دار الكتب الإسلاميَّة ، ج٦، ص ٥٤٢ .

ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام أقبل حتى صعد على الصفا ونادى : يا معاشر قريش إني خارج غدا بالفواطم فمن أراد منكم أن يتبعني فليفعل ، ثم نزل وصعد على المروة وفعل مثل ذلك ، فلما أصبح الصباح حمل الفواطم وسار قاصداً إلى المدينة[١] .

ما الذي أراده علي بن أبي طالب بفعل هذا ؟

هل هي فورة الشباب وحماسته دفعت به إلى هذا الموقف ؟

أم أن تحديه لقريش وشراسة معركتها ضد الإسلام ورسوله والمؤمنين كان فيه استهانة بكل المخاطر وما سيلاقيه من المتربصين ؟

ألم تكن خطوته الجريئة هذه مخاطرة بسلامته وسلامة الفواطم ممن برفقته ؟

لا هذا ... ولا ذاك

إنَّ عليّـًا عليه السلام أرادها مأثرة تضاف إلى بقية مآثره في الملأ ، وليعلم القاصي والداني ، والقريب والبعيد برحلته الإيمانيَّة هذه ، وليقلدها عاراً لقريش المعتدية مدى الدهور والأيام.

فها هي قريش اجتمعت وتحاورت بالقول[٢] : هذا ابن أبي طالب قد خرج من بين أظهرنا وقد أورثنا الذل والعار ، ثم دخلوا الكعبة ، وخروا سجداً للأصنام وسألوها النصر على علي عليه السلام .

---

١ - محمد جواد الطبسي ، حياة الصديقة فاطمة ، ص ٧٣ .

٢ - المصدر نفسه.

أمَّا عليٌّ فقد خرج بالفواطم ، وتبعه أيمن بن أم أيمن مولى رسول الله ، وأبو واقد ، يسوق الرواحل ويعنف بها ، فقال له الإمام علي عليه السلام : ارفق بالنسوة أبا واقد ، فإنهن ضعائف .

فقال أبو واقد: إني أخاف أن يدركنا الطلب، فقال أمير المؤمنين عليه السلام :

لـــيس إلا الله فـــارفع ضـــنكا يكفيك رب الناس ما أهمكا[١]

وقال له : أربع عليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي : يا علي إنهم لن يصلوا من الآن إليك بما تكرهه .

إنَّ عليـًا وهو في خضم أداء هذه المَهمَّة الجسيمة ، لا يفكر بطول الرحلة ومشقة الطريق ، ولا يعبأ بمن سيدركه من فرسان قريش ، إنَّ أكبر همه ينصبُّ في تلك اللحظات أن يخفف وطئ الغربة والهجرة عن ديار مكة الحبيبة وأن لا تتجشم النسوة معه متاعب مضاعفة من سرعة المسير، بل إن الإمام لم يقتصر على الطلب من الحادي الرفق والترفق في الخطو ، فها هو قد مر عليه السلام براعي إبل فقال له : ((إذا سألك عني أحد فقل ها هو قريبـًا متوانيـًا في مشيه))، فأقبلت قريش حتى مروا بذلك الراعي فقالوا له: هل رأيت رجلاً من صفته كذا وكذا ومعه خمسة هوادج ؟ قال : لعلكم تعنون علي بن أبي طالب قالوا : بلى ، قال : ها هو قريب منكم[٢] .

---

١ – المجلسي، بحار الأنوار ، ٦ ، ص ٥٤٢ .

٢ – محمد جواد الطبسي ، حياة الصديقة فاطمة ، ص ٧٣ .

وقبل وصول قريش بفوارسها السبعة وثامنهم مولى الحارث بن أمية وكان يُدعى جناحاً ، إلى ركب الفواطم أمر علي عليه السلام كل من أيمن وأبي واقد بأن ينيخا الإبل ويعقلاها فتقدم وأنزل النسوة ، ثم أقبل ناحية الفوارس قائلين له : ظننت أنك خارج بالنسوة ؟ أرجع لا أبا لك : قال علي عليه السلام : فإن لم أفعل ؟ قالوا : لترجعن بأكثرك شعراً ، وأهونه بك من هالك . ودنا الفوارس من المطايا ليثيروها فحال علي بينهم وبين النساء لكي لا يسيء أحد لأي منهن[1] .

ونازلهم فارس الإسلام وأسده فكان عليه السلام يشدّ على قدميه شد الفرس أو الفارس على فرسه ، فغار على أصحابه فشد عليهم بسيفه شدة ضيغم وهو يرتجز ويقول :

خلوا سبيل الجاهد المجاهد آليت لا أعبد غير واحد

فتفرَّق عنه القوم وهو يجول وحيداً بينهم وأعين الفواطم ترقب المنازلة بقلوب واجفة إلى ربها سائلة النجاة والنصرة، وهكذا عاد إليها عليّ منصوراً ليواصل الرحلة بعد أن نزل في ضجنان يوم وليلة ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين ، فصلى ليلته تلك هو والفواطم ، طوراً يصلون وطوراً يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، فلم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر ، فصلى عليه السلام بهم صلاة الفجر ثم سار مواصلاً الرحلة لا يفتر من ذكر الله ، والفواطم كذلك فنزل الوحي بقوله تعالى : ﴿**الَّذِينَ**

١ - محمد رضا الدباغ ، سيرة المرتضى ، ص ٨٦ .

يَذْكُرُونَ اللهَ قِياماً وَقُعُوداً وَعَلى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ﴾ إلى قوله: **﴿فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثى﴾**[١] والذكر هنا علي والأنثى هن الفواطم[٢] .

ولم تكن هذه الآية الوحيدة التي نزلت بشأن فاطمة بنت أسد أول الفواطم في حياة علي ، فعن جعفر بن محمد : أن فاطمة بنت أسد أول امرأة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله من مكة إلى المدينة على قدميها ، وعن مقاتل الطالبيين عن جعفر بن محمد : إن فاطمة بنت أسد أم علي كانت حادية عشرة في السابقة إلى الإسلام وكانت بدوية ، ولما نزلت هذه الآية **﴿أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذا جاءَكَ الْمُؤْمِناتُ يُبايِعْنَكَ﴾**[٣] كانت فاطمة أول امرأة بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله[٤] .

وكذلك قال ابن عباس ، فهي أول امرأة هاجرت من مكة إلى المدينة ماشية حافية ، وهي أول امرأة بايعت الرسول صلى الله عليه وآله بمكة بعد خديجة[٥] .

وإذا كان المسلمون يتفاضلون بالهجرة ، والمهاجرون أفضل من الذين لم يهاجروا ، وكلاً وعد الله الحسنى ، والمهاجرون الأولون هم

١- سورة آل عمران، آية ١٩١ - ١٩٥.

٢- علي محمد علي دخيل ، فاطمة بنت أسد ، ص ٣٤ .

٣- سورة الممتحنة ، اية ١٢

٤- البرهان في تفسير القرآن : ٤ / ٣٢٧ .

٥- علي محمد علي دخيل ، فاطمة بنت أسد ، ص ٣٦ .

أفضل من اللاحقين ، فهم نواة هذا الدين وأسسه الذي قام عليه ، ففاطمة هي أولى بالفخر فهي أول مهاجرة إلى الله ورسوله .. ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَهاجَرُوا وَجاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللهِ وَأُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ**﴾[١] .

لقد أولى النبي محمد (ﷺ) والإمام علي عليه السلام أمهما فاطمة بنت أسد المهاجرة المبايعة كل رعاية وعناية في المدينة المنورة ، وكانوا يخصّونها بالتعظيم ، فقد كان النبي دائم الوصل لها وكان يزورها ويقيل في بيتها ، ويحترمها احترامًا عظيمًا ، وقد وافتها المنية في حياة النبي ﷺ، وشهدها رسول الله ، إذ أوصت إليه حين حضرتها الوفاة ، فقبل وصيتها وصلى عليها[٢] .

ومن شدّة تقوى هذه الفاطمية الصالحة أنَّها سمعت رسول الله ﷺ يقول : يُحشر الناسُ يوم القيامة عراة .

فقالت : واسوأتاه .

فقال رسول الله ﷺ : فإني أسأل الله أن يبعثك كاسية .

وسمعته يقول : أو يذكر عذاب القبر .

فقالت : واضعفاه .

---

١ - سورة البقرة : ٢٠ .

٢ - ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ،ج١ ، ص ٤٠ .

فقال لها : إني أسأل الله أن يكفيك ذلك[١] .

وقد استجاب الباري لسؤال حبيبه ، فأوفى بوعده لها الرسول ، وفعل في دفنها ما لم يفعله مع أحد قط .. فعندما حضرتها الوفاة جاء علي باكيـاً منتحبـاً إلى الرسول ينعي إليه أمهما الرؤوم العطوف.

قال أمير المؤمنين عليه السلام : لما ماتت فاطمة بنت أسد بن هاشم كفنها رسول الله صلى الله عليه وآله في قميصه ، وصلى عليها ، وكبر عليها سبعين تكبيرة ، ونزل في قبرها ، فجعل يومي في نواحي القبر كأنه يوسعه ، ويسوي عليها ، وخرج من قبرها وعيناه تذرفان ، وحثا في قبرها ، فلما ذهب قال له عمر ابن الخطاب: يا رسول الله رأيتك فعلت على هذه المرأة شيئـاً لم تفعله على أحد.

فقال : يا عمر إن هذه المرأة كانت أمي بعد أمي التي ولدتني إن أبا طالب كان يصنع الصنع ، وتكون له المأدبة ، وكان يجمعنا على طعامه ، فكانت هذه المرأة تفضل منه كله نصيبـاً فأعود فيه ، وإن جبريل عليه السلام أخبرني عن ربي عز وجل أنها من أهل الجنة ، وأخبرني جبريل عليه السلام أن الله تعالى أمر سبعين ألفـاً من الملائكة ليصلون عليها[٢] .

١- سبط ابن الجوزي ، يوسف بن قزغلي البغدادي (٥٨١ – ٦٥٤هـ) ، تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة ، تحقيق: حسين تقي زادة ، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ، ط١ ، ١٤٢٦هـ ، مطبعة : ليلى ، ص ١٢٠ .

٢- المستدرك على الصحيحين ، ٣ / ١٠٨ .

وإن حسن صنيع الرسول الأكرم مع أمه فاطمة بنت أسد عند وفاتها حديث متواتر تذكره مصادر الفريقين ، ويعطي صورة صادقة لما كانت عليه هذه المؤمنة الجليلة ، بل إن أول الفواطم قد تميزت في حياتها برعايتها لخير خلق الله ابن آدم محمد وأخيه علي ، وكذا تميزت في وفاتها وبما قام به النبي من ممارسات إيمانية قل أن أتى بها مع غيرها . فها هو الصحابي عمار بن ياسر يستفهم النبي قائلاً : فداك أبي وأمي يا رسول الله لقد صليت عليها صلاة لم تصل على أحد قبلها مثل تلك الصلاة .

فيجيبه الابن البار بأمه : يا أبا اليقظان ، وأهل ذلك هي مني ، لقد كان لها من أبي طالب ولد كثير ، ولقد كان خيرهم كثيراً ، وكان خيرنا قليلاً ، فكانت تشبعني وتجيعهم وتكسوني وتعريهم ، وتدهنني وتشعثهم[١] .

وقد روى ابن الأثير : أن رسول الله ﷺ كفَّن فاطمة بنت أسد في قميصه ، واضطجع في قبرها ، وجزاها خيراً .

وكذا سأله ابن عباس : ما رأيناك صنعت بأحد ما صنعت بهذه ، فقال: إنه لم يكن بعد أبي طالب أبر بي منها ، إنما ألبستها قميصي لتكتسي من حلل الجنة واضطجعت في قبرها ليهون عليها عذاب القبر[٢] .

---

١ - البحار ، المجلسي ، ج ٩ ، ص ١٧ .

٢ - ابن أبي الحديد ، شرح نعج البلاغة ، ص ٤ .

بل أن بعض الروايات تزيد في تفصيل الحادثة وتداعياتها على من حضرها . قال ابن دأب : فاطمة بنت أسد بن هاشم التي خاطبها رسول الله ﷺ في لحدها ، وكفنها في قميصه ، ولفها في ردائه ، وضمن لها على الله أن لا تبلى أكفانها ، وأن لا تبدي لها عورة ، فلا يسلط عليها ملكي القبر ، وأثنى عليها عند موتها ، وذكر حسن صنيعها به[١] .

وقد ذكر علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي (ابن الصباغ) كيفية مخاطبة الرسول لها في لحدها ، فقال : فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، تجتمع هي وأبو طالب في هاشم ، أسلمت وهاجرت مع النبيﷺ، وكانت من السابقات إلى الإيمان، وبمنزلة الأم من النبي ﷺ ، فلما كفنها النبي ﷺ بقميصه ، وأمر أسامة بن زيد ، وأبا أيوب الأنصاري، وعمر بن الخطاب ، وغلامـًا أسود ، فحفر قبرها ، فلما بلغوا لحدها حفره رسول الله ﷺ بيده ، وأخرج ترابه ، فلما فرغ اضطجع فيه وقال : الله الذي يحيي ويميت وهو حي لا يموت ، اللهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ، ولقنها حجتها ، ووسع عليها مدخلها ، بحق نبيك محمد ، والأنبياء الذين من قبلي ، فإنك أرحم الراحمين[٢] .

١- علي محمد علي دخيل ، فاطمة بنت أسد ، ص ٥٢ .

٢- علي بن محمد بن أحمد المالكي المكي المشهور بابن الصباغ (ت ٨٥٥هـ) ، الفصول المهمة في معرفة الأئمة ، مطبعة العدل ، النجف الأشرف ، بدون تاريخ ، ص ١٤ .

وهكذا انتهى دور أول الفواطم في حياة الإمام علي ، بعد أن قلدته شرف الولادة والنسب الطاهر ، وسبق الإسلام والهجرة والمبايعة للرسول الأعظم ، وأدت مهمة الأمومة العظيمة لمحمد وعلي معاً وحدَّثت عن النبي أكثر من (٤٦) حديثاً وصحبت آمنة بنت وهب في ولادتها وخديجة في زواجها والزهراء في هجرتها ، فحظيت بالحسنة في الدنيا والآخرة وحباها الرسول بأفضل بره لها في حياتها وبعد مماتها .

سلام على فاطمة بنت أسد يوم ولدت ويوم توفاها الله إلى جواره الكريم ، ويوم تبعث حية في عليين مع أولادها الأبرار محمد وعلي وجعفر الطيار .

أم فاطمة ... أم ثانية

من بيت أبي طالب إلى بيت محمد ..

ومن حضانة فاطمة بنت أسد إلى احتضان ورعاية أم فاطمة خديجة بنت خويلد[١] .

فبعد وجه أمه الرؤوم أول الفواطم اللواتي مهرن حياة الإمام علي بختمهن المؤثر .. ها هو علي ينضوي تحت ظل ربة الأسرة المحمدية خديجة الكبرى .

ففي سن السادسة من عمره فارق علي عائلته الأولى لينتقل للعيش والنضج في عائلته الثانية ليقضي تحت ظلالها الوارفة أهم سني عمره ، كانت فيها زوج النبي وأم المؤمنين السيدة خديجة الكبرى ، هي

---

١ – هي خديجة بنت خويلد بن أسد ، عبد العُزّى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي إلى أن ينتهي نسبها إلى عدنان ، وأمها فاطمة بنت زائدة الأصم من ولد فهر بن مالك ، وأم فاطمة هالة بنت عبد مناف .

للمزيد ينظر : يوسف بن قز علي البغدادي سبط بن الجوزي (٥٨١ – ٦٥٤هـ) ، تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة ، تحقيق: حسين تقي زادة / ج٢ ، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ، ط١ ، ١٤٢٦هـ ق، مطبعة: ليلى، ص ٣٠٣ ؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى ٨/ ١٤ – ١٥ (في ترجمة أم المؤمنين خديجة) ، محمد جواد مغنية ، فضائل الإمام علي ، ص ٢١ .

والدتــه ومربيتــه ومرشــدته ورفيقتــه في الســبق للإســلام والإيمــان والصلاة[١] .

ففي ما يقارب الخمسة عشر عاماً[٢] عاشها الوصي علي في بيت النبي محمد ﷺ كانت أم فاطمة الزهراء فيها خير زوجة للرسول الأكرم وخير رعاية لشؤون بيته ، وخير مربية وأم ثانية لعلي ، وكأنها تردّ جميل صنع أبي طالب وزوجه فاطمة بنت أسد يوم حصّنا الحبيب محمد من عوادي الزمان واليتم فكانا أباً وأماً وعائلة كريمة ليتيم عبد المطلب .

وهنا لابد من وقفة متأنية في فهم عملية تبادل الأدوار هذه ما بين عائلة النبي محمد ﷺ وعائلة الإمام علي ، فلا شيء يمكن تركه للصدفة ، فكل دور من الأدوار التي مرت بها كلا الشخصيتين كانت بتدبير رباني

---

١ - توفيت خديجة أم المؤمنين عليها السلام بعد وفاة أبي طالب بشهر وخمسة أيام وكانت وفاته للنصف من شوال في السنة العاشرة من حين نُبّئ رسول الله ﷺ وهي يومئذ ابنة خمس وستين سنة ، فاجتمعت على رسول الله مصيبتان موت خديجة بنت خويلد ، وموت أبي طالب عمه . للمزيد ينظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ص ١٢٥ ، ابن الأثير . الكامل في التاريخ ، ج٢ ، ص ٢٩١ .

٢ - جاء في كتاب الرياض النضرة للمحب الطبري / ج٢ / ص ٣٠ عن عمر بن الخطاب إنه قال : أشهد على رسول الله لسمعته يقول : لو أن السموات السبع والأرضين السبع وضعت في كفة ، ووضع إيمان علي في كفة لرجح إيمان علي .

على وفق حساب دقيق لكي تبقى الشخصيتان لصيقتين أحدهما بالأخرى[١] .

فمحمد اليتيم ذو الست سنوات ينتقل إلى بيت أبي طالب ليكون له أبـًا وفاطمة بنت أسد أمـًا وعلي أخـًا حتى انتقاله إلى بيت الزوجيَّة شابـًا في العشرين .

وفي موقف مطابق ينتقل الصبي علي ذو الست سنوات إلى بيت النبي محمد ، لضائقة مالية أو معاشية[٢] ، ويبقى في ظل أسرته البديلة حتى

---

١ – أما أنه لم يفارق في مشاهده إلا بتبوك ، فهو من المسلّمات ، وأما تقاربهم في الأوجه الأخرى فقد أشار إليها الإمام علي عليه السلام محدثاً عن نفسه : ((... وقد علمتم موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بالقرابة القريبة أو المنزلة الخصيصة ، وضعني في حجرة وأنا ولد ، يضمن إلى صدره ، ويكنفني في فراشه ، ويمسني جسده ، ويشمني عرقه ، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه ، ما وجد لي كذبة في قول ، ولا خطلة في فعل ، ولقد قرن الله به صلى الله عليه وآله من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكة يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ، ليله ونهاره ، ولقد كنت أتبعه إتباع الفيصل أثر أمه ، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً ، ويأمرني بالاقتداء به ، ولقد كان يجاور في كل سنة بحِراء ، فأراه ولا يراه غيري ، ولم يجمع بيت واحد في الإسلام غير رسول الله صلى الله عليه وآله وخديجة وأنا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرسالة ، وأشم ريح النبوة ...)) ينظر : الأنصاري ، أهل البيت عليهم السلام .. ، ص ٢٢٥ ؛ ابن أبي الحديد / م٣ ، ص ٢٥٠ .

٢ – جاء في تاريخ الطبري والبلاذري وتفسير الثعلبي والواحدي وشرف النبي وأربعين الخوارزمي ودرجات محفوظ السبتي ومغازي محمد بن إسحاق ومعرفة أبي يوسف القسوي أنه قال مجاهد : كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة (ضيق =

البلوغ ، وحتى بعد انتهاء ظروف الضائقة التي كانت سبباً في اصطفاء محمد لعلي ربيباً له .

وما قلناه في حق فاطمة بنت أسد وتميز رعايتها وإيثارها لمحمد من دون أبنائها وبناتها في الصفحات السابقة ، نعاود قوله في حق خديجة الكبرى ذات الزوج والأبناء ، والتي لم تذكر لنا المصادر موقفاً سلبياً واحداً لها بإزاء علي الصبي والفتى البالغ المرافق لزوجها في ليله ونهاره وحله وترحاله[1] ، فلم تأخذها الغيرة النسائية لحظة إلى

= وقحط) ، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة ، فقال رسول الله لحمزة والعباس : ((إن أبا طالب كثير العيال ، وقد أصاب الناس ما ترون من هذه الأزمة فانطلقا بنا نخفف من عياله)) ، فدخلوا عليه وطلبوه بذلك فقال : إذا تركتم لي عقيلاً فافعلوا ما شئتم ... فأخذ حمزة جعفراً . . وأخذ العباس طالباً . . وأخذ رسول الله علياً وهو ابن ست سنين كسنه يوم أخذه أبو طالب فربته خديجة والمصطفى، إلى أن جاء الإسلام وتربيتهما أحسن من تربية أبي طالب وفاطمة بنت أسد ، فكان مع النبي إلى أن مضى وبقي علي بعده ، وفي رواية أن النبي ﷺ قال : ((اخترت من اختار الله لي عليكم علياً)) . وهناك رواية مغايرة بذكرها أبو القاسم في أخبار أبي رافع من ثلاثة طرق : أن النبي ﷺ حين تزوج خديجة قال لعمه أبي طالب : ((إني أحب أن تدفع إليّ بعض ولدك ، يعينني على أمري ، ويكفيني وأشكر لك بلاءك عندي)) . فقال أبو طالب : خذ أيهم شئت فأخذ علياً عليه السلام . للمزيد ينظر: بن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب / ٢٢ ، ص ٢٠٥ .

١ - من خطبة الإمام علي المسماة الناصعة ((ولم يجمع بيت في الإسلام غير رسول الله وخديجة وأنا ثالثهما ،أرى نور الوحي والرسالة ، وأشم روح النبوة ولقد سمعت رنة الشيطان حين =

استكثار هذا الحب والمشاركة الحميمية التي خصَّ بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ابن عمه عليـاً.

لقد نكح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خديجة بنت خويلد وهو ابن خمس وعشرين سنة وخديجة يومئذ ابنة خمس وعشرين أو ثمان وعشرين[١] ، وفي بعض الروايات أربعين سنة[٢]، وكانت خديجة المسماة (بالطاهرة) في الجاهليَّة، الجاهليَّة، امرأة حازمة عاقلة شريفة مع ما أراده الله من كرامتها باقترانها بالنبي محمد، ففي أحد بيوتات مكة ولدت خديجة الكبرى لأسرة ذات مكانة وشرف ، وهي يومئذ أوسط قريش نسبـاً ، وأعظمهم شرفـاً وأكثرهم مالاً وكل قومها كان حريصـاً نكاحها لو قدر على ذلك[٣] . فلما أرسلت

= نزل الوحي عليه)) ، فمن استقى عروقه من منبع النبوة ورضعت شجرته ثدي الرسالة وتهدلت أغصانه من نبعة الإمامة ، ونشأ في دار الوحي وربّي في بيت التنزيل ولم يفارق النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حال حياته إلى حال وفاته لا يقاس بسائر الناس . للمزيد ينظر : ابن شهرآشوب ، مناقب أل أبي طالب / ٢ ، ص ٢٠٦ .

١ – دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، أبو بكر البيهقي ، تحقيق: (عبد المعطي قلعجي) ، منشورات دار الكتب العلمية – دار الريان للتراث ، ١٩٨٨ ،اج٢ ، ص ٧٠ . الطبقات الكبرى، محمد بن سعد ، تحقيق: علي محمد عمر، منشورات مكتبة الخانجي ، ١٤٢١ – ٢٠٠١ . أنساب الأشراف ، البلاذري ، تحقيق: سهيل زكار ، ج١ ، ص ١٠٨.

٢ – ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج١ ، ص ٥٣٢ .

٣ – ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ص ١٣١ .

إلى النبي ﷺ خاطبة إليه نفسها قال لأعمامه وخرج معه حمزة ابن عبدالمطلب وأبو طالب الذي ألقى خطبة النكاح[١] ، فتزوجها النبي محمد فولدت له أولاده كلهم ، إلا إبراهيم، وهم : زينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة والقاسم وبه كان يكنى وعبدالله والطاهر والطيب وقيل : إن عبدالله ولد في الإسلام هو والطاهر والطيب، أمَّا القاسم والطاهر والطيب فهلكوا في الجاهليَّة[٢] .

لقد شاءت العناية الإلهية أن يفقد النبي محمد ﷺ أولاده الذكور الواحد تلو الآخر ولم يبق في أحضانه من الولد إلا علي ، فكان خير عوض لخديجة أم المؤمنين وزوجها ، وأبر ولد لوالديه ، فلم يفارقهما في ليلهما ونهارهما حتى وفاتهما[٣] .

إنَّ السرد التاريخي للوقائع لم يسعفنا كثيراً في هذه الناحية ، فلم يتعرض للجزئيات المتعلقة بحياة أم المؤمنين خديجة الكبرى إلا أن

١- قال أبو طالب : الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع إسماعيل ، وضئضئ معد وعنصر مضر ، وجعلنا حضنة بيت المتكلفين بشأنه ، وسواس حرمه ، القائمين بخدمته ... ثم ابن أخي هذا محمد بن عبدالله لا يوزن به رجل إلا رجح به شرفًا ونبيً وفضلاً وعقلاً .. وهو والله بعد هذا ، له نبأ عظيم ، وخطر جليل ، وقد خطب إليكم رغبة في كريمتكم خديجة . للمزيد ينظر : مريم فضل الله ، المرأة في ظل الإسلام ، ص ١٢٥ ..

٢- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ / ج١ ، ص ٥٣٢ .

٣- محمد جواد مغنية ، فضائل الإمام علي ، ص ٣٢ .

هناك إشارات يمكن أن ترسم بعض معالم شخصيتها المتميزة ، ففي تاريخ دمشق ورد أنها ولدت قبل عام الفيل بخمس عشرة سنة ، ويحدد بعض المؤرخين ولادتها بأنها سنة ٦٨ قبل الهجرة ، وقد فتحت أم فاطمة الزهراء بصرها في بيت مجد وسؤدد ، ورياسة ، ونشأت على الأخلاق الحميدة واتصفت بالحزم والعقل والعفّة .

لقد كان بيت النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة الكبرى واحة من الدعة والاستقرار والطمأنينة ، وكانت حياتهما أنموذجـًا رائعـًا للحياة الزوجيَّة التي يريدها الله عز وجل لخير خلقه ولمن اقتدى به . من هنا بدأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من عائلته الصغيرة ثورة التغيير ، بإنشاء نواة الأسرة المؤمنة المتكوّنة من علي وخديجة وزيد ، من ابن عمه وساعده الأيمن ، وخديجة زوجته الوفية الصابرة ، بهذه الأسرة شاءت القدرة الإلهية أن يشق النبي العظيم مجرى التاريخ ، وأن يفتح طريقـًا وسط التيار . وأن يقاوم بتلك الأسرة الانحراف ، وأن يحدث منها موجـًا هادراً يتحول شيئـًا فشيئـًا إلى تيار جارف للوثنية والجاهليَّة[١] .

ذكر المؤرخون أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنذ السابعة والثلاثين من عمره الشريف أخذ يتهيأ لتلقي مسؤولية الرسالة ، فكان يتحنّث شهراً من كل

١ – محسن باقر القزويني ، علي بن أبي طالب رجل المعارضة والدولة ، ص ٢٧ .

سنة يأخذ معه أهله ولا سيّما في السنة التي تلقى فيها الوحي ، فالنبي كان يعمل على نقل أسرته الكريمة من أجواء ذلك المجتمع الجاهلي إلى رحاب الله تعالى .

وقد تشربت نفس علي النامية كل العوامل الإيجابية من تعامل الزوجة المثالية (أم فاطمة) مع عائلتها، وهو يشاهد بأم عينيه صور الحب والإخلاص تتجسد يومياً في تعامل أفراد أسرته مع بعضهم بعضاً ، أحبَّ الرسولُ الأكرم زوجَه خديجة رضي الله عنها وأحبته، وأخلص لها وأخلصت له، فلم يكن يرى في الدنيا من النساء من تعادل خديجة منزلة وحظوة، فهي أول من آمن برسالته ، وصدق دعوته ، وبذلت ثروتها الطائلة في سبيل الله تعالى ، ومن أجل نشر الدعوة الإسلاميَّة ، فتحملت مع رسول الله ﷺ عذاب قريش ومقاطعتها وحصارها[١] .

وفي بيت رسول الله ﷺ بدا علي عليه السلام مرحلة جديدة من حياته بانفصاله عن الأب والأم وعن الأخوة وانضوائه في كنف ابن عمه وهو في السادسة ، مهَّد السبيل إلى اتصاله المباشر بالنبع الأصيل الذي تولى تعليمه وتهذيبه[٢] .

---

١ - حسن السعيد ، المرأة المسلمة هموم وتحديات ، ص ٢٤٩ .

٢ - محسن باقر القزويني ، علي بن أبي طالب رجل المعارضة والدولة ، ص ٢١ .

وهكذا توجهت مشاعر الأبوة لدى محمد نحو علي ابن عمه وأخيه وولده ، وكذا الأمر مع مشاعر الأمومة لدى خديجة نحو علي فكان ابنها البار المتنسم خطاهما في السرَّاء والضرَّاء ، لم يفارقها حتى مماتها .

وإنْ صحَّت رواية أبي رافع[١]، في التحاق علي ببيت خديجة الكبرى منذ تأسيس بيت الزوجيَّة ، فإنَّ تربية فاطمة بنت أسد وأبي طالب ليست بأقل أثراً من تربية النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وخديجة بنت خويلد ، ولكن ما يميزها أن النبي وزوجه قد حُرما الصبي تلو الآخر فعوضا بالصبي علي فتركَّزت نحوه جل رعايتهما وحبهما إياه ، وكانت تربيتهما له تربية وتهيئة للإسلام ودوره المستقبلي فيه .

ولدينا أن هذه الرواية أقرب إلى حقيقة الأمور ومساراتها اللاحقة ، في اصطفاء محمد لعلي لأوجه منها: إنَّ الإمام عليّـًا أكد في خطبه المشهورة مراراً ملازمته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم منذ الولادة حتى الوفاة من دون مفارقة ، ولو كانت هناك حقائق أخرى لهذا الاصطفاء لأشار إليها الإمام في كلامه وخطبه .

---

١ – ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب / ٢ ، ص ٢٠٥ .

فضلا عن ذلك فإنَّ النبيَّ محمداً ﷺ كان بحاجة فعلية بعد زواجه بخديجة إلى من يكون معه من بيت أبي طالب عائلته الأصل التي ربَّته وأغدقت عليه حنانها ورعايتها الكبيرة ، فكان أخذه لعلي عن سبق تدبير .

عاش النبي محمد وعلي مع خديجة الكبرى أربعةً وعشرين عاماً وبضعة شهور ، هي مدة زواجهما المبارك[١] ، وكانت هذه الأسرة المثالية واحة الفضيلة في صحراء الجاهليَّة وبحبوحة السعادة في دنيا الشقاء آنذاك يعمرها الحب ويشد أواصرها الإخلاص[٢] .

وقد استمرَّ هذا الحب والوفاء والإخلاص حتى بعد موتها ، ولم تستطع أي من زوجاته أن تحتل مكانها في نفسه وهو القائل فيها : (ما أبدلني الله خيراً منها ، كانت أم العيال ، وربة البيت ، آمنت بي حين كذبني الناس ، وواستني بمالها حين حرمني الناس ، ورزقت منها الولد وحرمت من غيرها)[٣] .

وهكذا تشارك هؤلاء الثلاثة السكن واللقمة الهنية ونور الإيمان ، فبزغ نور الإسلام في قلوب الثلاثة (محمد ، وخديجة ، وعلي) في آن ،

١- محمد جواد مغنية ، فضائل الإمام علي ، ص ١٧ .

٢- موجز ، ص ١٣ .

٣- موجز ، ص ١٠٤ .

فقد بُعث النبي صلى الله عليه وآله يوم الاثنين وصلى علي يوم الثلاثاء فكانت خديجة وعلي أول من أسلما ، وصلى مع النبي[١] .

وعن أنس بن مالك قال : بُعث النبي صلى الله عليه وآله يوم الاثنين وأسلمت خديجة في آخر ذلك اليوم وأسلم علي عليه السلام يوم الثلاثاء[٢] .

وكانت الحياة الزوجيَّة تسير موفقة هادئة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله قبل البعثة يقسم وقته بين بيته وتجارته وعبادة ربه ، وكان يذهب إلى غار حراء للتعبد والتأمل والتفكير ولا يعلم بهذا الحال إلا رفيقه الإمام علي وزوجه ورفيقة الدرب خديجة الكبرى[٣] .

وحتى هنا ، فإنَّ الأم وربة البيت خديجة تضرب مثالاً في التضحية فما كانت لتضيق بهذه الخلوات التي تبعد عنها زوجها محمد وولدها علي عنها أوقاتـًا طويلة ، ولا كانت تتدخل في شؤونه أو تقطع عليه صفو تأملاته بل هيأت له كل أسباب الراحة ووسائل الاستقرار النفسي والهدوء

---

١ – في قول للإمام علي عليه السلام : لقد عبدتُ الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة سبع سنين ، وقوله: كنت أسمع الصوت وأبصر الضوء سنين سبعـًا ورسول الله صلى الله عليه وآله حينئذ صامت ما أُذن له في الإنذار والتبليغ . للمزيد ينظر : ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة / ج١ ، ص ٤١ ؛ ابن الأثير ، الكامل في التاريخ / ج١ ، ص ٥٤٦ .

٢ – سعيد أبو معاش / ج١ ، فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في القرآن الكريم ، دار المودة ، مطبعة اعتماد ، ط١ ، ص ٣٢ .

٣ – حسن السعيد ، المرأة المسلمة ، ص ٢٥٠ .

والطمأنينة والاطمئنان[١]. بل أنَّ عليـًا كان يحمل لرسول الله ﷺ أيام التحنّث الزاد والماء من بيت خديجة الكبرى رضي الله عنها إن لم تحمله الخادم، فكانت خديجة وكان عليّ عونـًا للنبي على تعبده إلى الله عز وجل[٢] .

إن تشابك هذا الثلاثي الإيماني وتماسكه كان على أشده قبل علانية الدعوة وبعدها ، فها هم يعلنون ارتباطهم الروحي والقلبي والوجداني أمام بيت الله الحرام في صلاة جامعة ما كانت تعرفها العرب وقريش من قبل. ففي موقف متواتر يذكر لنا عفيف الكندي ما حضره وشهده بالقول:-

كنت امرءاً تاجراً فقدمت مكة أيام الحج ، فأتيتُ العباس فبينما نحن عنده إذ خرج رجلٌ فقام تجاه الكعبة يُصلي ثم خرجت امرأة تُصلي معه ثم خرج غلامٌ فقام يصلي معه ، فقلت يا عباس ما هذا الدين . فقال : هذا محمد بن عبدالله ابن أخي ، زعم أن الله أرسله وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه وهذه امرأته خديجة آمنت به وهذا الغلام عليّ ابن أبي طالب آمن به ، وأيم الله ما أعلم على ظهر الأرض أحداً على هذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة ، قال عفيف : ليتني كنتُ رابعـًا[٣] .

١- غادة الخرسا ، ص ١١٨ .

٢- جاء في أعيان الشيعة ج١ ، ص ٣٧٣ نقلاً عن : محسن باقر القزويني ، علي بن أبي طالب رجل المعارضة والدولة ، ص ٢٨ .

٣- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ / ج٢ ، ص ٥٧ .

إنَّ سبق الوالدة والولد هنا في إجابة دعوة الأب للدين الجديد أمر مسلم به ، فلقد سبقت خديجة بنت خويلد جميع الخلق في إجابتها وتصديقها ومؤازرتها للزوج الحبيب[١] ، وكذا كان سبق علي للإيمان بدعوة البشير النذير ، قال أبو نعيم في حلية الأولياء : ((إن قوله تعالى : واركعوا مع الراكعين ، نزلت في رسول الله وعلي خاصة ، وهما أول من صلى وركع)) وفي سنن ابن ماجه وتفسير الثعلبي أن عليـًا صلى مع النبي مستخفيـًا سبع سنين وأشهراً . وفي تاريخ الطبري أن عليـًا قال : أنا عبد الله وأخو رسول الله ، وأنا الصدّيق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر ، صليت مع رسول الله سبع سنين[٢] .

وقال ابن عباس : لعلي أربع خصال ليست لأحد غيره ، وذكر منها أنه أول عربي وعجمي صلى مع رسول الله[٣] .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا حضرت الصلاة – وهي تعبد قبل أن تفرض الصلاة ليلة الإسراء – خرج إلى شعاب مكة ، وخرج معه علي بن أبي طالب فيصليان، فإذا أمسيا، رجعا.. فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا[٤].

---

١ – محمد جواد مغنية ، فضائل الإمام علي ، ص ٤٧ .

٢ – ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب ، ص ٢٤٧ .

٣ – المحب الطبري ، الرياض النضرة / ج٢ ، ١٩٥٣ ، ص ٢٠٨ .

٤ – عبد الرحمن الشرقاوي ، علي إمام المتقين / ج١ ، ص ١٧ .

ثم إن أبا طالب سأل علياً وقد وجده يصلي : " ما هذا الدين الذي أنت عليه ؟! " فقال : " يا أبت آمنت بالله ورسول الله وصدقته بما جاء به وصليت معه لله واتبعته" فقال له: "أما إنه لم يدعك إلا إلى خير، فالزمه". وهكذا كان حال فاطمة بنت أسد التي كانت أول امرأة تسلم بعد أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وتبعهما ابنهما جعفر عندما أمره والده بالصلاة على يسار النبي وقد وجده يصلي وعلي على يمينه بالقول : ((صل جناح ابن عمك))[1] .

إنَّ القارئ لمواقف النجوم المحمدية والعلوية في بيت النبي والوصي، يصل إلى نتيجة خلاصتها ، إن كلا البيتين بيت واحد والأسرتين أسرة واحدة ، تشابهت وتناظرت في كل الأمثال والأقوال والمواقف المبدئية ووقوعها تحت ذات الشدائد والمحن ، لقد أعانت أم الإمام علي فاطمة بنت أسد ولدها على طاعة ربه ، لأنها قد أسلمت بعد خديجة ، بل أن أباه قد أعانه على اتباع ابن أخيه محمد ﷺ . وكذلك أخوه جعفر الطيار ذو الجناحين السابق إلى الإسلام والهجرة والمبايعة ، فإذا أضيف إلى ذلك أن علياً قد عاش في بيت النبوة مع خير البرية ﷺ ومع خير النساء خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ، ورأى ما لم يره غيره، وسمع

١ - عبد الرحمن الشرقاوي ، علي إمام المتقين ، ج١ ، ص ٨ .

ما لم يسمعه سواه وهو في سنوات التكوين والحداثة ، فوعى ما رأى وسمع ، وأشرب حب الله ورسوله منذ نعومة أظفاره وعليها درج[١] . فأضحى كما قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله : ((أشبهت خُلقي وخَلقي))[٢] .

و سنرى الأسرتين تعود لتصبح أسرة واحدة والعائلتين يلتئم شملهما ثانية على سفوح شعب أبي طالب في حصار دام ثلاث سنوات قاست فيه عائلة علي ابن أبي طالب الأصلية والبديلة معًا أقسى أنواع المحاصرة والتضييق الاجتماعي والاقتصادي والنفسي في معركة خاضتها هذه العائلة المندمجة والمنصهرة في حب الله ورسوله ودعوته من دون غيرها من أسر مكة .

تجمع مسلمو بني هاشم في شعب أبي طالب ليوفروا الحماية للرسول ودعوته ، ومع استمرار الحصار لثلاث سنوات ، حتى اضطر المحاصرون في بعض الأيام أن يقتاتوا على حشائش الأرض فهزلت أجسامهم وهدت قواهم ، وزادت قريش من حلقة الحصار فضاعفت المحنة على بني هاشم ، فكانت هذه السنوات هي آخر أيام قضاها الإمام علي مع والده أبي طالب ووالدته الثانية أم فاطمة الزهراء خديجة ، وقد كانت أيام الحصار لعلي بوصفها معسكراً للفتوة وإثبات الجدارة في تحمل

١- محمد بكر إسماعيل ، فقيه الأمة ومرجع الأئمة علي من أبي طالب ، الناشر شهاب الدين ، المطبعة كلها ، قم –إيران ، ط١ ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م . ص ٣٤ .

٢- ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة / ج١ ، ص ٥٣ .

المسؤولية ، إذ قضى في الشعب أفضل مدد الشباب، إذ دخلها وعمره سبع عشرة عاماً ، وخرج منها وعمره عشرون عاماً[١]، فكانت تجربة جديدة في حياته عوَّدته على الفداء بامتثال أوامر والده أبي طالب في أن يبيت في مكان رسول الله ﷺ إيهاماً لقريش وإحباطاً لخططها في القضاء على النبي المصطفى. أو في خروجه من الشعب ليلاً إلى مكة سراً ليأتي بالطعام[٢] .

إلا أن أيام الحصار كانت أشد وطأة على أم المؤمنين خديجة الكبرى عليها السلام ، لقد خرجت من بيتها لتنضم إلى بني هاشم ، وقد جاوزت الستين من عمرها وعادت إلى بيتها بعد ثلاث سنوات عجاف نالت منها كثيرا من المتاعب والمصاعب ، فلزمت فراشها حتى حم القضاء فأسلمت روحها الطاهرة إلى خالقها في العام الذي خرجت فيه من حصار شعب أبي طالب ، وقيل إنَّها ماتت بعد ثلاثة أيام من موت أبي طالب فكان ذاك العام عام الأحزان للنبي وآل بيته والمؤمنين[٣] .

وبوفاة خديجة رضي الله عنها فقد النبي الحبيب والعون والمواسي ، وفقد علياً الأم الرؤوم التي رعته سنوات ترعرعه ونماه ورفيقة درب إيمانه وسبقه وصلاته ، حقاً إنه عام الأحزان فقد الإمام علي فيه أحب الناس

١- محسن باقر القزويني ، علي بن أبي طالب رجل المعارضة والدولة ، ص ٤١ .

٢- ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة / ج١٣ ، ص ٢٥٦ .

٣- حسن السعيد ، المرأة المسلمة هموم وتحديات ، ص ٢٥١ .

إلى قلبه وأكثرهم عطفاً عليه والده أبي طالب ووالدته – أمه الثانية خديجة بنت خويلد .

لقد كانت خديجة رضي الله عنها تنثر العطاء ، في كل الاتجاهات ، وتبذر القيم أنى حلّت ، وتواصل الدرب الصعب على الرغم من فداحة الخطب ووعورة المسلك ، بنكران مميز للذات حتى أتتها بشارة السماء على لسان جبريل عليه السلام ببيت في الجنة من قصب لا نصب فيه ولا صخب .

إن وفاة سيدة المؤمنات وسابقتهن إلى الإسلام خديجة التي شهد لها الرسول الأعظم بالكمال بين النساء[١] ، كانت خسارة فادحة لعلي بن ابي طالب ، فقد تركت فراغاً في حياته ما كان لأحد أن يسده إلا امرأة من جنس خديجة بل ثمرة فؤادها ، وابنتها الحميمة والأثيرة ، فاطمة الزهراء التي رافقت الإمام في سني شبابه ، وغدت خديجة في البال أماً وأم زوجة، حريٌّ أن يفاخر بها الإمام على العالمين ، مصداقاً لقول الرسول الكريم له مراراً : ((يا علي لك أشياء ليست لي ، .... ولك مثل خديجة أم أهلك وليس لي مثلها حماة ...))[٢]

١- بن شهرآشوب ، مناقب يل أبي طالب / ٢ ، ص ١٩٤ .

٢- مريم فضل الله ، المرأة في ظل الإسلام ، ص ١٤٣ .

فاطمة الزهراء .. أغلى الفواطم

في الخلق ذرى ، وفي الروح سنى ..

هي بضعة النبي المصطفى وزوج الوصي المرتضى ..

البتول فاطمة الزهراء ، أغلى الفواطم التي خطت بأثرها في صفحة حياة الإمام علي ، وبآصرة القرب منها كان يفتخر بالقول : ((ألا أخبرك عني وعن فاطمة ؟ كانت ابنة رسول الله ﷺ وأكرم أهله عليه ، وكانت زوجتي ، فجرّت بالرحى حتى أثرت في يدها ، واستقت بالقربة حتى أثرت في نحرها ، وقمّت البيت حتى أغبرّت ثيابها ، وأوقدت تحت القدر حتى (دنست ثيابها) وأصابها من ذلك ضرّ))[١] .

وفاطمة بنت محمد هي المرأة العظيمة التي لولاها لما خلق الله السموات والأرض ولولاها لما خلق الله الأنبياء والأوصياء ، إذ قال عز من قائل كما في الحديث القدسي الشريف مخاطباً نبيه الكريم: (يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك ، ولولا علي لما خلقتك ، ولولا فاطمة لما خلقتكما)[٢] .

---

١ - سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص / ج٢ ، ص ٣٣٨ .

رواه الشيخ الصدوق في الباب ٨٨ من علل الشرائع ص ٣٦٦ ؛ ورواه أبو نعيم في ترجمة فاطمة الزهراء عليها السلام من حلية الأولياء ٢/ ٤١ رقم ١٣٣ ، ورواه الطبراني في الحديث ٢٣٥ من كتاب الدعاء ص ٩٥ .

٢ - محمد جواد مغنية ، حياة الصديقة فاطمة ، ص ٩ .

وهذه العلاقة السببية التي أوجدها الخالق عز وجل في حتمية الوجود، وفي الخلق يظهر الضرورة الإلهية في خلق فاطمة الزهراء عليها السلام وجعلها حلقة الوصل ما بين النبوة والإمامة ، فكانت الزهراء ليكونا .

ومولاتنا سيدة النساء هي قرّة عين أبيها المصطفى ، وهي من بعد ذلك قرّة عين بعلها علي المرتضى ، ومثلما كان علي بن أبي طالب في عين النبي محمد صلى الله عليه وآله منذ أبصر النور ، هكذا كانت فاطمة بنت محمد في عين علي عليه السلام منذ أبصرت النور .

ففي بيت النبوة ترعرعا معـًا تحت وارف ظل النبي ورعاية زوجه خديجة الكبرى عليها السلام ، ولما كانت فاطمة هي أصغر أبناء الرسول وأحبهم إليه، ولم يكن يرى غيرها منزلة عنده ، كذلك كانت فاطمة في عين علي ووجدانه أحب الخلق إليه بعد والدها ، ولم يرَ من النساء ما تعادلها محبة ومنزلة في قلبه.

ولسوف نكتشف عوالم علي والزهراء مفصلة في فصل لاحق ، ولكن هنا لابد من ذكر إضاءات تشرق على أذهاننا ونحن نتصفح زوايا آصرة الود والتكامل ما بين هذين المخلوقين المنزهين المطهّرين من الرجس ، ما بطن منه وما ظهر .

الإضاءة الأولى: تذكر لنا أنَّ أبا طالب عليه السلام لم يقترن بغير فاطمة بنت أسد أم الإمام علي عليه السلام ، ولم يقترن محمد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بغير خديجة

بنت خويلد أم المؤمنين عليها السلام ، ولم يشرك امرأة أخرى في حياته طوال سني عمرها المبارك، وهكذا كان الحال لدى الإمام علي عليه السلام الذي لم يتزوج بغير فاطمة الزهراء عليها السلام حتى فارقت الحياة بظلامتها الشهيرة.

إنَّ هذا التكامل والاندماج الكلي مع النصف الآخر أمرٌ محمود ونادر ، يكاد يفتقد في العديد من العلائق الزوجيَّة ويبعد العلائق الأسرية – إن افتقدته – عن الاستقرار والطمأنينة . لذا غدا شخص علي وفاطمة بعد اقترانهما السماوي – الأرضي ، يمثل الامتداد الطبيعي للنبوة ، وبيتهما بيت الرسالة وهما مع والدهما النبي المصطفى صلى الله عليه وآله ، وولديهما الحسن والحسين (آل البيت) الذي أذهب الله عنه الرجس وطهَّرهم تطهيرا .

فأظهر بيت الإمامة (بيت علي وفاطمة) أفضل وأبهى مزايا وظروف الأسرتين ، أسرة النبي محمد وعلاقته مع زوجته أم فاطمة ، وأسرة أبي طالب وعلاقته مع زوجته فاطمة بنت أسد ، أم علي .

الإضاءة الأخرى: إنَّ الإمامَ عليّاً عندما أطل على الدنيا ، باركت السماء إطلالته وهيئت لها كل المسببات الإعجازية ، وهكذا كان الأمر مع إطلالة الزهراء عليها السلام على دنيا الوجود متناظرة مع مسببات ميلاد الوصي عليه السلام إعجاز في التكوين والتشكيل والظهور ، وما قبل الظهور .

فقد أجمعت المصادر التاريخيَّة على أن فاطمة الزهراء عليها السلام كانت تحدث أمها خديجة الكبرى عليها السلام وهي في بطنها مواساة وتأسياً لها عن مفارقة المجتمع المكي لها .

ويظهر الإعجاز الآخر جلي الوضوح والبرهان ، في منع اقتران علي والزهراء من أحد آخر ، فكان زواجهما أمراً رتبته العناية الإلهية بحذافيره، كما جاء على لسان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، إن فاطمة زوجت من علي في السماء قبل الأرض .

وسنذكر بالتفاصيل ، جزءاً يسيراً مما حفلت به كتب السير عن ذكر تفاصيل هذا الزواج ودقائق حياة الإمام علي مع أغلى الفواطم وعناية والدها بتجهيزها وإيثاره إياها من دون الآخرين ، في متابعة تأثيث بيت الزوجيَّة ونوع المقتنيات وملازمته إياهما لإرشادهما مبادئ المعاملة الأسرية والزوجيَّة منذ ليلتهم الأولى ورعايته لهذه الأسرة المحمدية حديثة التكوين ورعايته لها حتى آخر يوم من عمره الشريف .

فأضحى هذا البيت وأهل هذا البيت ، هم أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهم أعلام الهدى والرشاد ، وأئمة المتقين جميعاً ، والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فَرَطهم على الحوض يوم القيامة ، ليسقي المؤمنين والمؤمنات من أمته جرعة لكل واحد منهم لا يظمأ بعدها أبداً .

لقد تمازجت روح الإمام علي مع روح الزهراء عليهما السلام في الدنيا والآخرة ، فحبهما وحب والدهما وولديهما علامة الإيمان والنجاة من النار ، وإذا كان علي بن أبي طالب قسيم الجنة والنار ، فإنَّ فاطمة الزهراء تشفع يوم القيامة مدّ بصرها فيمن شاء الله عز وجل أن تشفع له ، وإنها لخير نساء أهل الجنة في أعلى عليين مع أمها خديجة الكبرى أكمل النساء إيمانـًا وأصدقهن يقينـًا ، وهي بضعة خير خلق الله وخاتم رسله .

وهذا ما سنتناوله باستفاضة في الفصل اللاحق . بعد أن نعرج على فاطمة أخرى في حياة الإمام علي عليه السلام ، فمن دون كل الزوجات اللواتي اقترن بهن الإمام بعد وفاة مولاتنا سيدة نساء العالمين ، تظهر لنا السيرة العطرة لسيدة جليلة مميزة هي أم البنين (فاطمة بنت حزام) أم بطل الشريعة أبي الفضل العباس عليهما السلام . فلماذا هذه الزوجة بالذات التي حظيت بكل هذه المكانة الرفيعة بين أزواج علي عليه السلام ؟

هذا ما سنتحدث عنه في الصفحات اللاحقة .

علي وأم البنين .. فاطمة أخرى

يحقُّ لي أن أطلق على مولاتنا أم البنين لقب (المظلومة) سرداً وتاريخـًا ، فهذه السيدة الجليلة ذات المأثرة العظيمة لا تذكرها المصادر إلا بالنزر اليسير أو أقل من ذلك !! ولا يعرف سبب هذا التغافل أو التجاهل حقـًا إلا أن تاريخنا الإسلامي كان ملكـًا للحكومات الظالمة الجائرة[١] .

والحق أنَّ هذه السيدة الجليلة لو لم يكن لها من المآثر إلا تضحيتها بأولادها الأربعة لكفاها فخراً وعزاً وذكراً مدى الدهر ، فكيف وهي زوج الوصي علي المرتضى عليه السلام ووالدة بطل الشريعة أبي الفضل العباس عليه السلام ؟

---

١ – محمد اليعقوبي ، انتصاراً لأم البنين – هل كان للخنساء أربع أولاد استشهدوا في معركة القادسية ؟ مركز الإمام المهدي للدراسات الإسلاميَّة ، النجف الأشرف ، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م ، ص ٤٦ .

يتناول المؤلف في كتابه هذا بالبحث والتقصي والتفسير لماذا تجاهل التاريخ مأثرة أبناء أم البنين عليها السلام الشهداء الأربعة في معركة الطف الخالدة الذين ضحت بهم دون أخيهم الإمام الحسين عليه السلام . وسلطت الأقلام الضوء مركزاً على تضحية الخنساء بأولادها الأربعة في معركة القادسية ويخلص إلى نتيجة مفادها أن هذه الرواية موضوعة وأنها لا أساس لها من الصحة من خلال مناقشة السند ورجاله والمتن ورواته .

أما اقترانها بالإمام علي فحدث تذكره الكتب ولكن باقتضاب. فعلي عليه السلام لم يتزوج في حياة فاطمة الزهراء كما ذكرنا من قبل حتى توفيت عنده[١] . ثم تزوج بعدها أم البنين وهي (فاطمة بنت حزام الكلابية) مع زوجات أُخريات تتفاوت الروايات في عددهن .

وقد اختلف المؤرّخون في عدد النساء اللاتي تزوجهن الإمام علي عليه السلام اختلافاً كثيراً ، فابن أبي الحديد يذكر في كتابه (نهج البلاغة) إنه تزوج بعد فاطمة رضي الله عنها ست نسوة ، ويذكر الشبلنجي في كتاب (نور الأبصار) أنهن سبعة ، أما المقريزي في كتابه (اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا) أنهن ثمانية وهو ما قاله الطبري في (تاريخ الأمم والملوك)[٢] . ويزيد ابن شهر آشوب في عددهن إلى تسعة مع ذكر أسمائهن وأولادهن وأنسابهن[٣] .

ويذكر المؤرخون أنَّ الإمام عليّاً عليه السلام عندما أراد الزواج بعد وفاة الزهراء عليها السلام سأل أخاه عقيل بن أبي طالب أن يختار له امرأة بعينها وصفاتها، وكان عقيل يعد واحداً من أربعة من قريش عالماً بالأنساب

١- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ –ج٣ ، ص ٢٤٥ .

٢- محمد بكر إسماعيل ، فقيه الأمة ومرجع الأئمة علي بن أبي طالب ، ص ٨١ .

٣- ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب –٣ ، ص ٣٤٩ .

والأخبار ، وهو من الثقات في معرفة الأنساب لذلك استشاره في الأمر[١].

فقد روي أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لأخيه عقيل : ((... انظر إلى امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب ...)) .

فقال له : تزوج أم البنين الكلابية ، واسمها فاطمة بنت حزام ، وكانت عالمة ...[٢] .

وفي رواية أخرى مماثلة ، روي أن أمير المؤمنين عليه السلام قال لأخيه عقيل:... ((انظر إلى امرأة قد ولدتها الفحولة من العرب لأتزوجها فتلد لي غلامـًا فارسـًا)). فقال له: تزوج أم البنين الكلابية، واسمها فاطمة بنت حزام ، وكانت عالمة... فتزوجها أمير المؤمنين عليه السلام ، فولدت له العباس وجعفر وعبدالله وعثمان... فكلهم قتلوا في نصرة الحسين عليه السلام[٣].

وبعض المصادر تذكر اسم ابنها الأخير عثمان باسم آخر (عبدالرحمن)[٤] . ولا بقية لهم غير العباس .

١- أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ) ، البيان والتبيين ، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون ، مكتبة المثنى ببغداد ومكتبة الخانجي بمصر –ط٢ ، ١٩٦٠ ، ص ٣٢٣ .

٢- علي الأحمدي الميانجي ، عقيل ابن أبي طالب ، تحقيق: ومراجعة مجتبى فرجي ، دار الحديث للطباعة والنشر ، ط١ ، إيران – قم / بيروت – لبنان ، ١٤٢٠هـ ، ص ٣٣ .

٣- أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأصفهاني (٣٥٦هـ) ، مقاتل الطالبيين ، تحقيق: أحمد صفر ، قم ، انتشارات الشريف الرضي ، ط١ ، ١٤٠٥هـ ، ص ٩٠ .

٤- محمد بكر إسماعيل ، فقيه الأمة ... ، ص ٨٣ .

وإذا كان اسمها (فاطمة بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد)[١] من بني كلاب ، فإنّ لقبها أم البنين (الأربعة) قد غلب على اسمها فاطمة، وأصحاب السير يرون موقفًا مبكراً لإيثار هذه المرأة المسلمة العظيمة الشأن، إذ يذكر أنها طلبت من الإمام علي بعد زواجه منها أن لا يناديها باسمها (فاطمة) مجرداً في البيت!؟ وعندما سألها أميرالمؤمنين عن السبب وراء طلبها هذا ، قالت له صادقة : أنها ترى الأسى والتوجع في عيون أولاد الزهراء عليهم السلام ؛ لأنَّ اسم والدتهم يطرق سمعهم فيجدد أحزان فراقها لهم .

إيثار وأي إيثار من زوجة جديدة ، ومحبّة ورعاية تغدقها على أولاد (ضرتها) ، ولقد بقيت خصلة الإيثار هذه ملازمة لفاطمة أم البنين طوال عمرها وحتى بعد استشهاد الإمام علي ، ومن لا يستذكر بفخر وتأثر موقفها الجميل – الجليل يوم رجوع ركب الحسين عليه السلام إلى المدينة المنورة بعد واقعة الطف الأليمة .

إنَّ النظرية الإسلاميَّة ترى أن الأسرة تمثل وحدة رئيسة ومركزية في بناء المجتمع ، ولا يمكن أن يبنى المجتمع الصالح ويتكامل من دون بناء الأسرة الصالحة[٢] .

١- يذكر المفيد في الإرشاد ، ص ١٨٦ : (إن أم البنين بنت حزام بن خالد بن دارم) .

٢- محمد باقر الحكيم ، الزهراء عليها السلام –أهداف . مواقف . نتائج ، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم، مطبعة العترة الطاهرة / ط١ ، النجف الأشرف ، ٢٠٠٦ ، ص ٣٦ .

وبعض النسوة قد يوفقن لأن ينهضن بدور مهم في الجانب الأسري والجانب الجهادي والعقائدي ، ولقد وفقت (أم البنين فاطمة) زوجة الإمام في الرعاية المنزلية وفي ترتيب وضع الأسرة وجعلها أسرة قوية صالحة متماسكة ، فكانت أمـًا لبنيها الأربعة ومن قبلها أمـًا لأولاد فاطمة الزهراء عليها السلام ، كيف لا تكون هكذا وقد اختارها الإمام علي عليه السلام بعد تفحص وتدبر واستشارة لتلد له فوارس وأبطال هيئوا جميعـًا لموقف عظيم في كربلاء .

لقد زرعت (أم البنين) في نفوس أولادها حب آل الرسول وطاعة أولي الأمر منهم ، أبيهم ومن بعده أخوتهم الحسن والحسين عليهما السلام فكانوا أطوع إليه من بنانه في الجود بالنفس يوم عاشوراء وهو أقصى غاية الجود . ولقد تلقت نبأ استشهاد بنيها الأربعة ، العباس وعبدالله وعثمان وجعفر في معركة كربلاء سنة ٦١هـ بقولها : (الحمد لله الذي جعل أولادي فداء لأبي عبدالله الحسين) ، والحسين يعني رسول الله والإسلام فهم فداء للإسلام[١] .

ولا نغفل عن واقع حال الظرف المعاشي الذي عاشته هذه المرأة المؤمنة تحت كنف أمير المؤمنين وقد لازمته طوال حياته في أقسى الظروف الاجتماعية والسياسية التي حفلت بها أيام الإمام يومـًا بيوم ، قال

١ – محمد اليعقوبي ، انتصاراً لأم البنين ، ص ٤٤ .

العقاد في كتابه عبقرية الإمام : ((أما معيشة علي في بيته بين زوجاته وأبنائه فمعيشة الزهد والكفاف ، وأوجز ما يقال فيها أنه كان يتفق له أن يطحن لنفسه ، وأن يأكل الخبز اليابس الذي يكسره على ركبته ، وأن يلبس الرداء الذي يرعد فيه ، وأن واحداً من رعاياه لم يمت عن نصيب أقل من النصيب الذي مات عنه ، وهو خليفة المسلمين))[١] .

لقد سكنت زوج الإمام في بيته في المدينة مع زوجاته وأولاده وأحفاده ، ولما بويع الإمام بالخلافة ، وانتقل إلى الكوفة أبى أن ينزل القصر الأبيض المعروف بقصر الإمارة إيثاراً للخصاصة التي يسكنها الفقراء ، ولم يبن آجرة على آجرة ، ولا لبنة على لبنة ، ولا قصبة على قصبة[٢] . وكان أهل بيته معه تحكمهم فضائله وخصاله الإسلاميَّة الرفيعة، فهم أولى الناس باتّباعها وانتهاجها .

كان الإمام علي عليه السلام يصوم ويطوي ويُوثر بزاده ، وفيه أنزل الباري عزوجل: ﴿**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لاَ نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلاَ شُكُورًا**﴾[٣] . وروى المفسرون أنه لم

---

١ - محمد جواد مغنية ، فضائل الإمام علي ، ص ٤١ . (نقلاً عن عبقرية الإمام للعقاد وأسد الغابة لابن الأثير) .

٢ - المصدر السابق .

٣- سورة الإنسان: ٩ ، ١٠ .

يكن يملك إلا أربعة دراهم ، فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية[١] ، فأنزل فيه : ﴿**الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً**﴾[٢] . وهو الذي كان يكنس بيوت الأموال ويصلي فيها ، وهو الذي قال : يا صفراء ، ويا بيضاء غري غيري ، وهو الذي لم يخلف ميراثـًا ، وكانت الدنيا كلها بيده إلا ما كان من الشام[٣] .

فعلي بن أبي طالب سيد الزهاد في الدنيا ، وأهل بيته أولى باتِّباعه في طبعه وطباعه ، وهو الذي ما شبع من طعام قط ، وكان أخشن الناس مأكلاً وملبسـًا ، قال عبدالله بن أبي رافع : دخلت إليه يوم عيد ، فقدم جرابـًا مختومـًا ، فوجدنا فيه خبز شعير يابسـًا مرضوضـًا ، فقدم فأكل ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، فكيف تختمه ؟ قال : خفت هذين الولدين أن يُلتاه بسمن أو زيت[٤] .

إن عدالة الإمام علي عليه السلام في سيرته الدنيوية بين العباد ، كانت امتداداً لتطبيقه عدالته في محيط أسرته وعائلته ما بين زوجاته وأولاده، لذا لم يذكر لنا التاريخ أي واقعة أو حادثة تذكر لإحدى زوجات الإمام علي عليه السلام في

---

١ – ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ، ص ٤٧ .

٢ – سورة البقرة : ٢٧٤ .

٣ – ابن أبي الحديد ، في شرحه ، ص ٤٧ .

٤ – المصدر نفسه ، ص ٥٠ ؛ محمد جواد مغنية ، فضائل الإمام علي ، ص ٤٢ وما بعدها .

حياته أو بعد مقتله واستشهاده، تشير إلى اختلافهن أو تنافسهن أو عدم رضاهن تحت أي ظرف حياتي يومي ، ما يظهر بشكل جلي أن تعامل أمير المؤمنين مع نساء بيته قد جسدت خلاصة معالم الأسرة المسلمة في تماسكها وصونها لخصوصيات ودقائق أمورها العائلية .

إنَّ شدة محاسبة الإمام علي عليه السلام لنفسه وخشيته من الله تعالى ، لا تعني قسوته وجفاف نبعه الإنساني في تعامله مع أهل بيته ، كما قد يتوهم بعضهم من المطلعين على سيرته ، فإنْ كان أبو تراب هو سيد المتقين والعابدين ، فلقد ضرب المثل في حسن خلقه ، فكان بشر الوجه ، مع طلاقة المحيّا والتبسّم[١] .

ولكنَّ أعداءه عابوا عليه ذلك ، وأرادوا الانتقاص من هيبته في ذكر هذه الخصلة منه ، قال عمر بن العاص لأهل الشام : ((إنه ذو دعابة شديدة))[٢] ، فقال علي عليه السلام : «**عَجَبًا لابْنِ النَّابِغَةِ يَزْعُمُ لأَهْلِ الشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً وأَنِّي امْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ**[٣] **، أُعَافِسُ**[٤] **وأُمَارِسُ**»[٥].

---

١ - الأنصاري ، حياة أهل البيت عليهم السلام / الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، ص ٢٣٢ .

٢ - الدعابة : المزاح . لسان العرب : " دعب" .

٣- تلعابة : كثرة المزاح والمبالغة في اللعب .

٤ - المعافسة : المداعبة .

٥ - الممارسة : أريد بها هنا ملاعبة النساء .

وقد أخذها عمرو بن العاص عن عمر بن الخطّاب ؛ لقوله له لمّا عزم على الاستخلاف : ((لله أبوك لولا دعابة فيك !)) .

وقال معاوية لقيس بن سعد : ((رحم الله أبا الحسن ، فلقد كان هشّـًا بشّـًا ، ذا فكاهة))[١] . فقال قيس : ((نعم ، كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمزح ويبتسم إلى أصحابه ، وأراك تسرُّ حسواً في ارتغاء[٢] وتعيبه بذلك ؟ أما والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذي لبدتين قد مسّه الطوى ، تلك هيبة التقوى ، وليس كما يهابك طغام أهل الشام)) .

وعلّق ابن أبي الحديد بعد نقل الكلام السابق بقوله : ((وقد بقي هذا الخُلق متوارثـًا متناقلاً في محبيه وأوليائه إلى الآن ، كما بقي الجفاء والخشونة والوعورة في الجانب الآخر ، ومن له أدنى معرفة بأخلاق الناس وعوائدهم يعرف ذلك))[٣] .

لقد ترك علي عليه السلام بعده زوجات عدّة ، فبعضهن توفاهن الله عز وجل إبّان حياته، وكانت أم البنين فاطمة الكلابية ممن تركهن الإمام بعده، فلم يتزوجن بعده[٤] ، فكن بهذا الحال كحال زوجات النبي

---

١ – الأنصاري ، حياة أهل البيت عليهم السلام ، ص ٢٣٣ .

٢ – مثل يضرب لمن يُظهر أمراً وهو يريد غيره .

٣ – ابن أبي الحديد ، شرح النهج ... ، ص ٢٥ .

٤ – بن شهرآشوب ، مناقب آل أبي طالب –٣ ، ص ٣٥١ .

محمدﷺ من أمهات المؤمنين ، كما أن أم البنين عليها السلام كانت إحدى زوجات علي بن أبي طالب الحافظات لنسله الكريم بحفظ الباري لذرية العباس عليه السلام ابن الكلابية[١] .

وتبقى السيدة الجليلة مولاتنا أم البنين حافظة كذلك لكل ما يمت بصلة لزوجها وإمامها المرتضى عليه السلام ، فلم تذكر المصادر أنها قد حدثت بحديث واحد نقلاً عن النبي وآل بيت النبي والإمام علي ، وأغلب الظن أنها كانت من النساء المؤمنات المخدرات النادرات الوجود في امتثالهن لتعاليم السماء ، في حفظ أسرار بيوتهن ، وأدائهن لدورهن المرسوم في حفظ العيال وتنشئتهم على أسس إسلاميَّة إيمانية حقيقية ، لذا لم نجدها قد أخذت تحدث وتحدث عن أدق تفاصيل حياتها مع الإمام ، على سبيل المثال !! بل أنها حفظت ذكرى أمير المؤمنين حتى بعد استشهاده ، فكانت خير أم ومعين ومناصرة لأسرته الشريفة المطهرة ، فدفعت بأولادها الفوارس الأربعة تحت لواء أخيهم الحسين عليه السلام ، وكانوا طوع يمينه ، كما كانوا كذلك لأخيهم الأكبر الإمام الحسن عليه السلام بعد فقدانهم لأبيهم بمقتله ، حتى أن السيدة زينب الكبرى عليها السلام رأتها شريكة لهم في المصاب بعد واقعة الطف وعودة السبايا إلى المدينة ، وقد منعت

١ - ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ص ٢٤٦ .

الدخول عليها لغيرها من النساء ، بحسب ما تذكر الروايات الموثوقة .

إنَّ كرامة هذه المرأة العظيمة من كرامة اقترانها بسيد الأوصياء وحسن تبعلها له ، يضاف إليها موقفها المشهود الذي لا يغفل ولا يندثر ، وسيبقى ماثلاً أمد الدهر في أذهان المؤمنين ، إن أم البنين فاطمة بنت حزام الكلابية[1] بإيثارها وتفانيها في سبيل المبدأ ، حين جعلت من أولادها ، فلذات كبدها أضاحي تقدم واحداً تلو الآخر فداء لابن زوجها الإمام الحسين عليه السلام ، تضرب المثل الأعلى لكل امرأة مسلمة مؤمنة .

فأمُّ البنين عليها السلام في موقفها المشرف هذا تمنحنا الدليل القاطع على أنها مؤمنة عالمة ، وأن أبا عبدالله هو ليس أخـًا أكبر لأولادها واجب الطاعة والامتثال فحسب ، بل هو إمام يطاع ، والتزامه واجب شرعي ، وهذا ما دأبت عليه وما غذّته لأبنائها في الحياة حتى الممات .

لقد أصاب أبو الحسن عليه السلام يوم تخير بين النساء فاختار أم البنين فاطمة عليها السلام ، لتنتمي إلى حلقة النور من الفواطم اللائي عايشن أيام الإمام من المهد إلى اللحد .

١ – عبدالحسين الأميني، الغدير – ٥ ، دار الكتاب العربي، بيروت ، ط عام ١٣٧٩هـ ، ص٢٠٩ .

الفصل الثاني

علي والزهراء

- قبل الزواج .. بعد الزواج
- قبل وفاة النبي ﷺ .. بعد الوفاة

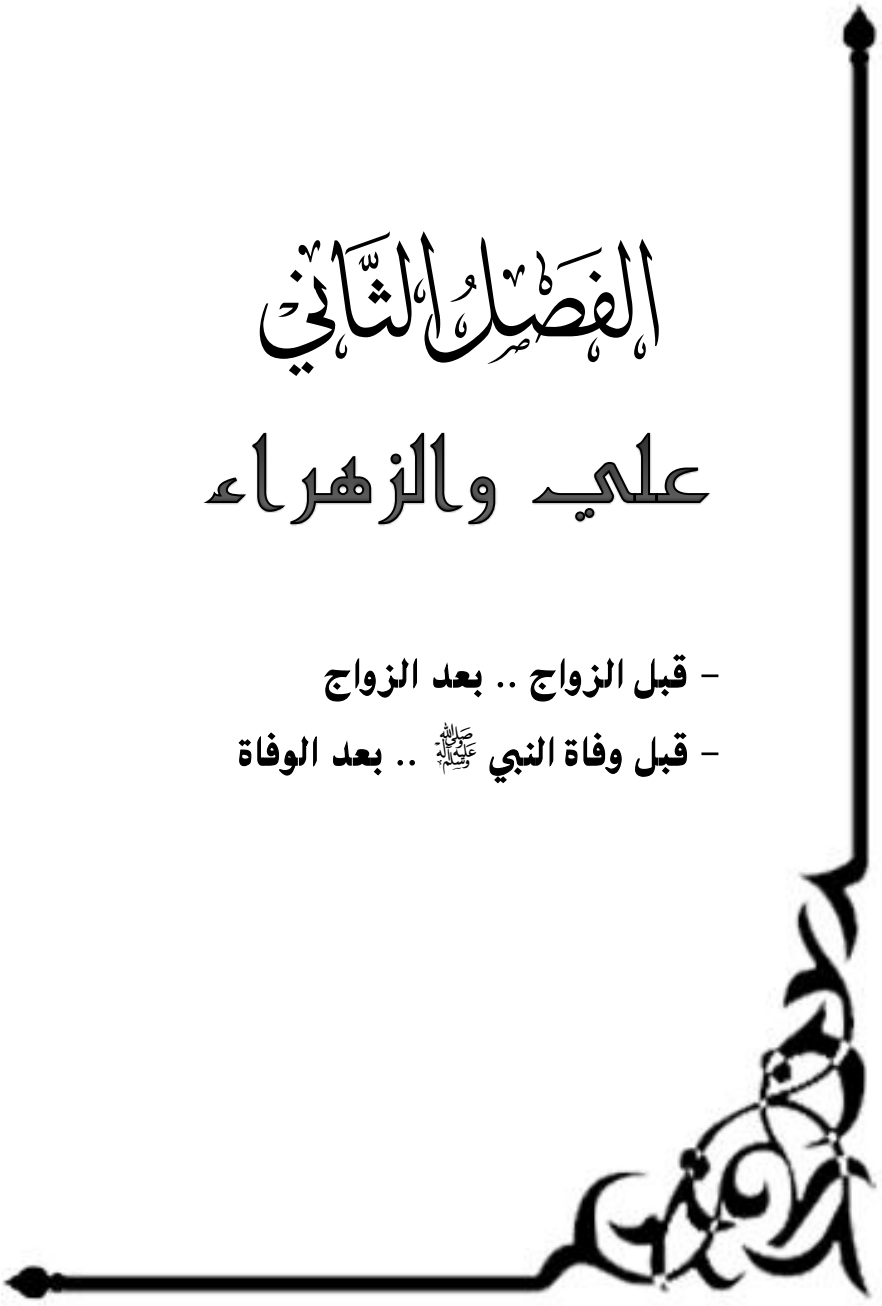

قبل الزواج .. بعد الزواج

قبل اقتران الإمام علي بالزهراء عليهما السلام كان سقف البيت الذي أظلهما سقفـًا واحداً، هو سقف بيت الرسول الأكرم ﷺ[١] . فقد تربَّى الإمام علي عليه السلام في حجر النبي الأكرم وشهد مشاهده كلَّها إلّا غزوة تبوك[٢]، إذ أقام مع رسول الله ﷺ ثلاثـًا وثلاثين سنة ، عشر منها قبل البعثة ، وثلاث عشرة سنة بعدها ، وعشر سنين في المدينة بعد الهجرة ، وعاش بعد ما قبض النبي ﷺ ثلاثين سنة إلّا خمسة أشهر وأياماً[٣] .

وأمَّا الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام ، فأجمعت أحاديث أئمتنا المعصومين عليهم السلام وكذلك علماء السِّيَر في أنَّ ولادتها المباركة كانت بعد النبوة المحمديَّة لا قبلها ، وهي أصغر بنات رسول الله ﷺ.

قال أبو سعد الواعظ في كتاب شرف النبي بباب العشرين : إنَّ جميع أولاد رسول الله ﷺ ولدوا قبل الإسلام ، إلّا فاطمة وإبراهيم فإنَّهما ولدا

---

١ - عبدالفتاح عبدالمقصود ، في نور محمد .. فاطمة الزهراء ، تحقيق: شوقي محمد ، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميَّة – المعاونية الثقافية ، مركز التحقيقات والدراسات العلمية ، ط١ ، ١٣٢٦هـ ق ، ٢٠٠٥م ، المطبعة خاتم ، إيران – طهران . ص ٣٢٦ .

٢ - محمد علي الأنصاري ، أهل البيت عليهم السلام ، ص ٢٢٥ .

٣ - المصدر نفسه ، ص ٢١١ .

في الإسلام[١] . وهكذا اتفق الرواة على أنَّ فاطمة الزهراء عليها السلام كانت الصغرى في ذرية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وإنْ اختلفوا في تحديد السنة التي ولدت فيها ، إلّا أنه روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنها ولدت بعد النبوة بخمس سنين ، أمَّا الإمام علي فقد ولد قبلها بخمس عشرة سنة[٢] .

وقد أقامت مع أبيها بمكة ثماني سنين ، وبالمدينة عشر سنين ، وأقامت مع الإمام علي عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خمسة وسبعين

---

١ - سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص –الجزء الثاني ، ص ٣١٧ وما بعدها ، إذ يذكر أنَّ ولادتها كانت قبل النبوة بخمس سنين ويستشهد بعدة مصادر منها : كما في ترجمتها من الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/ ١٩ ، ومن الاستيعاب لابن عبد البر ٤ / ١٨٩٩ وسيد أعلام النبلاء للذهبي ٢ / ١١٩ وفي الإصابة لابن حجر ٨/ ٥٤ .

هذا وإن المشهور عند الإمامية أنها ولدت سنة خمس من المبعث بمكة في العشرين من جمادي الآخرة باب مولد الزهراء عليها السلام من كتاب الحجة من أصول الكافي للكيليني ١/ ٤٥٨، وتاج المواليد للطبرسي ص ٢١ ، ومناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ٣/ ٤٠٥ .

وقيل : كان مولدها في سنة اثنتين من المبعث ، فللمزيد ينظر : مسار الشيعة للشيخ المفيد ص٣١ ، ومصباح المتهجد للشيخ الطوسي ص ٧٩٣ وغيرها من المصادر .

وإن كان المشهور من السيرة للزهراء عليها السلام أنها كانت تحدث أمها خديجة عليها السلام من بطنها وتصبرها عند حملها بها وبعد هجران نساء مكة لها كما في : شجرة الطوبى ، لمحمد مهدي الحائري/ ج٢، ص٢٤٧ وما بعدها، وحياة الصديقة فاطمة، لمحمد جواد الطبسي، ص ١٣.

٢ - محمد جواد مغنية ، فضائل الإمام علي ، ص ٢١ .

يومـًا ، وفي رواية أربعين يومـًا ، وتوفيت وهي بنت ثمان عشرة سنة وخمسة وسبعين يومـًا[١] .

ويذكر بن شهر آشوب في مناقبه[٢] : ولدت فاطمة بمكة بعد النبوة بخمس سنين ، وبعد الإسراء بثلاث سنين ، في العشرين من جمادي الآخرة ، وأقامت مع أبيها بمكة ثماني سنين ، ثم هاجرت معه إلى المدينة فزوجها من علي بعد مقدمها المدينة بسنتين ، أول يوم من ذي الحجة ، وروي أنه كان يوم السادس ، ودخل بها يوم الثلاثاء لست خلون من ذي الحجة بعد بدر . وقبض النبي ﷺ ولها يومئذ ثماني عشرة سنة وأشهر وعاشت بعده اثنين وسبعين يومـًا ، ويقال : خمس وسبعون يومـًا ، وقيل : أربعة أشهر ، وقال القرباني : قد قيل : أربعون يومـًا ؛ وهو أصح . وولدت الحسن ولها اثنتا عشرة سنة . وتوفيت ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الآخر سنة إحدى عشرة من الهجرة ومشهدها بالبقيع ، وقالوا أنها دفنت في بيتها . وقالوا قبرها بين قبر رسول الله وبين منبره[٣] .

---

١ - سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ، الباب الحادي عشر : ترجمة خديجة الكبرى وفاطمة الزهراء عليها السلام ، ص ٣٦٩ .

٢ - بن شهرآشوب، مناقب آل أبي طالب-٣، فصل الزهراء في حليتها وتواريخها عليها السلام ، ص٤٠٥.

٣- المصدر نفسه ، ص ٤٠٦ .

إنَّ المهم في كلِّ ما أوردناه ليس ذكر التواريخ والتثبت منها –على الرغم من أهمية هذه المسألة – ، ولكن المهم هو الاستدلال على حقيقة ثابتة هي وحدة المناخ والبيئة التي تربَّى فيها كلّ من علي وفاطمة عليهما السلام ، ففي ذات المناخ الإيماني والعقدي سمت روحهما وتجرَّدت ذواتهما من أدران الجاهليَّة وشوائبها ، فتطهَّرا واندمجا ليشكلا أهل البيت الذي أذهب الله عز وجل عنهم الرجس والفواحش[١] .

في مناخ الإيمان والعقيدة نشأت فاطمة الزهراء عليها السلام وترعرعت في كنف أبيها الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله ، ورعاية أمها خديجة أم المؤمنين عليها السلام .

١- قوله تعالى : ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ سورة الأحزاب آية ٣٣، وقد أجمع المفسرون أنها نزلت في الرسول الأعظم وعلي وفاطمة والحسن والحسين. رواه أحمد والطبراني عن أبي سعيد الخدري والترمذي والحاكم عن أنس في ذخائر العقبى ٢٤ والمستدرك على الصحيحين ٣ / ١٥٨ والصواعق المحرقة لابن حجر ٨٥ قال: أكثر المفسرين على أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين . وسئلت عائشة رضي الله عنها عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقالت : وما عسيت أن أقول فيه وهو أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وقد جمع شملته على علي وفاطمة والحسن والحسين وقال : هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وظهرهم تطهيرا .

وقالت أم سلمة : في بيتي نزلت ﴿إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ الآية ، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال هؤلاء أهل بيتي .

وعن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أنزلت هذه الآية في خمسة ، فيّ وفي علي وحسن وحسين وفاطمة .

وقد أغدقا عليها العطف والحنان مما يفوق الوصف[١] . رضعت عليها السلام من ثدي الإيمان ، وتربَّت في حجر الإسلام ونهلت من معينه الصافي ، فكان الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله الوالد العطوف ، والمربي الشفوق ، والمعلم الكريم ، والمؤدب الحليم .

لم تكن الزهراء عليها السلام وحيدة أبويها ، فقد رزقا أيضاً بالقاسم وعبدالله وقد توفاهما الله وكذلك زينب ورقية وأم كلثوم ، ولكن فاطمة الزهراء كانت الوحيدة الأثيرة لدى العائلة ، وكان لها دورٌ تاريخيٌّ في حياة أبيها النبي الكريم وبعد وفاته .. وحتى يومنا هذا ، فقد نشأت الزهراء في بيت كلّه أمجاد وشرف وأخلاق ربانية وواكبت أحداث بدء الدعوة الإسلاميَّة لحظة بلحظة[٢] .

لقد اكتنفت رعاية الرسول وزوجه كلًّا من علي وفاطمة معاً ، ولقد ذكرنا مشاهد من هذه الرعاية في المباحث السابقة ، أمَّا الإمام علي فقد كان شاباً عندما ولدت الزهراء عليها السلام ، فكانت له أختاً صغرى ـ وربيبة أثيرة ، ووديعة كبرى أوصاه بها أبوها في حياته وبعد وفاته .

فهو ينظر إليها بعين الإكبار والإجلال، طفلة تدرج أمام عينيه في الدار، لها سمات أبيها وصفاته ، تكاد تكون صورة مصغّرة من الحبيب

---

١ - مريم نور الدين فضل الله ، المرأة في ظل الإسلام ، ص ١٧٥ .

٢ - غادة الخرسا ، المرأة في الإسلام ص ١٤٥ .

محمد ، أو هي كذلك بالفعل . كانت فاطمة كالشمس تخرج من تحت السحاب ، وكانت أشبه الناس خَلقـًا وخُلقـًا ومنطقـًا برسول الله[١] .

رافق الإمام علي فاطمة في كلِّ مراحل حياتها المليئة بالأحداث ، الحافلة بالمصاعب والمتاعب ، المشحونة بالمحن والآلام . كان معها منذ طفولتها عندما ذهبا مع أبويهما العظيمين إلى شعب أبي طالب ، وشاهدها هناك تتجلّد على الرغم من طفولتها وسنيها القليلة على ما لاقوا من شظف العيش وشدّة الحصار وأذية قريش . ما لا يتحمله جسدها الصغير ، وتظهر من القوة والجلد ما يعجز عن مثله الكبار ، كيف لا ؟ وهي غرس محمد الهاشمي .

إنَّ سنوات الحصار الثلاث لم تأكل من أجسادهم وقواهم ، وأيام وليال من أعمارهم فحسب ، بل إنها كلفتهم غاليـًا لقد فقدوا بسبب تلك السنين وذلك الظرف العصيب أعزة وأحبّة واحداً تلو الآخر ، فكان فقدهما الأم العظيمة خديجة الكبرى عليها السلام والأب المحامي والمدافع أبا

١ – محمد جواد مغنية ، فضائل الإمام علي ، ص ٢١ . عن أنس بن مالك قال : سألت أمي عن صفة فاطمة عليها السلام فقالت : كانت كأنها القمر ليلة البدر أو الشمس كفرت (ستره وغطاه) غمامـًا ، أو خرجت من السحاب ، وكانت بيضاء بضة (البيضاء الممتلئة) . وعن عطاء عن ابي رباح قال : ... روي أنها كانت مشرقة الرباعية. وعن جابر بن عبدالله : ما رأيت فاطمة تمشي إلا ذكرت رسول الله ، تميل على جانبها الأيمن مرة ، وعلى جانبها الأيسر مرة . للمزيد ينظر : بن شهرآشوب ، مناقب آل أبي طالب – ٣ ، ص ٤٠٥ .

طالب رضي الله عنه) في محنة واحدة وسنة واحدة خطباً فادحاً ألم بهما وبرسول الله الذي عبَّر عن أحزانهم الجامعة هذه خير تعبير بوصفه بـ(عام الأحزان)[١] .

فقدت الزهراء أمها خديجة وهي في حدود الخامسة من عمرها ، أو أكثر بقليل – بناءً على ولادتها بعد البعثة بخمس سنين ، وكانت الزهراء وهي الصغيرة بعمرها ، الكبيرة بمكانتها من رسول الله ﷺ تحاول أن تملأ الفراغ الحاصل من فقد أمها خديجة ، فكانت تحنّ على أبيها ، ذلك الحنان الذي جعله يكنيها بـ" أم أبيها "[٢] .

في هذه السنوات المبكرة ومن خلال هذه المحنة العصيبة ، أخذ الرسول ﷺ يهيئ مَن حوله لفكرة ربانية أخذت تتجلى وتترسخ ، مفادها أن فاطمة ليست ابنة الرسول وأحب الخلق إلى قلبه وأقربهم إلى نفسه فحسب، بل يؤكّد على مقامها ومرتبتها ومنزلتها والمهمة العظيمة المناطة

---

١ – ابن سعد ، الطبقات الكبرى ج١ ، ص ٢٠٨ وما بعدها . يذكر ابن سعد في طبقاته ص ٢١١ : لما توفي أبو طالب وخديجة بنت خويلد وكان بينهما شهر وخمسة أيام اجتمعت على رسول الله ﷺ مصيبتان فلزم ببيته وأقل الخروج ونالت منه قريس ما لم تنال ولا تطمع به ؛ للمزيد ينظر : ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ٢ : ٩٠ .

٢ – هذا من كناها المشهورة ، ينظر: مناقب آل أبي طالب ٣٠، ص ٣٥٧؛ محمد علي الأنصاري، أهل البيت / فاطمة الزهراء عليها السلام ، ص ١٦٩ .

بها : «فاطمة بضعة مني من أغضبها أغضبني»[١] و«إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها»[٢] .

فكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يؤكّد علاقته بفاطمة، ويوضّح مقامها ومكانتها في أمته ، وهو يمهّد لأمر عظيم وقدر خطير يرتبط بفاطمة وعلي وذريتهما الطاهرة ، وبالأمة الإسلاميَّة كلّها ، كان صلى الله عليه وآله وسلم يؤكّد ذلك ليعرف المسلمين مقام فاطمة ومكانة الأئمة من ذريتها ، ليعترفوا بحقها ويحفظوا لها مكانتها ومنزلتها، فيقول : ((فاطمة بضعة مني يغضبني ما يغضبها .. وإنّ الأنساب تنقطع يوم القيامة غير نسبي وسببي وصهري))[٣] .

أخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم يُولي فاطمة بضعته الطاهرة جلّ رعايته، في وقت تمر به الدعوة الإسلاميَّة بأصعب إرهاصات وجودها وانتشارها ، فقد انتقل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من مرحلة سابقة إلى مرحلة لاحقة ، ففي المرحلة

١- موجز سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ص ١٠٧ . نقلاً عن : البخاري / ج٢ / ص ١٨٥ ، مسند أحمد / ج٤ / ص ٣٣٢ ، مستدرك الحاكم / ج٣ / ص ١٥٤ .

٢- المصدر نفسه ، نقلاً عن : مسند أحمد / ج٤ / ص ٥ ، خصائص النسائي / ص ٢٥ ، وفيه : (من أذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد حبط عمله) .

٣- مريم فضل الله ، المرأة في الإسلام ، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٧٩م – ١٣٩٩هـ . ص ١٧٦ ، نقلاً عن : ينابيع المودة ، للقندوزي الحنفي ، ص ٢١٩ .

الأولى كان يجد خديجة الكبرى عليها السلام في البيت خير مؤمنة وناصرة لقضيته وفي الخارج يأزره عمه أبو طالب ظهيراً وسانداً ومدافعاً .

أمّا في هذه المرحلة فقد أدَّت الزهراء دور أمها، ونهضت بتلك المهمة الكبيرة وتمثلت الدور المناط بها فأجادت فيه، وكذلك غدا ابن عمّه عليُّ بن أبي طالب بديلاً عن أبيه فكان ناصراً وأخاً ووزيراً ووصياً .

وإنْ كانتِ المصادر التاريخيَّة لا تسعفنا بذكر كثير عن دقائق الحياة العائليَّة في بيت النبوة حينذاك ، إلّا أنَّ الأدلة تشير إلى أنَّ فاطمة لم يعد يراها من الرجال في بيت أبيها إلّا النبي محمد صلى الله عليه وآله والوصي علي عليه السلام ، فها هو النبي يسأل ابنته يوماً[1] : أي شيء خير للمرأة ؟ قالت : ألا ترى رجلاً ولا يراها رجل . فضمَّها إلى صدره وقال : ذرية بعضها من بعض ، ونحن لا نفهم من جواب سيدة النساء إلّا الدلالة على حصانتها وعفَّتها ، وإلا فأي شيء أعظم شرفاً للمرأة وأكثر خيراً لها من أن ترى رجلاً كعلي وتلد للإنسانية الحسن والحسين ؟!

ملأت سيدة النساء حياة علي منذ إطلالتها على الوجود ، فكانت خير نساء الأرض ، وخير كفء له ، حتى أنَّ الإمام علي المكتمل شباباً وعنفواناً وخصالاً لم يَقدمْ على الاقتران بأيِّ امرأة أخرى قبلها ، وكانت

١ - محمد جواد مغنية ، فضائل الإمام علي ، ص ٢٢ .

قرَّة عين النبي صلى الله عليه وآله ، وإحدى الودائع التي ألزمه بها ابن عمه قبل هجرته إلى المدينة ، فسار برفقتها وسائر الفواطم[١] في وضح النهار قاهراً صلف قريش وكبريائها ، وقد مضى الركب عبر الصحراء يغذ السير مستظلاً بسيف علي بن أبي طالب الذي شهره بوجه فرسان قريش المطارِدة له ، مانعـًا لها من أنْ تلحق أي أذًى برواحل الفواطم .

وما كان دفاع علي وشجاعته بالمنظر الجديد على فاطمة ، فلطالما شهدت له مواقفه العديدة في الدفاع عن الإسلام ونبيه وأتباعه ، فكيف كان موقفه وهو يرى الحويرث ينخس بعير فاطمة محاولاً رميها إلى الأرض ؟ وكانت فاطمة عليها السلام يومئذ خفيفة نحيلة الجسم، قد أنهكتها الأحداث الجسام التي لقيتها ، ولم ينسَ النبي صلى الله عليه وآله فعلة الحويرث النكراء هذه، وقد سمَّاه مع النفر الذين عهد النبي إلى أمرائه بقتلهم يوم الفتح الأكبر في العام الثامن للهجرة وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، وكان علي بن أبي طالب عليه السلام أحق هؤلاء الأمراء بقتل الحويرث وقد فعل[٢] .

إنَّ هجرة علي بمعية الفواطم كانت حدثـًا مشهوداً ومحموداً عند النبي محمد صلى الله عليه وآله والمسلمين ، حتى أنَّ الرسول كان في أشدِّ الشوق للقاء

١- وهن فاطمة الزهراء عليها السلام ، ووالدته فاطمة بنت أسد وفاطمة بنت الزبير بن عبدالمطلب وفاطمة بت حمزة بن عبدالمطلب ، وقد فصلنا الحديث عن ذلك في مبحث سابق .

٢- مريم فضل الله ، المرأة في الإسلام ، ص ١٧٩ .

أحبته ، علي وفاطمة ، وما كان النبي الأكرم ليدخل يثرب من دونهم مع أنَّ أصحابه كانوا دائمي الحث بذلك ، فكان يمتنع بالقول : (ما أنا بداخلها ، حتى يقدم ابن عمي وابنتي)[١] .

وعند وصول الركب سالمـًا إلى قبا سرّ الرسول ﷺ بسلامة الوصول ولقاء الأحبة وقال : (أدع لي عليـًا) قيل : لا يقدر أن يمشي ، فأتاه النبي ﷺ واعتنقه وبكى ، رحمة به ، لما بقدميه من ورم ، وتفل في يديه وأمرّهما على قدميه ، فلم يشتكهما بعد حتى استشهد .[٢]

إنَّ بعض المصادر تنكر هذا القول[٣] ، وتذكر أنَّ السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام قد سارت على قدميها حتى المدينة هي وأختها أم كلثوم ولم يكن برفقتهما الإمام علي ، كما في تراجم سيدات بيت النبوة للدكتورة بنت الشاطئ ، والقول المشهور والقاطع إنَّ الإمامَ عليّـًا هو الذي سار بالفواطم حتى المدينة امتثالاً لرغبة النبي ﷺ وتنفيذاً للمهمات التي أوصاه بها.

---

١ - موجز سيرة الرسول وأهل البيت ، تأليف ونشر : لجنة التأليف – مؤسسة البلاغ ، ص ١١١ .

٢ - موسوعة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الكتاب والسنة والتاريخ ، محمد الريشهري ، ج١ ، ص ١٧١ .

٣ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى – ج١ ، ص ٢٣٧ .

ومن المجافي للعقل أنْ يترك الإمام علي عليه السلام فاطمة الزهراء عليها السلام تسير على قدميها ومعه الرواحل ، ولقد أسهبنا في شرح ظروف هذه الواقعة المشهورة في السير في مبحث سابق.

وفي المدينة المنورة ، وفي بيت الرسول العظيم أقامت فاطمة عليها السلام ، تملأ بيت أبيها بعد الوحشة ، وتسهر على راحة ذلك الوالد العظيم ، ولكن فاطمة الشابة النضرة ، ذات الشرف والجمال والمجد الرفيع ، أخذت تتجه إليها الأنظار ، ويحدّث بعض الصحابة نفسه بأن يحظى بشرف الاقتران بها[١] .

كل واحد منهم يمنِّي نفسه في أن يدنو من هذا الفضل العظيم ، في أنْ يُصبح صهراً للنبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، جاء في كتاب ذخائر العقبى[٢]: إنَّ أبا بكر خطب إلى النبي فاطمة، فقال له: لم ينزل القضاء بعد ، فخطبها عمر، فأجابه بما أجاب صاحبه، ثم خطبها عديد من كبار قريش ، وكان الجواب واحداً[٣]. وخطبها عبدالرحمن بن عوف وبذل لها مهراً غالياً فتأذى النبي صلى الله عليه وآله وسلم منه وتناول كفاً من الحصى، وقال له: إنك لتهول عليّ بمالك فتحول الحصى درّاً، وخطبها عثمان بن عفان فردّه النبي صلى الله عليه وآله وسلم كذلك ..

---

١ – ذخائر العقبى ، احمد بن عبد الله الطبري ، ص٣٩.

٢ – نفس المصدر، ص ٣٠.

٣– ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٨ ، ص ٢٠ .

ويتبين من خلال إجابة الرسول الاكرم لأمير المؤمنين سلام الله عليهما في الزواج من الزهراء عليها السلام وردّ سواه كانا بأمر الله سبحانه ، وفي ذلك دليل علىٰ فضل أمير المؤمنين عليه السلام وكرامته ومنزلته عند الله تعالىٰ ، والزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين لابدّ أن يكون كفؤها سيد رجال الأُمّة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن هنا جاءت مقاييس الاختيار والترجيح علىٰ لسان الرسول صلى الله عليه وآله وهو يبين لابنته البتول عليها السلام فضل أمير المؤمنين عليه السلام ، قال صلى الله عليه وآله :

« زوجتك سيداً في الدنيا والآخرة ، وإنه لأول أصحابي إسلاماً ، وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً » واليوم الآخر[1] .

لذا روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : (لو لم يخلق الله علياً ما كان لفاطمة كفء) . وقال ابن عباس : (كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله تذكر فلا يذكرها أحد لرسول الله إلا أعرض عنه فقال سعد بن معاذ الأنصاري لعلي: إني والله ما أرى رسول الله يريد بها غيرك، دخل علي عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وجلس بين يديه ولم يتكلم فابتدره النبي صلى الله عليه وآله لأنه عرف أنه جاء خاطباً وقد منعه الحياء عن الكلام فقال له: ما حاجتك؟ فقال : يا رسول الله ذكرت فاطمة بنت رسول الله فقال : "مرحباً وأهلاً"

١ - الاستيعاب ، ابن عبد البر ، ج ٣ ، ص٣٦.

أو قال : (مرحبـًا إنَّ الله أمرني أن أزوجك ابنتي)[١] . فخرج علي عليه السلام يزهو فرحـًا ومسروراً فقالوا له : ما وراءك ؟ فأخبرهم ، فقالوا : لقد زوجك ابنته فلما علموا ذلك عتبوا على النبي صلى الله عليه وآله فقال : (ما أنا زوجته ولكن الله زوجه)[٢] .

إنَّ اقتران علي والزهراء عليهما السلام لم يكن زواجـًا اعتياديـًا أو أمراً عائليـًا تمَّت في إتمامه عائلة الزوجين ، ولمَّا كان الأمر على هذه الأهمية ، فإنَّ الإمامَ عليّـًا عليه السلام لم يكن ليتقدم في طلب خطبة الزهراء عليها السلام من أبيها قبل أن يأتي الأمر الإلهي ، ثم يلتمس الموافقة النبوية ، ثم من بعد يقدم هو بنفسه ، مع ما له من القرابة والسبق في الإسلام والأفضلية في الصحبة والمواساة والكفاءة والمؤاخاة .

وهناك رواية أخرى[٣] لهذه الخطبة الميمونة ، تذكر أنَّ النبي المصطفى صلى الله عليه وآله حين اعتذر من تزويج فاطمة لعمر وأبي بكر اتجه إلى الإمام علي عليه السلام وهو يسقي في بستان نخل ، فقالا : قد عرفنا قرابتك من

---

١ – كاظم النقيب ، أئمتنا قادة وهداة ، مؤسسة الفكر الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢ ، لبنان – بيروت ، ١٤٣٣هـ – ٢٠١٢م ، مكتبة العلامة ابن فهد الحلي ، كربلاء المقدسة – العراق ، ص ١٠١ . نقلاً عن : نور الأبصار ص ٤٢ ، كنز العمال ج٦ ، ص : ٢١٨ .

٢ – كاظم النقيب ، أئمتنا قادة وهداة ، ص ١٠٢ .

٣ – موجز سيرة الرسول وأهل البيت ، تأليف ونشر : لجنة التأليف – مؤسسة البلاغ ، ص ١١٢ .

رسول الله ﷺ وقدمك في الإسلام ، فلو أتيت إلى رسول الله ﷺ فخطبت إليه فاطمة لزادك الله فضلاً إلى فضلك ، وشرفاً إلى شرفك ، فإنا نرجو أن يكون الله ورسوله إنما يحبسانها عليك .

فانطلق عليه السلام فتوضأ ثم اغتسل ولبس كساءه ، وصلّى ركعتين ولبس نعليه ، وأقبل إلى النبي ﷺ وكان في منزل أم سلمة ، فسلّم عليه ، فردّ عليه السلام وجلس بين يديه ، ينظر إلى الأرض ، فقال له النبي ﷺ : أتيت لحاجة ؟ قال : نعم ، أتيتك خاطباً ابنتك فاطمة ، فهل أنت مزوجي يا رسول الله ؟

قالت أم سلمة : فرأيت وجه رسول الله يتهلل فرحاً وسروراً ، ثم يبتسم في وجه علي . ودخل على فاطمة فقال لها : (إن علي بن أبي طالب من قد عرفت قرابته وفضله في الإسلام ، وإني سألت ربي أن يزوجك خير خلقه ، وأحبهم إليه ، وقد ذكر من أمرك شيئاً فما ترين ؟) . فسكتت فخرج رسول الله ﷺ وهو يقول : (الله أكبر سكوتها إقرارها) .

فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال : يا محمد ، زوّجها علي بن أبي طالب ، فإنَّ الله قد رضيها له ، ورضيه لها[1] . وقال ابن عبد البر في الاستيعاب ، وهو يترجم لعلي عليه السلام : إنَّ رسول الله قال لفاطمة : إنَّ زوجك سيدٌ في الدنيا

١ - محمد علي الأنصاري ، أهل البيت ... ، ص ١٧١ . نقلاً عن البحار ٩٣ : ٩٣ ، تاريخ سيدة النساء عليها السلام ، باب تزويجها ، الحديث ٤ .

والآخرة ، وإنه لأول أصحابي إسلامـًا ، وأكثرهم علمـًا ، وأعظمهم حلمـًا.

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم إنه قال لعلي : عاتبني رجال من قريش في أمر فاطمة ، وقالوا : خطبناها إليك فمنعتنا ، وزوجت عليـًا ، فقلت : ما أنا منعتكم ، وزوّجته ، بل الله منعكم وزوّجه . فكفاءة علي لفاطمة ليست كفاءة نَسَبيَّة فقط ، ولا خلقية فقط، بل هي كفاءة سماوية إلهية في تعادلهما بالقرآن ، وتساويهما في ميراث النبوة ، وفي الحكمة والهدى والرحمة ، وفي افتراض الولاء والطاعة على الناس أجمعين[١] .

أسهبت كتب السير والمراجع التاريخيَّة في وصف وشرح تفاصيل هذا الزواج ، وخطواته ومقتنياته ، حد التواتر ومن مختلف المذاهب والملل والرواة ، وهذا شيء ملفت للنظر ، إذا ما أخذنا بالحسبان شدة التحفظ والتستّر على ما يجري في البيوتات الكريمة ، فكيف الحال والبيت بيت النبوة والولاية ؟!

إنَّ التفكّر – هنا – يوصلنا إلى حقيقة مفادها: أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أراد تعريف المجتمع الإسلامي من حوله ، والأجيال المتوالية من بعده ، أهمية وقدسية هذا الاقتران وعظمة هذه الأسرة الوليدة وامتداداتها

١ – محمود جواد مغنية ، فضائل الإمام علي ، ص ٢٤ .

المستقبليَّة في جسد الإسلام وروحه ، ويذكّر أمته وأتباعه في كلِّ قولٍ وفعلٍ قام به لاتمام هذا الارتباط الإلهي ومتابعته لحيثياته المختلفة .

إنَّ النبي المصطفى ﷺ ، بامتناعه عن إجابة كلَّ خاطب للزهراء عليها السلام وردّه، ومن ثمَّ تهلله وفرحه بطلب علي عليه السلام فيه رسالة بليغة لمن حوله أنَّ الله سبحانه وتعالى هو من زوّج النور من النور[١] ؛ ليرسِّخ موعظة خلاصتها أنَّ عليّاً وفاطمة ليسا كأيِّ عروسين في هذه الأمة ، وأنه يوليهما ما يستحقان من محبَّة ومكانة ، وعلى الأتباع من هذه الأمة المرحومة ، إطاعة واتباع نبيها المختار في سلوكه المتفرّد هذا .

فضلاً عن ذلك فإنَّ الإشارة إلى تلك العناية الكبيرة من النبي محمد ﷺ ونسائه وأصحابه ومجتمع المدينة المنوّرة ، بظروف اقتران الوصي علي ببضعة المختار فاطمة عليها السلام ، لا يعني أن زواجهما كان زواجاً أسطورياً أو فائق البذخ والترف ، نظراً لمكانة الرسول ﷺ بوصفه زعيماً وقائداً لأمة أخذت تنهض وتتسع في انتشارها .

---

١ - جاء في ذخائر العقبى ص ٣٢ ، أن جبرئيل عليه السلام أتى إلى النبي محمد ﷺ فقال : " يا محمد أتاني ملك فقال لي : يا نبي الله إن الله يقرؤك السلام ويقول لك : إني زوجت فاطمة من علي في الملأ الأعلى فزوجها منه في الأرض " ؛ وروى ابن شهر آشوب في مناقبه/ ٣ ص ٣٩٨ عن كتاب ابن مردويه ، قال ابن سيرين : قال عبيدة : إن عمر بن الخطاب ذكر علياً ، فقال : ذاك صهر رسول الله ، نزل جبرئيل على رسول الله فقال: (إن الله يأمرك أن تزوج فاطمة من علي).

ولو كانتِ الزهراءُ عليها السلام ابنةً لأحد ملوك الطوائف أو رؤساء عشائر ذلك الزمان ، لكان عرسها أكثر فخامة وبذخـًا مما حظيت به الزهراء كعروس ، وهي سيدة نساء العالمين وزوجها سيد الوصيين وأبوها نبي الأمة وخاتم المرسلين. ومع كلِّ ذلك فإنَّ زواج الزهراء بعلي ملأ الكتب والمراجع التاريخيَّة بتفاصيله ، وعدد مقتنياته ، وما حوته دار العروسين الشابين ، وكيف تم زفافهما ، وما قيل فيه من الأهازيج وكلمات الفرح والتبريك ، ومَن شارك في الوليمة ، وكل قول وفعل قام به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حتى لحظة افتراقه عنهما ، ليكون زواجهما أنموذجـًا يُحتذى به من الشباب المسلم في كلِّ زمان ومكان .

فعليٌّ الشاب الممتلئ حيوية وفروسية وبطولة ، وإباء وعزة وشرف ، وقرابة وإخاء من الرسول لم يكن يمتلك ما يتزوج به غير (درع حطمية) أهداها له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي أشار عليه ببيعها ليتزوج بثمنها[١] .

قال أحمد في الفضائل : حدثنا إبراهيم عبدالله البصري ، حدثنا إبراهيم بن بشار ، حدثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن أبيه ، قال : أخبرني من سمع علي بن أبي طالب يقول على منبر الكوفة : " لما أردت أن أخطب فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذكرت أنه لا شيء لي ، ثم ذكرت عادته وصلته فخطبتها ، فقال : وهل عندك شيء ، قلت : لا ، قال : فأين

١ – المروي في السير أن مهر الزهراء عليها السلام كان ثمن درع حطمية كانت لعلي عليه السلام . للمزيد ينظر : سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ، الباب الحادي عشر ، ص ٣١٩ .

درعك الحُطميّة ؟ فقلت : عندي – وكان رسول الله ﷺ قد وهبها لي – فأتيته بها ، فانكحني إياها على الدرع "[١] .

باع علي درعه إلى عثمان بن عفان بأربعمائة وثمانين درهماً ، فصبها بين يدي النبي ﷺ[٢] ، فقبض منها قبضة وقال لبلال : ابتع لنا بها طيباً وأمرهم أن يجهزوها فجعل لها سريراً مشروطاً ووسادة من أديم حشوها ليف وقربة وكساء خيبري ومخضب ، وقد أولم علي عليه السلام وليمة دعا إليها المسلمين ، فما كانت وليمة في ذلك الزمان أفضل من وليمته ، وقد أقبل الناس إليها أرسالاً بعد أنْ دعاهم إلى ذلك ، وقد استحيا من كثرة الناس وقلّة الطعام فعلم رسول الله ﷺ ذلك ، فقال : يا علي إني سأدعو الله بالبركة ، قال علي عليه السلام : فأكل القوم عن آخرهم طعامي وشربوا شرابي ودعوا لي بالبركة ، وصدروا وهم أكثر من أربعة آلاف رجل ولم ينقص من الطعام شيء[٣] ، ثم دعا رسول الله ﷺ بالصحاف فملئت ووجه بها إلى منازل أزواجه ثم آخذ صفيحة وجعل فيها طعاماً وقال : هذا لفاطمة وبعلها ، حتى إذا انصرفت الشمس للغروب قال رسول الله ﷺ : يا أم

١ – المصدر نفسه ؛ رواه أيضاً ابن سعد في ترجمتها من الطبقات الكبرى –٨ ، ص ٢٤ .

٢ – موجز سيرة الرسول وأهل البيت ، تأليف ونشر : لجنة التأليف – مؤسسة البلاغ ، ص ١١٣، نقلاً عن السيد محسن الأمين ، المجالس السنية ، ج٣ / ص ٧٣ – ٧٤ .

٣ – كاظم النقيب ، أئمتنا قادة وهداة ، ص ١٠٣ ، نقلاً عن : البحار للمجلسي ج٤٣ ، ص ٩٦ .

سلمة هلمي فاطمة ، فانطلقت فأتت بها وهي تسحب أذيالها ، وقد تصببت عرقـًا حياء من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فعثرت فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أقالك الله العثرة في الدنيا والآخرة[١] .

إنَّ الصورة البهيَّة التي رسمت لنا آنفـًا ، تأخذنا إلى عوالم من المحبَّة الأبويَّة الخالصة ، والمودَّة والرحمة في أبهى صورها وأحلى تجلياتها ، بين أب وابنته ، فعثرت ؟! كلمة تأخذ بتلابيب الفكر ، فاطمة بنت محمد . سيدة نساء العالمين . ابنة الرسول ، فتاة عروس مثل كل الفتيات في عمرها الغض ، أصابها ما يصيب كل فتاة في خطوها هذا نحو البيت الجديد ، والعالم الجديد ، والأسرة الجديدة ، إلّا أنَّ الزهراء عليها السلام ، أصابت بعثرتها تلك ـ فقد جنت دعوة نبوية أبوية خالصة ، فها هو الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، أب شفوق يبادر إليها بلسانه ، لسان الوحي والنبوة يسبقه قلبه المحبّ بالدعاء لها : (أقالك الله العثرة في الدنيا والآخرة) .

فما أروعها من دعوة أب ، وما أجزلها من دعوة نبي ، هنيئـًا للزهراء كلا الدعوتين والمحبة من قلب واحد تولّه بمحبتها حدّ الإلحاح في ذكر أثر هذه المحبة في قلوب الآخرين ، إن اتبعوا أثرها .

أمَّا الزهراء فقد أقال الله عثرتها فوقفت بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكشف الرداء عن وجهها حتى رآها عليها السلام ثم أخذ بيدها فوضعها في يد علي عليه السلام

١ – ابن سعد ، الطبقات الكبرى / ٨ ، ص ٢١ .

وقال : بارك الله لك في ابنة رسول الله ، يا علي نعم الزوجة فاطمة ، ويا فاطمة نعم البعل علي ، انطلقا إلى منزلكما ولا تحدثن حدثـًا حتى آتيكما[١] .

قال علي عليه السلام فأخذت بيد فاطمة وانطلقت بها حتى جلست في جانب الصفة ، وجلست في جانبها وهي مُطرقة إلى الأرض حياءً مني وأنا مُطرق إلى الأرض حياءً منها . ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : مَن ههنا ؟ فقلنا : ادخل يا رسول الله مرحبـًا بك زائراً وداخلاً فدخل[٢] .

وفي رواية أخرى عن الإمام علي عليه السلام : (.. فاستأذن رسول الله صلى الله عليه وآله علينا ، وعلينا كساء أو قطيفة ، قال : فتحشحشنا ، فقال : مكانكما على حالكما ، فدخل علينا فجلس عند رؤوسنا ودعا بماء ، فدعا فيه بالبركة ، ورشّه علينا)[٣] .

وفي الصباح كان النبي صلى الله عليه وآله أول زائر لهما ، فسأل عليـًا عليه السلام : كيف وجدت أهلك ، فقال : نعم العون عل طاعة الله ، وسأل فاطمة عليها السلام فقالت : خير بعل يا أبتاه . فرفع النبي صلى الله عليه وآله كفّيه وقال : اللهم اجمع شملهما ، وألف بين قلبيهما ، واجعلهما وذريتهما من ورثة الجنة ،

١- سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ص ٣١٩ .

٢- كاظم النقيب ، أئمتنا ... ، ص ١٠٤ ، نقلاً عن : كفاية الطالب ، ص ١٦٤ .

٣- ابن الجوزي ، تذكرة الخواص –ج٢ ، ص ٣٢٠ .

وارزقهما ذريّة طيبة مباركة واجعل في ذريّتهما البركة ، واجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك ويأمرون بما يرضيك[١] .

وأراد الإمام علي عليه السلام أنْ يلاطف رسول الله صلى الله عليه وآله ويكشف للناس أنَّ هذه العناية النبويَّة الفريدة بهذا الزواج ، لم يكن لولا عظمتها وأهميتها عند النبي صلى الله عليه وآله فقال : يا رسول الله ، أهي أحب إليك أم أنا ؟ فقال : (هي أحب إلي منك ، وأنت أعز عليّ منها)[٢] .

إنهما عروسان فتيان يبتغيان سبر غور محبَّة الوالد والأخ الرؤوم ، فيسألان في أول صباحاتهما المشتركة .. من أحب إليك ؟! إنهما معـًا ، كلاهما واحد عند النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وهما أحب إليه من كل الخلق على هذه الأرض .

فكيف كانت هي حياة الزوجين الشابين ؟ وكيف كان علي الرجل والزوج يعامل فاطمة المرأة والزوجة ؟ وكيف تم تقاسم الأدوار بينهما ؟ ليجعلا من بيتهما المتواضع جنة على أرضه تهفو إليها قلوب المؤمنين ، وتغدو واحة يركن إليها النبي محمد صلى الله عليه وآله في كل حين .

وفي البدء ما الذي كان يحويه هذا البيت المبارك الجديد ؟ وما الجهاز الذي جهّز به علي فاطمة الغالية ؟

---

١ – كاظم النقيب ، أئمتنا قادة وهداة ، ص١١١ . نقلاً عن: البحار للمجلسي ج٤٣، ص ١١٧ .

٢ – كاظم النقيب ، أئمتنا قادة وهداة ، ص١١١ .

قال هشام : وأهديت إليه في بردين ، وفي يديها دملوجان من فضة ، ومعها خميلة، ومرفقة من أُدم حشوها ليف، وقربة ، ومُنخُل، وجراب[١].

وعن محمد بن علي قال: (تزوج علي فاطمة على إهاب شاة (وسحق حبرة) وذلك في رجب بعد الهجرة بخمسة أشهر، وبنى بها بعد مرجعه من بدر.

وفي قول للإمام علي عليه السلام : (لقد تزوجت فاطمة ، وما لي ولها فراش غير جلد كبش ننام عليه بالليل ، ونعلق عليه الناضح بالنهار ، وما لي ولها خادم غيرها)[٢] .

أمَّا أسماء بنت عميس فقالت : لما أهديت فاطمة إلى علي عليه السلام ، لم تجد عنده إلا رملاً مبسوطًا ، ووسادة ، وكوزاً ، وجرَّة[٣] .

وفي رواية : إنَّ الرسولَ صلى الله عليه وآله جهزها بخميلة (وهي القطيفة) ومعها قربة من أدم ، ووسادة من أدم حشوها ليف ، وجلد كبش ، ينامان عليه بالليل ، ويعلقان عليه في النهار ، ورحى ، وجرة[٤] .

ولو جُمعتْ كلّ الروايات فإنَّ جهاز فاطمة عليها السلام هو : قميص ، وخمار لغطاء الرأس ، وثوب له زغب ، وعباءة قصيرة بيضاء ، ومنشفة ،

---

١ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى –٨ ، ص ٢٤ .

٢ - ابن سعد ، الطبقات الكبرى – ٨ ، ص ٢٢ .

٣- سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص / ج٢ ، ص ٣٢٤ .

٤ - ما رواه ابن سعد في ترجمتها من الطبقات الكبرى –٨ ص ٢٣ عن أبي جعفر الباقر عليه السلام .

وفرشان : أحدهما ليف والآخر صوف ، ومخدة ليف ، وأربعة متكآت حشوها من نبات الأرض ، وسرير من جريد النخل ، وجلد كبش ، وحصير ، وستار من صوف ، وقدح من خشب ، ورحى للطحن ، وإناء من نحاس للعجن والغسيل ، وقربتان : كبيرة وصغيرة ، ووعاء من ورق النخل مزفت ، وجرَّة خضراء وكوزان من خزف ، ومنخل ، وخشبة نصبها الإمام علي من الحائط إلى الحائط داخل البيت لتعليق الثياب ، إذ لا خزانة ولا صندوق لثياب العرس[١] .

انتقلت فاطمة إلى بيت زوجها المتواضع ، علي بن أبي طالب عليه السلام ، سعيدة راضية ، في كنف زوجها قريرة العين سعيدة النفس ، لا تفارقها البساطة ، ولا تبرح بيتها خشونة الحياة ، فهي زوجة الوصي علي بطل الإسلام ، فكانت له كما كانت أمها لرسول الله صلى الله عليه وآله ، تشاركه في جهاده ، وتصبر على قساوة الحياة[٢] .

تقول بنت الشاطئ : لا أصف هنا مدى ما بعث في حياتها الزوجيَّة التي عرفا خشونتها وقسوتها ماديـًا ، من بهجة وأنس وإشراق[٣] .

---

١ – محمد جواد مغنية ، فضائل الإمام علي ، ص ٢٤ .

٢ – موجز سيرة الرسول وأهل البيت ، تأليف ونشر : لجنة التأليف – مؤسسة البلاغ ، ص ١١٧ .

٣ – مريم فضل الله ، ص ١٨٣ . نقلاً عن تراجم سيدات بيت النبوة لبنت الشاطئ .

تمثلت في شخصية الزهراء عليها السلام بوصفها زوجة ما لم يتوافر في غيرها من النساء الصالحات اللاتي تحدّث عنهن القرآن الكريم ، وتحدّث عنهن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ومنهن: آسية بنت مزاحم ، أو مريم ابنة عمران عليهما السلام التي لم تتوافر لها ظروف أسرة كاملة لتضطلع بها ، وكذلك لم تتوافر لآسية زوجة فرعون ظروف أسرة كاملة وصالحة في حركتها ، فهي وإنْ كانت زوجة ، لكن لم يكن لها أولاد ، وكانت زوجة طاغية مستبد ، ولم تكن قادرة على أن تعبّر عن تلك العلاقة القوية في أحكام الأسرة وعلاقاتها وبنائها . أمَّا خديجة عليها السلام فقد كان لها الأثر الكبير في الجانب الأسري ، فهي زوجة رسول الله صلى الله عليه وآله وأم ذريته ؛ لأنَّها أم الزهراء عليها السلام فهي تشبهها من هذه الناحية ، ولكنَّ الزهراء عليها السلام امتازت عن أمِّها في الأدوار الأخرى التي مارستها في حياتها، التي استطاعت أن تحفظ في شخصيتها قضية الموازنة بين هذه الأدوار[١].

أمَّا الإمام علي عليه السلام فقد كشف عن سمة العلاقة بينه وبين الزهراء عليها السلام ، التي ظهرت واضحة بالتزامه وصية الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ، فقد روي عنه في حديث تزويجه بفاطمة، قال: ثم صاح بي رسول الله صلى الله عليه وآله : يا علي ، فقلت : لبيك يا رسول الله ، فقال : أدخل بيتك وألطف بزوجتك

١ – محمد باقر الحكيم ، الزهراء علها السلام ، ص ٣٦ .

وأرفق بها ، فإنَّ فاطمة بضعة مني يؤلمني ما يؤلمها ويسرّني ما يسرّها ، قال علي عليه السلام : فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل ، ولا أغضبتني ولا عصيت لي أمراً ، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عني الهموم والأحزان[١] .

وعن الإمام الصادق عليه السلام : أوحى الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وآله: قل لفاطمة لا تعصي عليـًا فإنَّه لو غضب غضبت لغضبه . إنَّ هذه الأقوال المتقابلة في فضل فاطمة وعلي تظهر كفاءة أحدهما للآخر من دون مواربة ، فلقد عوتب النبي صلى الله عليه وآله في أمر فاطمة مراراً ، فقال : (لو لم يخلق الله علي بن أبي طالب لما كان لفاطمة كفو) وفي خبر (لولاك لما كان لها كفو على وجه الأرض) .

وعن المفضل عن أبي عبدالله عليه السلام قال : لولا أنَّ الله تعالى خلق أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن لفاطمة كفوء على وجه الأرض آدم فمن دونه[٢] .

وفي شعر لابن حماد :

لـو لـم يكـن خيـر الرجـال لـم تكـن زوجتــه فاطمــة خيــر النســا

وانتظمت حياة الزوجين في هذا البيت المبارك على نمط من الزهد وخشونة العيش في رضا وهدوء بال ، فالدنيا حقـًا لم تكن محبوبة

١ – العلامة المجلسي ،بحار الأنوار ، ج ٤٣ ، ص ١٣٤ .

٢ – بن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ .

لديهما، فعن ابن عباس : أنَّ فاطمة عليها السلام بكت للجوع والعري ، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (اقنعي يا فاطمة بزوجك ، فوالله إنه سيد في الدنيا سيد في الآخرة)[١] .

كان عليّ عليه السلام يعمل أجيراً في بعض الأوقات ، ليكسب قُوته بيده ، وكان يأتيه رزق وعطاء وافر من وظيفته بوصفه مجاهداً في سبيل الله ، ومن الغنائم التي يغنمها المسلمون من العدو في ميادين الجهاد ، ولكنَّه كان ينفق ذلك كلّه في سبيل الله ، ولا يحتفظ لأهل بيته إلّا الكفاف ، ثقةً بالله وتوكلاً عليه ، وتفانياً في طلب مرضاته[٢] .

ومنذ بدء حياتهما الزوجيَّة قسمت الأدوار والمهمَّات ما بين علي وفاطمة وكان حد الشروع في مهماتهما يبدأ من باب الدار إلى داخله من مسؤولية ربة البيت ، ومن باب الدار إلى خارجه من مسؤولية رب البيت ، ولكن هذا لا يعني عدم اتكال أحدهما على الآخر في بعض المهمَّات المزدوجة ، فالإمام علي لم يكن دائم الاستقرار في داره ، ففي كلّ المعارك التي خاضها المسلمون ، كان سيفه البتّار أول سيف يرفع من أجل إعلاء كلمة الحق ، كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله ؛ ذلك أنَّ فاطمة هي من تأخذ على عاتقها مسؤولية البيت كاملة فكانت خير مربٍ

١ - ابن شهر آشوب ، المناقب ، ج٣ ، ص ٣٦٥ .

٢ - محمد بكر إسماعيل ، فقيه الأمة ومرجع الأمة ، ص ٦٠ .

للعيال ومدرسة أنجبت للأمة الإسلاميَّة خيرة الأبناء والبنات ، سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم عليهم السلام .

فالزهراء عليها السلام كانت ربّة بيت تطحن الحنطة في بيتها ، وتنظفه وهي في عين الوقت المرأة العالمة الفاضلة ، وفي الوقت نفسه المرأة المجاهدة المدافعة عن مبادئها ، هي التي منحت جميل رعايتها ووافر حنانها لأبنائها، وأعطت لزوجها كامل حقوقه ، ووهبت لأبيها خالص عنايتها حتى كنَّاها صلى الله عليه وآله بـ(أم أبيها) ، إذ كانت عليها السلام في رعايتها للأسرة والبيت وما يرتبط به في أعلى درجات الرعاية ، وبذلك ضربت الزهراء عليها السلام المثل الأعلى[1] بوصفها زوجةً وأمَّـا مسلمة .

وكذلك كان علي عليه السلام عونـًا لها وسنداً حتى إذا اقتضت الحاجة أن يساعدها في أعمال المنزل، فعل، تأسيـًا بفعل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله في بيته، بل إنَّ النبي صلى الله عليه وآله لطالما أعان فاطمة وعلي في تدبير بعض شؤونهما المنزلية.

عاشت فاطمة عليها السلام في بيتها ربةً للبيت ، تُعنى بشؤون منزلها ، فلم يكن لديها خدم ولا عبيد ولا أجراء فكل حياتها كدح وجهاد ، كانت فاطمة عليها السلام تطحن الشعير وتدير الرحى بيدها ، وتصنع أقراص الخبز بنفسها ، وتكنس البيت ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام يريان

---

١ – محمد باقر الحكيم ، الزهراء عليها السلام ... ص ٣٧ .

ذلك من فاطمة فيشاركانها العناء ويهونان عليها متاعب الحياة ، بل وكان علي ومعه الرسول يساعدانها في أعمال المنزل وتدبير شؤون البيت[١] .

فقد روي أن رسول الله ﷺ دخل على فاطمة وهي تبكي ، وتطحن بالرحى ، وعليها كساء من أجلة الإبل ، فلما رآها بكى وقال : يا فاطمة تجرعي مرارة الدنيا اليوم لنعيم الآخرة غداً ، فقالت فاطمة : يا رسول الله، الحمد لله على نعمائه والشكر لله على آلائه . وفي ذات يوم دخل النبي ﷺ على فاطمة وهي تطحن مع علي بالجاروش فقال : لأيكما أعقب ، فقال علي : لفاطمة فإنَّها قد أعيت ، فقامت فاطمة ، فطحن النبي ﷺ مع علي لفاطمة[٢] .

عاشت فاطمة عند علي بضع سنين كزوجة ، فكانت له كل الدنيا وبهجتها ، فقد تغني امرأة عن كل نساء الأرض ، بل قد تكون هذه الامرأة هي كل النساء ، وهكذا كانت فاطمة الزهراء عند علي ، وهو لا يملك إلا قلبه وسيفه ، وإلا علمه وإيمانه ، وكانا يسكنا في بيت متواضع شمخ بهما وبذريتهما نحو الذرى فأصبح قبلة المحبَّة والمودة للنبي وآل النبي .

ومن هنا قال الرسول ﷺ : (ليست الدنيا من محمد ولا آل محمد) وماذا يصنع محمد وآل محمد بالدنيا ، وقد خلقوا للخير والرحمة

١ - موجز سيرة الرسول وأهل البيت عليهم السلام ، تأليف ونشر: لجنة التأليف – مؤسسة البلاغ ، ص١١٨ .

٢ - المصدر نفسه.

والكرامة الدائمة ، خلقوا للهدى إلى الله ودين الحق ، وللوجاهة والشفاعة غداً لمن أحبهم وأحبوه[١] .

ومن هنا يتضح أنَّ علاقة الإمام علي عليه السلام بالمرأة التي كانت صنواً له، وتوأمـًا لروحه ، علاقة رسخت للمفاهيم القرآنية في الرحمة والمودة والسكن ، فكانت فاطمة لعلي جنته على الأرض ، ورفيقة عمره الأثيرة ، لم يفارقها منذ أبصرت عيناها النور وحتى أغمضتها واجدة على من حولها ممن ظلمها .

كانت فاطمة لعلي أغلى الفواطم منحته آصرة مصاهرة خير البشر وأورثته ابني رسول الله ، نسبـًا وسببـًا لا ينقطع إلى يوم القيامة ، وكانت له زوجةً ووليفة وأمـًا وبضعة أسعدت أيامه وأسعدها ، وما كان لغيرها طيف في خياله ، كما تحاول أن تدّعي بعض الروايات الموضوعة ، فتلصق بالإمام علي عليه السلام فرية طلبه الاقتران بزوجة أخرى لغضبه من الزهراء عليها السلام ، أو شكوى فاطمة حاشاها الله من علي لفقره[٢] .

---

١ – محمد جواد مغنية ، فضائل الإمام علي ... ، ص ٢٧ .

٢ – سبط ابن الجوزي، ج٢ – ص ٣٢٨ وما بعدها . يذكر فيها : لما زوّج رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة من علي عليه السلام قالت: (يا رسول الله، زوجتني من رجل فقير ليس له مال؟!) فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله: (أما ترضين أن الله تعالى اختار من أهل الأرض رجلين ، أحدهما أبوك والآخر زوجك ؟) . وفي رواية : (زوجتني من عائل لا شيء له) ، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله : (أما ترضين أن يكون الله أطلع على أهل الأرض فاختار منهم رجلين ، فجعل أحدهما أباك والآخر بعلك) .

إنَّ أسرة علي وفاطمة وأولادهما كانت أنموذجاً إسلامياً متفرداً في خصائصه ومميزاته ، أغاض ديمومة دعته واستقراره حفيظة أعداء الإسلام والمنافقين ، فأخذوا يبحثون عن الثغرات في جدار هذه اللوحة الإيمانيَّة السامية ، وعندما لم يجدوها افتعلوها افتعالاً علهم يحدثون ثلمة في الصورة النقية البديعة لشخوص بيت آل النبوة الأطهار .

فلطالما افتخر الإمام علي عليه السلام باقترانه بالزهراء عليها السلام ، ففي خطبته بالكوفة بعد منصرفة من النهروان ، وبلوغه أنَّ معاوية يسبّه ويلعنه ويقتل أصحابه، فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: (يا أيها الناس لعلكم لا تسمعون قائلاً يقول مثل قولي بعدي إلا مفتر ، أنا أخو رسول الله وابن عمه وسيف نقمته ... وأنا زوج البتول سيدة نساء العالمين فاطمة التقية النقية الزكية المبرة المهدية ، حبيبة حبيب الله وخير بناته وسلالته وريحانة رسول الله ...)[١] .

أنظر أيها المتفكر في عمق هذه الصفات الجزيلة الواصفة لصفات الزهراء عليها السلام ، علي هنا زوج قد فارقته زوجته هذه مع أبيها من سنوات وسنوات وأضحى له من الزوجات بعدها تسعاً كما تذكر الروايات ، وها هو يذكرها فيتبتل بذكر محمود صفاتها ، صفة صفة ، أكاد أجد بين

١- محمد جواد مغنية ، حياة الصديقة فاطمة ... ، ص ٤١ . نقلاً من معاني الأخبار ، ص ٥٨ ؛ بشارة المصطفى ، ص ١٢ .

الكلمات والسطور، نَطَقَ أبو الحسن ... أنها حبيبة حبيب الله وريحانته ... وهي حبيبتي وريحانتي .. لولا الحياء والعفة ودلالة الموقف والمكان !!

لقد زاد أعداء أهل البيت عليهم السلام في الأساطير والافتراءات والأكاذيب، فكانوا يتهمون عليـًا ويفترون عليه بأقوال وأفعال ، ويشكونه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وافتروا على الزهراء فاطمة بأنها كانت تشتكي من علي عند أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[١] . فمن افتراءاتهم أنها شكت عليـًا من إهداء جعفر جارية له ، وإنها شكت عليـًا في خطبته أسماء بنت عميس ، وكذلك اشتد غمها من خطبة علي ابنة أبي جهل[٢] .

إنَّ كلَّ هذه الأخبار باطلة ومن المجعولات ، وإنَّما وضعها الوضَّاعون للحط من كرامة الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام حقداً وحسداً لاقترانه بالزهراء عليها السلام وإيثار النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهما . وقد أسهبت كتب الفريقين في دفع هذه الأخبار وإيراد الحجج على بطلانها[٣] .

يقول المجلسي رحمه الله في دفعه لهذه التهم والافتراءات: (... إنَّه لم يكن الإمام محتاجـًا إلى غيرها ، إذ كانت دائمـًا طاهرة مطهَّرة تقية نقية

١- ينظر : كتاب فاطمة الزهراء والفاطميون للعقاد ، ص ٣٠ ؛ يراجع : ابن سعد ، الطبقات الكبرى / ج٨ ، ص ٢٦ ترجمة فاطمة .

٢- محمد جواد الطبسي ، حياة الصديقة فاطمة ، ص ١٥٧ وما بعدها .

٣- للمزيد ينظر: الإرشاد للمفيد، ص٧٤ و٧٥؛ ذخائر العقبى، ص٣٨ ، أمالي الطوسي، ص٤٣؛ بحار الأنوار / ج٤٣ ، ص ١٥٣ .. وغيرها الكثير .

وحوراء إنسية ، وقد جمع الله فيها صفات لم يجمعها لأحد من النساء من الأولين والآخرين ، فأي امرأة كانت تشبه فاطمة بهذه الصفات والملكات حتى يرغب الإمام علي عليه السلام إليها، نعم ، لم يتزوج الإمام ما دامت فاطمة حية إكراماً واحتراماً وتعظيماً لها صلوات الله عليها ، كما لم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وآله على خديجة ما دامت حية)[١] .

ومن المسائل التي أثارها الحاسدون ، هو وجود التنازع والتخاصم والتشاح بين علي وفاطمة ، فإنَّه لا يمكن - في الأعم الأغلب - أنْ يعيشَ الإنسانُ مدة تسع سنين مع زوجته ولا يكون بينهما تنازع وتشاح في المسائل الجزئية ؟

وهذا الكلام يصحُّ لو كان علي وفاطمة عليهما السلام غير معصومين، ولأصبح التشاح ممكناً بينهما كما قد يتفق لكثير من الأزواج، وهكذا لو كان أحدهما غير معصوم لأمكن أيضاً أن يكون الاختلاف والتنازع من قبل غير المعصوم ، أمَّا علي والزهراء عليهما السلام بوصفهما معصومين ، فلا يتصور حتى الشكل الضعيف من التخاصم بينهما ، فكيف بالشكل الحادّ الذي يحتاج أن يتدخل النبي في الصلح بينهما[٢] .

---

١ - محمد جواد الطبسي ، حياة الصديقة فاطمة ، ص ١٦٥ .

٢ - محمد بكر إسماعيل ، فقيه الأمة ، ص ٦٢ وما بعدها .

ومما يكذّب هذه الروايات ، أنَّ أغلبية الناس قد يتفق فيهم التشاح ولكن لا يخرج ذلك من إطار البيت ، بل ينتهي بعفو الرجل عن زوجته ، أو أن تعفو المرأة عن زوجها ، وتنتهي بلا تدخل الآخرين وإنْ كان المصلح من ينتسب إليهما ، فكيف بعلي بن أبي طالب عليه السلام الذي نشأ في حجر رسول الله ، وتربَّى تربيته ، وأخذ من أخلاقه وعلومه ، وهكذا ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فكيف يُتصوّر هذا التخاصم إلى الحد الذي يتدخل فيه الرسول بينهما[١] .

إنَّ فاطمة كانت حجة الله ، وهكذا علي كان حجة الله على الخلق ، فلا شكَّ أنَّ كلَّ أفعالهما وأقوالهما وحركاتهما وسكناتهما حجَّة على الآخرين ، بحيث كانا أسوة للمسلمين ، فكيف يتصوّر أن يحصل التنازع بينهما في بعض الأمور ؟ وهما أحبُّ إلى رسول الله وإلى أهل السماء ، أو أحب مَن على وجه الأرض ، أو أكرم الخلق على الله كما يصرّح به النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

إنَّ نظرةً واحدةً متجردةً إلى قول فاطمة لعلي حين الاحتضار تدحض كلّ الافتراءات ، فضلا عن ذلك فإنَّ حديث الإمام علي وخطبه عن فاطمة وحُسن معاشرتها يعدّ دليلا قويّـًا على كذب هذه الروايات التي نقلت

١ – محمد جواد الطبسي ، حياة الصديقة فاطمة ، ص ١٦٦ .

عنهما ، ومن ذلك شكواها في أمر الزواج ، أو أن علياً رماها ببصره رمياً شحيحاً ، أو أن رسول الله غضب من فعلها .. وما إلى ذلك من أكاذيب ، وهما أجلّ وأكرم من أن يتخاصما في أمور الدنيا كما قيل[١] .

قال ابن فتّال النيسابوري : (فلما نُعيت إليها نفسها ودعت أم أيمن وأسماء بنت عميس ، ووجهت خلف علي وأحضرته فقالت : يا بن عم إنَّه قد نعيت إلي نفسي ، وإنني لأرى ما بي لا أشك إلا أنني لاحقة بأبي ساعة بعد ساعة ، وأنا أوصيك بأشياء في قلبي قال لها علي عليه السلام : أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله ، فجلس عند رأسها وأخرج مَن كان في البيت ثم قالت : يا بن عم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني ، فقال : معاذ الله أنت أعلم بالله وأبر وأتقى وأكرم وأشد خوفاً من الله أن أوبّخك غداً بمخالفتي : فقد عزّ عليّ بمفارقتك وبفقدك ...) . ألم تقل لعلي حينما استأذنها الإمام عليه السلام لدخول الشيخين لعيادتها : يا بن عمي المنزل منزلك ولا إذن فيه ... وأعوذ بالله أن أعصيك طرفة عين[٢].

ويتجلى القول الفصل في هذا الأمر ، قول الإمام علي عليه السلام بعد فقدها: (فوالله ما أغضبتها ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز وجل،

١- محمد جواد الطبسي ، حياة الصديقة فاطمة ، ص ١٦٩ .

٢- محمد جواد الطبسي ، حياة الصديقة فاطمة ، ص ١٦٩ .. نقلاً عن : روضة الواعظين ، ص١٥١ ؛ كشف العمة / ج١ ، ص٣٧٣ .

ولا أغضبتني ولا عصيت لي أمراً ، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عني الهموم والأحزان) .

ويقينـًا أنَّ الارتباط السماوي ما بين علي والزهراء عليهما السلام قد منح الإسلام والإنسانيَّة مثالاً حيـًا ونابضـًا بالعنفوان مدى الدهر لكل نواة أسرية تتشكل، من الأوجه كافة ، إيمانيـًا واجتماعيـًا واقتصاديـًا وروحيـًا.

قبل وفاة النبي ﷺ ... بعد الوفاة

ما أنْ غادرت فاطمة الزهراء عليها السلام بيت أبيها محمد ﷺ لتستقر في بيت علي عليه السلام ، حتى غدا بيتها المتواضع ذاك، واحة يركن إليها النبي ﷺ في كلِّ حين .

فما كان الرسول ﷺ ليقوى على فراق الحبيبين ، أخيه وربيبه وبضعته الطاهرة ، فكان دائم الزيارة لهما في غدوه ورواحه للصلاة ، بل إنَّ المصادر تذكر بتواتر لدى الفريقين ، أنَّ بيت الزهراء هو أول مكان كان يقصده النبي ﷺ عند أوبته من غزواته .

روى الحاكم بإسناده إلى ثعلبة الخشني ، أنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم إذا رجع من غزاة أو سفر استقبل المسجد فصلى فيه ركعتين ، ثم ثنى بفاطمة رضي الله عنها ، ثم يأتي أزواجه ، فلما رجع ، خرج من المسجد ، تلقته فاطمة عند باب البيت تلثم فاه وعينها تبكي ، فقال لها : يا بنية ، ما يبكيك ؟! قالت : يا رسول الله ، ألا أراك شعِثًا نَصِبًا قد أخلولقت ثيابك !! قال : فإن الله عز وجل بعث أباك لأمر لا يبقى على ظهر الأرض بيت مدر ولا شعر إلا أدخل الله به عزاً أو ذلاً حتى يبلغ حيث بلغ الليل)[1] .

---

١ – محمد علي الأنصاري ، حياة أهل البيت عليهم السلام ، ص ١٧٧ – ١٧٨ . نقلاً عن المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٥٥ ، باب فضائل فاطمة عليها السلام .

وهنا نتوقف للتفكّر برهة في مغزى هذه الرواية ، لنتصور بأذهاننا الموقف المتفرد لنبي الأمة ، زوج لديه عدد من الزوجات ، يعود من سفر طويل وقتال وحرب ، فلا يكون هدفه ومستقره إلا بيت ابنته فاطمة لتكون أول من تكتحل عيناه برؤيتها من أهله !! أي محبة وأي شغف هذا سنجد في روايات على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يسوغه .

وكم كان يبعد بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن بيت فاطمة وعلي ؟! .. بضعة خطوات لا غير، ومع ذلك نجده شغوفاً بمشاركتهم كلّ لحظات حياتهم، ومتابعة دقائق أمورهم لحظة بلحظة ، بمتابعة أبوية خالصة ، وإسداء النصح إليهما واستنزال البركة بدعائه المستديم لهما .

ومن شدّة تعلقه بهما ، جاء في الخبر ، أنَّ النبيَّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لم يطق فراقهما ولم تمضِ أيام على تحوّل فاطمة من داره إلى دار زوجها حتى صرَّح لها برغبته في تحويلها إلى دار قريبة منه ، ليأنس بهما ، فحققت هذه الرغبة هوًى في نفسيهما ، فعلم بذلك حارثة بن النعمان ، وكان له دار ملاصقة لدار النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فتحوَّل عنها من أجل أنْ تسكن فيها فاطمة وزوجها عليهما السلام، وجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الدار ليمهد لهما سبل الراحة فيها، فقال له حارثة بن النعمان ، وهو من بني النجار : (إنَّما أنا ومالي لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، والله يا رسول الله، للمال الذي تأخذ مني أحبّ إلي من الذي تدع !)[1] .

---

١ – محمد بكر إسماعيل ، فقيه الأمة .. ، ص ٥٨ – ٥٩ .

فقالَ رسولُ الله ﷺ : (صدقت ، بارك الله عليك) وحولهما إلى هذا البيت الجديد ، وأمر أن يُفتح باب من المسجد عليه ، ليدخل عليها منه متى شاء وكيف شاء ، فكان يغدو ويروح في سرور وحبور .

وسدّ الأبواب إلّا باب علي وفاطمة[١] هو إحدى الكرامات والفضائل التي تفرَّد بها هذا البيت ، إذ كانت تفتح على مسجد الرسول أبواب عدّة من المهاجرين ، ومنهم الهاشميون ومن ضمنهم الحمزة والعباس أعمام رسول الله ، وبينهم أقرب الصحابة من المهاجرين حتى آباء أزواج رسول الله (أبو بكر وعمر) ، فأمرَ رسولُ الله ﷺ بسدِّ جميع هذه الأبواب ومنع الجميع من الدخول والجلوس والمرور في المسجد ، إذا كانوا جنبـًا واستثني علي وفاطمة والحسن والحسين ، فكانت لهذه الحادثة اعتراضات صريحة وغير صريحة من الصحابة وأعمامه، فاضطرَّ ﷺ أنْ يصعد المنبر ويبلّغ الناس أنَّ ما قام به من أوامر الله ونواهيه، وقد أخرج ذلك صفوة المحدثين والرواة من أعلم علماء أهل السنة والجماعة وعن أقرب الصحابة[٢] .

---

١ - جواد جعفر الخليلي ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – القسم الأول ، ص ٥٠ .

٢ - الإمام أحمد في مسنده ج٤ ص ٣٩٩ ؛ النسائي في السنن الكبرى والخصائص ص ١٣ و١٤ وج١ ص ١٧٨٥ ، وج٢ ص ٢٦ : ابن حجر في القول المسدد ص ٦٧ ؛ صحيح الترمذي والهيثمي في مجمع الزوائد ج٩ ص ١١٤ ؛ سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص ٢٤ ؛ ابن =

وقد أجمعوا على صحَّة إسناد هذه الرواية وكلهم ثِقات .. فقالوا : رسول الله دعا الصلاة جامعة حتى إذا اجتمعوا صعد المنبر ولم نسمع لرسول الله ﷺ تحميداً وتعظيمـاً في خطبه مثل يومئذ ، فقال : يا أيها الناس ما أنا سددتها ولا أنا فتحتها بل الله فتحها وسدها ثم قرأ : ﴿**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[١] فقال رجل : دع لي كوة في المسجد فأبى وترك باب علي مفتوحـاً ، فكان يدخل ويخرج منه وهو جنب .

فقد ورد عن بريرة الأسلمي عن أبي سعيد الخدري قوله ﷺ : لا يحلُّ لأحد أن يجنب في هذا المسجد غيري وغيرك (يقصد عليـاً)[٢] ، وغيرها من الاحاديث [٣] .

= أبي الحديد في شرح النهج ج٢ ص ٤٥١ ؛ ابن كثير في تاريخ ٧٩ ص ٣٤٢ ورواه في فتح الباري ٧ ص ١٢ ، وغيرهم .

١ – سورة النجم، آية ١ – ٤ .

٢ – المصدر نفسه، ص٥٣ . نقلاً عن: الترمذي في جامعه٢ ص٢١٤ والبيهقي في سننه٧ ص٦٦ والبزار وابن مردويه وبن منيع في مسنده والبغوي في المصابيح ٢ ص ٢٦٧ وابن عساكر في تاريخه ومحب الدين الطبري في الرياض ٢ ص ١٩٣ وابن كثير في تاريخه ٧ ص ٣٤٣ والسبط بن الجوزي في تذكرته ص ٢٥ وابن حجر في الصواعق وفي فتح الباري ٧ ص ١٢ والسيوطي في تاريخ الخلفاء ص ١١٥ والحلبي في السيرة ص ٣٧٥ .

٣– جاء في سنن البيهقي / ٧ ، ص ٦٥ ؛ والسيرة الحلبية –٣ ، ص ٣٧٥ .

إنَّ البيتَ الذي ضمَّ عليّـًا والزهراء وأولادهما كان له المكانة الرفيعة لدى الرسول لتأكيد القرآن على هذه المكانة ، فقد نزل قوله سبحانه : ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾[١] على قلب سيد المرسلين وهو ﷺ في المسجد الشريف ، فقام إليه رجل فقال : أي بيوت هذه يا رسول الله؟ قال : بيوت الأنبياء ، فقام إليه أبو بكر ، فقال : يا رسول الله : أهذا البيت منها ؟ مشيراً إلى بيت علي وفاطمة عليهما السلام ، قال : (نعم ، من أفاضلها)[٢] وإذا كان قرب النبي ﷺ من علي وفاطمة وشدة إيثاره إياهما قد أثارت حفيظة المقربين منه من الأصحاب والأقارب والأعمام ، فإنَّ شدّةَ حبّ النبي ﷺ لفاطمة وبعلها قد أثارت حفيظة حتى زوجاته ، فعن الإمام الصادق عليه السلام قال : كان رسول الله يُكثر تقبيل فاطمة، فأنكرت عليه بعض نسائه، فقال ﷺ: (إنَّه لما عرج بي إلى السماء ، فأخذ بيدي جبرئيل، فأدخلني الجنة فناولني من رطبها فأكلتها)؛ وفي رواية : (فناولني منها تفاحة فأكلتها ، فتحوَّل ذلك نطفة في صلبي ، فلمَّا هبطت إلى الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة ، ففاطمة حوراء إنسية ، فكلَّما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي). ودخل النبي ﷺ على فاطمة فرآها منزعجة فقال لها: (ما لك) قالت: الحميراء افتخرت على أمي أنها لم

١ – سورة النور ، آية ٣٦ .

٢ – جعفر السبحاني ، الحجة الغراء على شهادة الزهراء عليها السلام ، مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ، مطبعة اعتماد ، ط٢ ، قم –إيران ، ١٤٢٣ هـ ق ، ص ١٨ .

تعرف رجلاً قبلك وأن أمي عرفتها مسنّة، فقال صلى الله عليه وآله : (إن بطن أمك كان للإمامة وعاء)[١] .

قد أثمرت شجرة النبوة ووعاء الإمامة فأنجبت فاطمةُ الحسنَ ثم الحسينَ ، فيستقبلهما رسول الله صلى الله عليه وآله كاستقباله لميلاد فاطمة وعلي ويسميهما حسنـًا وحسينـًا فلم يمضِ أكثر من عشرة أشهر إلا وجاءت الثمرة اليانعة الأولى لهذا الزواج المبارك ، فقد وضعت الزهراء في النصف من رمضان سنة ثلاث من الهجرة غلامـًا زكيـًا كان أشبه الناس بجدّه خاتم الأنبياء والمرسلين .

وجاء اليوم الخامس من شهر شعبان من العام الرابع للهجرة فأنعم الله على أهل البيت ، إذ أنجبت فاطمة الزهراء مولوداً ذكراً جاء بعد مولد الحسن بحوالي أحد عشر شهراً . فكانوا أول أولاد رزق بهما الإمام علي أعقبهم زينب الكبرى وزينب الصغرى المكناة بأم كلثوم[٢]. وقد أسقطت فاطمة الزهراء عليها السلام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ذكراً كان سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وهو حمل محسنـًا[٣] .

١- بن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب –٣ ، ص ٣٨٣ .

٢- محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي الملقب بالشيخ (المفيد) (المتوفى ٤١٣هـ)، ص ١٨٦ .

٣- المصدر نفسه ، ص ١٨٧ ؛ بن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب –٣ ، ص ٣٩٤ .

لقد شغل أولاد فاطمة وعلي موقعاً من نفس النبي هو موقع الولد الحبيب من قلب أبيه الحنون ، وتبدأ هذه العلاقة الأبوية والروحية بين الرسول ﷺ ، والحسن والحسين عليهما السلام من يوم الميلاد ، فهي علاقة النبوة بالإمامة ، وعلاقة حفظ الشريعة وقيادة الأمة بعد الرسول ﷺ بالتبليغ والرسالة ، لذا كان رسول الله ﷺ يحتضن الحسن والحسين ويقول : (كل ولد أب فإنَّ عصبتهم لأبيهم ، ما خلا فاطمة فإني أنا أبوهم وعصبتهم) و(هذان ابناي من أحبهما فقد أحبني)[١] .

وما كان الإمام علي عليه السلام ليضيق بهذا القول أو يتبرّم منه ، بل على العكس من ذلك لطالما أكد هذا القول في خطبه وأقواله ، بأنَّ الحسن والحسين وَلدا رسول الله ﷺ من دون أولاده الذكور الآخرين . وما كان ليخالف قول النبي محمد ﷺ فيهما : (إن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي من صلبه وجعل ذريتي من صلب علي بن أبي طالب)[٢] .

إنَّ سعادةَ الرسول ﷺ كانت تكتمل كلّما حلَّ ضيف جديد ، ومولود جديد على بيت فاطمة وعلي ، ولكن بقي للإمامين الزكيين الحسن

---

١ - موجز سيرة الرسول وأهل البيت ، تأليف ونشر : لجنة التأليف – مؤسسة البلاغ ، ص ١١٩ . نقلاً عن ذخائر العقبى للطبري ص ١٢١ و١٢٤ .

٢ - جواد جعفر الخليلي ، أمير المؤمنين ... ، ص ٢٣٩ وما بعدها . وقد أورد المؤلف عشرات المصادر التاريخيَّة التي روت هذه الأقوال المتواترة .

والحسين عليهما السلام أفضلية نقل الإمامة ، كونهما ابني رسول الأمة بنصِّ قول النبي محمد صلى الله عليه وآله عنهما : (ابناي هذان ريحانتاي في الدنيا ، ابناي هذان إمامان قاما أو قعدا)[١] .

وكان النبي صلى الله عليه وآله يبيت عند فاطمة وعلي حيناً بعد حين ، ويتولى خدمة الحسن والحسين ، ففي إحدى هذه الليالي سمع الحسن يستسقي ، فقام صلوات الله عليه وآله إلى قربة يعصرها في القدح ، ثم جعل يعبه ، فتناول الحسين فمنعه وبدأ بالحسن قالت فاطمة: (كأنه أحب إليك ؟!) ، قال : (إنما استقى أولاً)[٢] .

وعلى مرّ السنين يمتلئ البيت بالأولاد من بنين وبنات، ويحوط الجميع رعاية الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وحبّه . تقول الدكتورة بنت الشاطئ : (لا أصف هنا ما كان لهذا الحبّ الأبوي من أثر عميق في إسعاد فاطمة التي أرهقها الحزن وأنهكها العبء شابة)[٣] .

عاشت فاطمة في بيت علي عليهما السلام سنين وما كان فراشهما إلا جلد كبش ، وما كانت عليها إلا عباءة إذا سترت ساقها انكشف رأسها وإذا سترت رأسها انكشف ساقها ، ومع ذلك تحملت مشاق العيش . عن

١- جواد جعفر الخليلي ، أمير المؤمنين ... ، ص ٢٣٩ وما بعدها .

٢- محمد بكر إسماعيل ، فقيه الأمة ، ص ٧٢ .

٣- مريم نور الدين فضل الله ، المرأة في ظل الإسلام ، ص ١٨٣ .

أنس قال : جاءت فاطمة إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله إني وابن عمي ما لنا فراش إلا جلد كبش ننام عليه ونعلق عليه ناضحنا بالنهار ، فقال : (يا بنيّ اصبري ، فإن موسى بن عمران أقام مع امراته عشر سنين ما لهما فراش إلا عباء قطوانية) .

وروى الطبراني ابن حبان في صحيحه أن النبي ﷺ خرج وأبو بكر وعمر إلى دار أبي أيوب الأنصاري – فذكر الحديث بطوله إلى أن قال : فأخذ رسول الله ﷺ شيئاً من لحم الجدي فوضعه في رغيف وقال : (يا أبا أيوب أبلغ هذا فاطمة فإنها لم تصب مثل هذا منذ أيام) .

ولم تستنكف فاطمة صلوات الله عليها وهي ابنة خاتم المرسلين من العمل وخدمة البيت طوال حياتها ، على الرغم من عدم وجوب ذلك عليها ، ولقد مرَّ سلمان المحمدي يوماً ورآها جالسة وقدامها رحى تطحن بها الشعير ، وعلى عمود الرحى دم سائل والحسين في ناحية الدار يتضوّر من الجوع ...[١]

وقد شغل الإمام علي عليه السلام حال زوجته الحبيبة ، فهي صغيرة السن في عقدها الثاني وأضحت أماً لعدة أولاد في ولادات متوالية مع واجبات عائلية في بيت متواضع مادياً يعاني شظف العيش ، وكانت تعيش معهما في

١ – محمد جواد الطيب ، حياة الصديقة فاطمة ... ، ص ١٤٠ وما بعدها .

هذا البيت المتواضع فاطمة بنت أسد زوج أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وآله وأم زوجها الإمام علي عليه السلام ، التي تذكر بعض المصادر أنَّ ابنها طلب إليها أنْ تعاون زوجته في أعمال البيت ، فقبلت ذلك عن طيب نفس حبـًا في إسعاد الزهراء عليها السلام [١] .

ولكنَّ السيدة فاطمة أم الإمام علي كانت في عقدها السابع من عمرها المبارك آنذاك وهي بحاجة إلى عون ورعاية بذاتها ، من لدن زوجة ابنها. هذا مع أخذنا بالحسبان أنَّ الزهراء عليها السلام لم تكن امرأة وزوجة اعتيادية، فقد واكبت مدَّة زمنية صعبة، كان النبي فيها دائبـًا على هدم أركان الجاهليَّة واستئصال جذورها، فجَرَتْ معظم حروب المسلمين ومواقعهم الأولى لترسيخ الدين الجديد .

وقد مرَّت هذه المدة الجهادية الصعبة ، بكل ظروفها وأبعادها بفاطمة عليها السلام وهي تعيش بكنف زوجها وأبيها ، تعيش بروحها ومشاعرها وبجهادها في بيتها ، وفي مواساتها ومشاركتها لأبيها في شدته ومحنته[٢] .

فقد شهدت جهاد أبيها وصبره واحتماله ، شاهدته وهو يُجرح في معركة أحد وتكسر رباعيته ويخذله المنافقون ، ويستشهد عم أبيها حمزة

١- محمد بكر إسماعيل ، ص ٦٠ – ٦١ .

٢- موجز سيرة الرسول وأهل البيت عليهم السلام ، تأليف ونشر: لجنة التأليف – مؤسسة البلاغ ، ص١٢١.

أسد الله ، ونخبة من المؤمنين معه ، فتأتي أباها وهي تبكي ، وتحاول تضميد جرحه وقطع الدم الذي كان ينزف من جسده الشريف الطاهر ، فكان زوجها علي عليه السلام يصبّ الماء على جرح الرسول صلى الله عليه وآله وهي تغسله ، ولما يئست من انقطاع الدم أخذت قطعة حصيرة فأحرقتها ، حتى صارت رماداً فذرّته على الجرح حتى انقطع دمه .

أمَّا في حرب الخندق ، فجاءت تحمل كسرة خبز فرفعتها إليه ، فقال : ما هذه يا فاطمة ؟ قالت عليها السلام : من قرص اختبزته لابني جئتك منه بهذه الكسرة ، فقال صلى الله عليه وآله : (يا بنية أما إنها لأول طعام دخل في فم أبيك منذ ثلاث)[١] .

وفاطمة وأهل بيتها قد عانوا أياماً من الجوع ... ففي رواية أن فاطمة أقبلت فوقفت بين يدي أبيها عليه الصلاة وعلى آله وسلم فنظر إليها وقد ذهب الدم من وجهها ، وعليها صفرة من شدة التعب والجوع فقال الرسول صلى الله عليه وآله : أدن مني يا فاطمة ، فدنت حتى قامت بين يديه ، ورفع يده الشريفة حتى وضعها موضع القلادة ، وفرج بين أصابعه ثم قال : (اللهم مشبع الجماعة ، رافع الضيق ، ارفع فاطمة بنت محمد)[٢] .

---

١ - موجز سيرة الرسول وأهل البيت ، تأليف ونشر : لجنة التأليف – مؤسسة البلاغ ،ص ١٢٢ . نقلاً عن ذخائر العقبى للطبري ، ص ٤٧ .

٢ - مريم فضل الله ، المرأة في ظل الإسلام ، ص ١٨١ . نقلاً عن طبقات ابن سعد الكبرى .

وفي رواية الحافظ الأصفهاني عن علي عليه السلام قال : (كانت فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله أكرم أهله عليه ، وكانت زوجتي ، فجرت بالرحاء حتى أثرت الرحاء بيدها واستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها ، وقمت البيت حتى أغبرت ثيابها، وأوقدت تحت القدر حتى رثت ثيابها ، وأصابها من ذلك ضر) .

فأتت النبي صلى الله عليه وآله تسأله خادمـًا ، فقال : لا أعطيك وأدع أهل الصفة[١] تطوي بطونهم من الجوع . أولا أدلك على خير من ذلك ؟! إذا آويت إلى فراشك ، تسبحين الله تعالى ثلاثـًا وثلاثين وتحمدينه ثلاثـًا وثلاثين ، وتكبرينه أربعـًا وثلاثين[٢] .

وفي كتاب الشيرازي : أنها لما ذكرت حالها وسألت جارية بكى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: (يا فاطمة والذي بعثني بالحق، إن في المسجد أربعمائة رجل ما لهم طعام ولا ثياب ولولا خشيتي خصلة لأعطيتك ما سألت ، يا فاطمة إني لا أريد أن ينفك عنك أجرك إلى الجارية ، وإني أخاف أن يخصمك علي بن أبي طالب يوم القيامة بين يدي الله عز وجل إذا طلب حقه منك) ثم علمها صلاة التسبيح ، فقال أمير المؤمنين :

---

١ – أهل الصفة – هم فقراء المسلمين المعدمين ، كانوا يجلسون في المسجد النبوي الشريف ينتظرون معونة الموسرين إليهم من طعام وغيره .

٢ – هذا تسبيح الزهراء عليها السلام اقترن باسمها .

(مضيت تريدين من رسول الله الدنيا ، فأعطانا الله ثواب الآخرة) . قال أبو هريرة، فلمَّا خرج رسول الله من عند فاطمة أنزل الله على رسوله: ﴿**وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا**﴾، يعني عن قرابتك وابنتك فاطمة ابتغاء يعني طلب رحمة من ربك يعني رزقًا من ربك ترجوها ﴿**فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُوراً**﴾[١] يعني قولاً حسنًا، فلما نزلت هذه الآية أنفذ رسول الله ﷺ جارية إليها للخدمة وسمَّاها فضة[٢]. وهي من أسرى ساحل البحر وأوصاها بالرفق معها، فقالت: يا رسول الله عليّ يوم وعليها يوم[٣].

إنَّ المشاق التي لاقت الزهراء عليها السلام وحياة الكفاح المريرة التي مرَّت بها زادتها إيمانًا ، وشظف العيش أثر في صحّتها وهي تكدح في الليل والنهار جاهدة في توفير أسباب الراحة لزوجها وبيتها وقبلهما توأم روحها وحبيبها النبي المصطفى ﷺ .

إذا ما أضفنا إلى كل هذا ، اتباعها منهج أهل البيت عليهم السلام في الزهد والعبادة ، وهي من العابدات المعدودات في تاريخ الإسلام ، إذ العبادة ليست انقطاعًا عن الحياة ، أو فراراً من مسؤوليات الإنسان الاجتماعية ، بل العبادة عند آل البيت عليهم السلام تسامٍ على متع الحياة ، وتسامٍ على

١- سورة الإسراء، آية ٢٨ .

٢- ابن شهرآشوب ، المناقب –٣ ، ص ٣٩٠ .

٣- محمد جواد الطيب ، حياة الصديقة فاطمة .. ، ص ١٣٩ .

مظاهرها الفانية . فنجد الزهراء عليها السلام ، العابدة ، والزاهدة ، والمتبتلة ، التي سميت البتول لكثرة عبادتها وتبتلها ، نشاهد حياتها جهاداً ، وعملاً ، وكفاحـاً وزهداً ، وعبادة وتبتلاً[١] .

يقول عنها ولدها السبط الإمام الحسن عليه السلام : (رأيت أمي فاطمة قامت في محرابها ليلة جمعتها ، فلم تزل راكعة وساجدة ، حتى اتضح عمود الصبح ، وسمعتها تدعو للمؤمنين والمؤمنات ، وتسميهم بأسمائهم، وتكثر الدعاء لهم ، ولا تدعو لنفسها بشيء ، فقلت لها : يا أماه لِمَ لا تدعين لنفسك ، كما تدعين لغيرك ، فقالت : يا بني الجار ثم الدار)[٢] .

وعن الحسن البصري : ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة ، كانت تقوم حتى تورم قدماها[٣] . وقال النبي لها : (أي شيء خير للمرأة ؟) قالت : أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل ، فضمها إليه وقال : ﴿**ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ**﴾[٤] .

---

١ – موجز سيرة الرسول وأهل البيت عليهم السلام ، تأليف ونشر: لجنة التأليف – مؤسسة البلاغ، ص١٢٣ .

٢ – المصدر نفسه ، نقلاً عن عبدالرزاق كمونة الحسيني ، النفحات القدسية في الأنوار الفاطمية ، الفصل ١٣ ، ص ٤٥ .

٣– ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب – ٣ ، ص ٣٨٩ .

٤ – سورة آل عمران، آية ٣١ .

قلنا إنَّ الإمام عليّـًا عليه السلام قد شغله حال زوجته فاطمة عليها السلام ، ومما زاد في همومه ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرض واشتد عليه مرضه ، وفاطمة عليها السلام تنظر إليه فتشعر أنَّها هي حاملة الألم والمرض . وينظر الإمام علي إليهما بترقب وحذر من زمان خؤون طالما أصابه بمصائب مزدوجة ، ففي عام واحد (عام الحزن) ، فقدَ أمَّه الرؤوم خديجة الكبرى عليها السلام ، وأباه أبا طالب عليه السلام ولم يفصل بين وفاتهما أكثر من ثلاثة أيام أو أربعين يومـًا على أشهر الروايات .

ينظر بوجل إلى وجه الحبيبين فاطمة وأبيها ، فهل ستحل به مصيبة مزدوجة أخرى ؟ هو يعلم بيقين المؤمن أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يطيق لفاطمة فراقـًا في الدنيا ، منذ ولادتها حتى بعد زواجها منه . فكيف ستطيق فاطمة فراق أبيها برحيله عنها ؟

قال أبو ثعلبة الخشني : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا قدم من سفره يدخل على فاطمة ، فدخل عليها فقامت إليه واعتنقته وقبلت بين عينيه . وعن عائشة بنت طلحة عن عائشة بنت أبي بكر في فضائل السمعاني بإسناده عن عكرمة قالا : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا قدم من مغازيه قبل فاطمة[١] صلى الله عليه وآله وسلم .

وعن ابن عباس ، عن نافع عن ابن عمر قالوا : كان النبي إذا أراد سفراً

١ - ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب – ٣ ، ص ٣٨٠ – ٣٨١ .

كان آخر الناس عهداً بفاطمة، وإذا قدم كان أول الناس عهداً بفاطمة. وعن أبي سعيد الخدري قال : كانت فاطمة من أعزّ الناس على رسول الله ، فدخل عليها يومـًا وهي تصلّي فسمعت كلام رسول الله في رحلها فقطعت صلاتها وخرجت من المصلى فسلّمت عليه فمسح يده على رأسها وقال : (يا بنية كيف أمسيت رحمك الله ، عشينا غفر الله لك وقد فعل)[١] . وهناك شواهد كثيرة يمكن أن تعبر عن جانب التكامل في العلاقة العاطفية بين الزهراء عليها السلام وأبيها رسول الله صلى الله عليه وآله ، إذ كانت هذه العاطفة بدرجة عالية جداً[٢] .

وها هو المرض يشتدُّ على النبي صلوات الله عليه وآله ، فيوصي عليّـًا عليه السلام بالصبر على الدنيا، وحفظ فاطمة ، وجمع القرآن ، وقضاء دينه، وغسله ، وأن يعمل حول قبره حائطـًا ، ويحفظ الحسن والحسين[٣] .

إنَّ حفظ فاطمة كانت من أول الوصايا التي أوصى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله عليّـًا بها ، وهو يعلم بقرب لحاقها به ، فقد أخبرها بذلك النبي صلى الله عليه وآله ليخفّف عنها أحزان فراقه ، فتضاعفت أحزان علي وتأكّد من أنَّ المصيبة ستحل به هذه المرَّة أيضـًا ، وهي مصيبة مزدوجة !!

---

١ – ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب – ٣ ، ص ٣٨٠ – ٣٨١ .

٢ – محمد باقر الحكيم ، الزهراء عليها السلام ...، ص ١٥٨ .

٣ – المصدر نفسه ، ص ٣٨٥ .

قال أحمد في مسنده : .... عن عائشة قالت : أقبلت فاطمة كأنَّ مشيتها مشية رسول الله ﷺ ، فقال : (مرحبـًا بابنتي) ، ثم أجلسها عن يمينه ثم أسرّ إليها حديثـًا فبكت ! فقلت لها : استخصّك رسول الله ﷺ (حديثه) وأنت تبكين ؟ ثم إنه أسرّ إليها (بحديث) فضحكت !

قالتْ : فقلتُ لها : ما رأيت كاليوم أقرب فرحـًا من حزن ! ما أسرّ إليك ؟ فقالت : (ما كنت لأفشي سرّ رسول الله ﷺ) ، حتى إذا قبض النبي ﷺ سألتها ، فقالت : (إنَّه أسرَّ إليّ وقال : كان جبرئيل يعارضني بالقرآن في كلِّ عام مرَّة ، وإنه عارضني به العام مرتين ، ولا أراه إلا قد حضر أجلي ، وإنك أول أهلي لحوقـًا بي ، ولنعم السلف أنا لك ، فبكيت لذلك ، فقال : ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء هذه الأمة ؟ – (أو نساء المؤمنين ؟) – فذلك الذي أضحكني)[١] ﷺ .

وفي روايات أخرى معتبرة "... ثم أسر إلي أني أول أهل بيته لحوقـًا به فضحكت "[٢] .

وقد أخذ الرسول الكريم ﷺ يكثر من التذكير بمنزلة فاطمة وعلي وبيتهما قبل وفاته ، فأخذ يقرأ آية التطهير في كلِّ فجر عند مروره بهما ، عن أنس : أنَّ رسول الله ﷺ كان يمرُّ بباب فاطمة عليها السلام إذا خرج إلى صلاة

١ – سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص –ج٢ ، ص ٣٣٠ .

٢ – غادة الخرسا ، ص ١٤٧ .

الفجر ، ويقول : (الصلاة يا أهل البيت الصلاة ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١]).

وها هو الإمام علي عليه السلام يتلقى نبوءة الرحيل من فم الحبيب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، قائلاً له : (سلام عليك يا أبا الريحانتين ، عن قليل يذهب ركناك) . فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال علي : (هذا أحد الركنين ..) فلما توفيت فاطمة ، قال : (وهذا الركن الآخر)[٢] صلى الله عليه وآله وسلم .

فما الذي كان يخشاه أبو الحسن ، أهو فراقهما ، حبيب بعد حبيب ، أم ما سيجري عليه من بعدهما من مصائب ومحن ؟!

أمَّا المصائب فلقد صُبّت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته صبّـًا ، و لا يمكن للظروف الصعبة أو الأحداث الجسام أن تنال من علي سيد المتقين أو تثلم رسوخ عقيدته أو عين يقينه ، ولكنَّ فراقَ الأحبَّة هو الذي يُبكي أشدّ الرجال قوة وشكيمة مسلمين ومؤمنين وأئمة وأولياء[٣].

١- جعفر السبحاني ، الحجة الغراء ... ، ص ١٩ . أخرجه أحمد والترمذي والطبراني والحاكم وابن مردويه . نقلاً عن : الدر المنثور / ٦ ، ص ٦٠٤ – ٦٠٥ ، ط دار الفكر ، بيروت .

٢- سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص / ج٢ ، ص ٣٦٢ .

٣- محمد جواد الطبسي ، حياة الصديقة فاطمة ، ص ١٨٩ وما بعدها ؛ علي الأحمدي الميانجي، ظلامة الزهراء، ص١٦٩ وما بعدها؛ جعفر السبحاني، الحجة الغراء على شهادة الزهراء عليها السلام ، بحث موجز سلط الضوء على الأخبار المتضافرة التي تتحدث عما لحق بها بعد رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، نشر مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ، ط٢ ، المطبعة اعتماد ، قم – إيران ، ص ٥١ وما بعدها ؛ وغيرها الكثير من المصادر .

(عندما حضرت فاطمة الوفاة دعت عليـاً عليه السلام لتوصي إليه ، فقال لها :

(أوصني بما أحببت يا بنت رسول الله ! فجلس عند رأسها وأخرج من كان في البيت . ثم قالت : يا بن عم ، ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ، ولا خالفتك منذ عاشرتني ، فقال عليه السلام : معاذ الله أنت أعلم وأبر وأتقى وأكرم وأشد خوفـاً من الله (من) أن أوبخك بمخالفتي ، قد عز عليَّ مفارقتك ، وتفقدك ، إلّا أنَّه أمرٌ لابدَّ منه ، والله جددت عليّ مصيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقد عظمت وفاتك وفقدك فإنّا لله وإنّا إليه راجعون من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضها وأحزنها ، هذه – والله – مصيبة لا عزاءَ لها ، ورزيّة لا خلفَ لها. ثم بكيا جميعـاً ساعة، وأخذ علي رأسها وضمَّها إلى صدره)؛ لذلك كان فراق النبي صلى الله عليه وآله وسلم زلزالاً هدَّ ركنـاً من أركان الوصي الرواسخ ، وأعقبه فراق بضعته فهدَّ الركن الآخر منه ، لقد أحاط حبه ورعايته لأغلى الفواطم في حياته كالسوار للمعصم ، قبل وفاة أبيها ومن بعده ، وهو العالم بقرب ارتحالها إلى جوار ربّها وجواره .

وبالمقابل أغدقت الزهراء عليها السلام ذبالة ما في نفسها قصيرة البقاء ، حزنـاً على أبيها وحفظـاً ورعاية لزوجها وبنيها .

فقد جرت أحداثٌ رهيبة بعد ارتحال النبي امتدَّ أثرها بشكل أساس على أهل البيت وخاصةً على ابنته الصديقة فاطمة عليها السلام [١] .

فقد استهانتِ الأمة بوديعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد فقد النبي ، يشهد على ذلك مؤرخو الشيعة والسنة على حدٍ سواء ، إلّا أنَّ الإمامَ عليّـًا عليه السلام حاول التخفيف عنها ما استطاع في مواساتها وبناء بيت الأحزان لها لتصبّ دموعها وأساها على فراق النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

فلم تعشِ الزهراء عليها السلام طويلاً بعد أبيها ، وكما أخبرها صلى الله عليه وآله وسلم أنها أول أهل بيته لحاقـًا به ، فقد اختلف المؤرخون في المدّة التي عاشتها بعد أبيها، فذهب بعضهم إلى أنّها عاشت خمسة وسبعين يومـًا ، وذهب آخرون إلى أنها عاشت ثلاثة أشهر ، وقال غيرهم ستة أشهر [٢] .

عاشتْ فاطمة الزهراء هذه المدة الوجيزة من آخر أيام عمرها الشريف صابرةً محتسبةً قضتها بالعبادة والانقطاع إلى الله سبحانه ، فضلاً عن ذلك فقد كان لها سلام الله عليها موقفٌ كبيرٌ في قضية الخلافة والبيعة، وهي تظهر على الملأ كاشفةً أحقية زوجها وابن عمها الوصي علي بالخلافة ، ها هي ترى الأيام تكرّ سريعة الوقع تمطرها بالمصائب الواحدة تلو الأخرى مصداقـًا لإخبار أبيها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لها .

---

١ – محمد علي الأنصاري ، أهل البيت ... ، ص ٢٠٠ .

٢ – موجز سيرة الرسول وأهل البيت عليهم السلام ، تأليف ونشر: لجنة التأليف –مؤسسة البلاغ، ص١٢٦.

روى الصدوق رحمه الله في أماليه[١] عن ابن موسى عن الأسدي عن النخعي عن النوفلي عن الحسن بن أبي حمزة عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : (كان رسول الله ﷺ جالساً ذات يوم فأقبل الحسن عليه السلام فلما رآه بكى ثم قال : إلي يا بني .. وأمَّا ابنتي فاطمة فإنَّها سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين وهي بضعة مني .. وإني لمَّا رأيتها ذكرت ما يصنع بها بعدي ، كأنّي بها وقد دخل الذلّ بيتها وانتهكت حرمتها وغصبت حقها ومنعت إرثها وكسر جنبها وأسقطت جنينها وهي تنادي : يا محمداه فلا تجاب وتستغيث فلا تغاث فلا تزال بعدي محزونة مكروبة باكية .. اللهم العن من ظلمها وعاقب من عصيها وذلل من أذلها وخلّد في نارك من ضرب جنبها حتى ألقت ولدها)[٢] .

ولا يُمكننا سرد كل ما جرى عليها بعد وفاة أبيها ، حتى اختارت لقاءَ ربِّها ولكنها شملها الحزن الشديد للمصاب الجلل بفقدها سيد الرسل ، فكانت تكثر البكاء عليه حتى قيل : (البكاؤون خمسة : آدم ، ويعقوب ، ويوسف وفاطمة بنت محمد وعلي بن الحسين عليهم السلام)[٣] .

١- للمزيد يراجع : البحار / ج٢٨ الطبعة الإسلاميَّة ص ٣٧ –٣٨ . وج٤٣ ص ١٧٢ وبيت الأحزان ص ٤٧ وفي المأساة ج٢ ص ٣٢٦ .

٢- علي الأحمدي الميانجي ، ظلامة الزهراء ، ص ١٦٩ .

٣- محمد علي الأنصاري ، أهل البيت ... ، ص ١٨٢ .

وممَّا زاد في حزنها انحراف الخلافة عن مسيرها الصحيح الذي رسمه رسول الله صلى الله عليه وآله الذي وصّى به مراراً ، صراحةً وكنايةً ، فرأت كيف تمالأ القوم على بعلها فتركوه مشغولاً بتجهيز النبي صلى الله عليه وآله واغتنموا الفرصة لعقد الخلافة لأبي بكر في سقيفة بني ساعدة[١] . ثم بانتهاكهم حرمة دارها والهجوم عليه وغصبها فدك[٢] .

وبعد فدك وما جرى عليها من مصائب ، اعتزلت فاطمة الزهراء عليها السلام القومَ حتى وفاتها وما كانت تدخل عليها إحدى نساء القوم حتى تجدها باكية شاكية ، فقد دخلت عليها عائشة بنت طلحة يومـًا فرأتها باكية ، فقالت لها : بأبي أنت وأمي ، ما الذي يبكيك ؟ فقالت لها صلوات الله عليها : (أسائلتي عن هنّة حلّق بها الطائر ، وحفي بها السائر ، ورفع إلى السماء أثراً ، ورزئت في الأرض خبراً ، أن قحيف يتم ، وأحيوك عديّ جاريا أبا الحسن في السباق ، حتى إذا تقرّبا بالخناق ، أسرا له السنّان

١ – ذكرت الوقائع في خطب الإمام علي عليه السلام وأقوال على لسان عدد من الصحابة ومنهم البراء بن عازب وملئت الكتب والمراجع بتفاصيل هذا الحدث التاريخي المفصلي في تاريخ الأمة الإسلاميَّة .

٢ – فدك : قرية زراعية من قرى الحجاز تقع بالقرب من خيبر وقد صالح أهلها النبي صلى الله عليه وآله على نصف حاصلها ، وهي ملك رسول الله صلى الله عليه وآله فقد أفاء الله عليه بلا حرب ولا قتال وقد أعطاها رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة في حياته .

وطوياه الإعلان ، فلما خبأ نور الدين ، وقبض النبي الأمين ، نطقا بفورهما ، ونفثا بسورهما وأدالا بفدك ، فيا لها لمن ملك ، تلك إنها عطية الرب الأعلى للنجي الأوفى ، ولقد نحلنيها للصبية السواغب من نجله ونسلي ، وإنها ليعلم الله وشهادة أمينة ، فإن انتزعا مني البلغة ومنعاني اللمظة ، واحتسبتها يوم الحشر زلعة ، وليجدنها آكلوها ساعرة حميم ، في لظى جحيم)[١] .

إنَّ فاطمة عليها السلام في امتشاقها سيف بلاغتها وحججها في وجه من غصبها حقها لم يكن طمعاً بحطام الدنيا وهي سيدة نساء العالمين ، عاشت عمرها المبارك القصير تعمر آخرتها بتعبد وجهاد وتبتل ، وهي العالمة بقرب خروجها عنها هضيمة مظلومة . ولكنَّها أرادت (روحي لها فداء) أنْ تُعطي مثالاً حيّاً مدى الدهر لكلِّ النساء ، في أنَّ وقفة الحق ليست حكراً على الرجال ، وأنَّ كلمة الصدق تقال حتى ولو قبل أيام من الارتحال ، وأن خطب الزهراء عليها السلام ومناصرتها لقضية بعلها الإمام علي عليه السلام وخروجها معه تطرق أبواب المهاجرين والأنصار وتلزمهم الحجة في التبليغ ، هو موقف إسلامي ناصع الوضوح والدلالة ، أخذ

١ - عبدالكريم العقيلي ، ظلامات فاطمة الزهراء في السنة والآراء ، ص ١٠١ . نقلاً عن : الأمالي للطوسي ، ١/ ٢٠٤ م٣٥٠ .

يتكرر في حوادث جاد بها الزمان علينا بعدها ، فكانت وقفة نصرة ابنتها الحوراء زينب عليها السلام لأخيها الحسين عليه السلام في كربلاء ، وحتى يومنا هذا ، وعصرنا الحديث نجد صرخة العلوية المدوية (الشهيدة بنت الهدى) وهي تنصر أخاها الشهيد محمد باقر الصدر ولا تتنازل عن مشاركتها قضيته حتى الشهادة .

والزهراء عليها السلام في وقفتها الشرسة والعنيدة هذه قد شكلت غطاءً ووقاية وحماية للإمام علي عليه السلام من قوم تجاوزوا كلَّ الخطوط المحرَّمة دينيـًا واجتماعيـًا ، وما كانوا ليتوانوا عن الإقدام على إيذائه وهو الموصى من الرسول صلى الله عليه وآله بالمنع من القتال بعد موته[١] .

---

١ – فقد أبلغه الرسول صلى الله عليه وآله أن الأمة ستغدر به من بعده (جاء في مستدرك الحاكم ٣ : ١٤٠ – ١٤٢ وصححه هو والذهبي في تلخيصه وفي تاريخ الخطيب ١١ : ص ٢١٩ وتاريخ ابن الأثير ٦ : ٢١٩ وكنز العمال ٦ : ١٥٧ حيث قال له : أما إنك ستلقى بعدي جهداً فقال علي في سلامة من ديني فأجابه في سلامة من دينك) ، كما قال لعلي ضغنا في صدور قوم لا يبدونها إلا بعدي (ابن عساكر والمحب الطبري في الرياض ٢ : ٢١٠). عن مناقب أحمد والحافظ الكنجي في الكفاية ص ١٤٢ والخوارزمي في المقتل ١ : ٣٦ وقد قال له صلى الله عليه وآله :

– يا علي إنك ستبتلى بعدي فلا تقاتلن (جاء في كنوز الدقائق للحناوي ص ١٨٨)، ويظهر من هذه الوصية الأخيرة أن القوم قد علموا بها فجاروا عليه عندما سمعوا عليـًا يقول : (لولا وصية سبقت) فقال بعضهم لبعض إن الرجل لموصى ، أي لنفعل ما نشاء . للمزيد ينظر : جواد جعفر الخليلي ، أمير المؤمنين / ج١ ، ص ٨٠ وما بعدها .

حافظتِ الزهراء عليها السلام - بوصفها زوجة مؤمنة - على شخص الإمام علي عليه السلام ، فلولاها عليها السلام لكان من الممكن أن يُقتل أمير المؤمنين تحت شعار الانشقاق عن الحكم ورفض البيعة، فقد رووا عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: (فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان)[١] . وما زال هذا النص موجوداً في بعض الروايات، ينقله بعضهم في صحاحهم ، وكان من الممكن أن يُطبق هذا الحكم على الإمام علي عليه السلام ، ويُقتل تحت هذا الشعار ، وتطوى القضية[٢] .

ولكن الزهراء عليها السلام دافعت عن قضية الخلافة ، وقضية الإمامة ، فهي قضية السماء المتعلقة بزوجها وبنيها ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ، وتكاد تكون خطبتها[٣] البلاغيَّة أمام أبي بكر أن تكون حربـًا إعلاميَّة أشعلت أوارها فاطمة عليها السلام يومذاك ولم تنطفئ حتى يومنا ، بل ستبقى حتى يوم الدين حجّة على المطالبة بالحق ، وغرسـًا لروح المقاومة والمجالدة في نفوس المسلمين .

---

١ - محمد باقر الحكيم ، الزهراء عليها السلام ، ص ٩٦ . نقلاً عن صحيح مسلم / ٦ : ٢٢ .

٢ - المصدر نفسه .

٣ - سنتناول أثر هذه الخطبة بالتفصيل في الفصل الرابع من هذا البحث ، وهي خطبة طويلة رواها أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور في بلاغات النساء ص ٢٣ عن أبي الحسين زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب . وروتها مصادر أخرى .

انتقلت الزهراء عليها السلام إلى بارئها مقهورةً مظلومةً ، مغصوبةَ الحقِ، وما كان هذا بالأمر الهيّن على أبي الحسن عليه السلام ، ولكنه كان مُوصى بالصبر والتحمّل من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، وإلّا فإنَّ علي بن أبي طالب عليه السلام هو أولى الناس بنصرة المظلوم وهو ملجأ كل المظلومين بعد الرسول ، فكيف لا ينصر الزهراء وهي زوجته في الدنيا والآخرة[١] ، ووديعة الحبيب الحبيب المصطفى وبها كانت أول وصاياه إليه .

إنَّ البلاءَ والمصائب التي نزلت على بيت علي والزهراء وعدٌ سماويٌّ وعدوا به ، وما كان لهم سوى الامتثال لهذا الوعد والتصبّر وإنْ عزَّ ، دخلت أم سلمة على فاطمة عليها السلام فقالت لها : كيف أصبحت عن ليلتك يا بنت رسول الله؟ قالت: أصبحت بين كمد وكرب فَقْد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وظلم الوصي ...)[٢] . ثم إنَّها اعتزلتِ القومَ باكيةً تندب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى لحقت به[٣] .

قال ابن شهر آشوب في مناقبه : إنَّ الزهراء عليها السلام ما زالت بعد أبيها معصبة الرأس ، ناحلة الجسم ، منهدة الركن ، باكية العين ، محترقة القلب

---

١ – سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص – الباب الحادي عشر : ترجمة خديجة الكبرى وفاطمة الزهراء عليها السلام ، ص ٣٥٩ . قال علياً عليه السلام في محاججته لابن مسعود : (أما سمعت رسول الله يقول : هي زوجتك في الدنيا والآخرة) .

٢ – ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب / ٢ ، ص ٢٣٤ .

٣ – سبط ابن الجوزي ، تذكرة الخواص ، ص ٣٥٣ .

يغشى عليها ساعة بعد ساعة ، تقول لولديها : أين أبوكما[١] ، الذي كان يكرمكما ويحملكما ؟ أين الذي كان من أشد الناس حباً لكما وشفقة عليكما[٢] ؟

وكانت عليها السلام تتمثل دائماً بأبيات من الشعر تتذكر بها أيام أبيها فتقول:

صبّت عَليّ مَصائبٌ لو أنّها صُبّت عَلى الأيّام عدنَ لياليا

قَد كنتُ أرتع تحت ظلّ محمّدٍ لا أَخشَى ضيماً وكان جماليا

فَاليومَ أخضع لِلذليلِ وأَتّقي ضَيمي وَأَدفع ظالِمي بِرِدائيا

وعندما وقعَ الخطبُ وتوفيتِ الزهراء عليها السلام ، أوصتِ الإمامَ عليّاً عليه السلام أن تدفن ليلاً ولا يحضر أحد ممن ظلمها دفنها[٣] .

---

١ - أبوكما : تعني جدهما رسول الله صلى الله عليه وآله وكان لهما بمنزلة الأب ، وكان يقول : ولداي هذان سيدا شباب أهل الجنة .

٢ - مريم فضل الله ، المرأة في ظل الإسلام ، ص ٢٠٧ .

٣- صلى عليها علي عليه السلام وقيل : العباس ودفنها ليلاً بالبقيع . وأما دفنها سلام الله عليها ليلاً فقد روي أنَّه كان بطلب منها ينظر للمزيد: ابن سعد ، الطبقات الكبرى / ٨ ، في ترجمتها ، ص٢٩ – ٣٠ ؛ أما ابن شهر آشوب في مناقبه / ٣ ، ص ٤١٢ –٤١٣ ، فيذكر أنَّ الأصبغ بن نباتة سأل أمير المؤمنين عن دفنها ليلاً ، فقال : (إنَّها كانت ساخطة على قوم كرهت حضورهم جنازتها وحرام على من يتولاهم أن يصلي على أحد من ولدها) وروي أنه سوى قبرها مع الأرض مستوياً وقالوا : سوى حواليها قبوراً مزورة مقدار سبعة حتى =

وكانت الزهراء عليها السلام في طلبها أن تدفن ليلاً هو آخر احتجاجاتها على القوم والأمة ، فقد أظهرت بذلك مدى غضبها وألمها مما جرى وسيجري من بعدها .

ورحم الله القائل :

ولأيِّ الأمُـــورِ تُـــدفنُ لـــيلاً بضعةُ المصطفى ويعفى ثراها

كان وقع يوم الزهراء على علي عليهما السلام ، كوقع يوم الرزية يوم فَقْدِ النبي صلى الله عليه وآله ، بل أشدّ وقعـًا ، فقد هدَّ منه ركنـًا بوفاة الحبيب المصطفى، وبقيت له الزهراء بضعةً وأثراً منه ، يهوّن عليه فقد الأحبة وفراقهم الأليم ، والآن بفقده للزهراء قد هُدَّ منه الركنان ، فضاقتِ الدنيا على علي بن أبي طالب عليه السلام ، واشتدّ به الحزن على أم الحسنين ، وبعد دفنها هاج به الألم ، فوقف على القبر يتحسّر ، وقلبه يعتصر أسى ولوعة ثم قال : (السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك ، والسريعة اللحاق بك ! قَلَّ يا رسول الله عن صفيتك صبري ، ورقّ عنها تجلّدي ، إلّا أنَّ في التأسي لي بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعز ، فلقد وسدتك في

= لا يعرف قبرها . وروي أنه رش أربعين قبراً حتى لا يبين قبرها من غيره فيصلوا عليها . أمَّا غسلها فسئل أبو عبدالله عن فاطمة من غسلها ؟ فقال : غسلها أمير المؤمنين لأنها كانت صديقة لم يكن ليغسلها إلّا صديق .

ملحودة قبرك ، وفاضت بين نحري وصدري نفسك . فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ، فلقد استرجعت الوديعة ، وأُخذت الرهينة !

أمَّا حزني فسرمد ، وأمَّا ليلي فمسهّد ، إلى أن يختار الله لي دارك التي أنت بها مقيم ، [وينقلني من الأكدار والتأثيم][١] ، وستنبئك ابنتك بتضافر أمتك على هضمها ، فأحفها السؤال واستخبرها الحال ، هذا ولم يطل العهد ، ولم يخل منك الذكر .

والسلام عليكما سلام مودع لا قال ولا سئم ، فإن أنصرف فلا عن ملالة وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين)[٢] .

إنَّ كلمات الإمام علي عليه السلام عند قبر الزهراء عليها السلام هي رمز للوفاء ورمز للمصاب الجلل ، ورمز للتشكي عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أمته بعده فيما كان يعتقده حقاً له من الخلافة ونحلة فدك لفاطمة عليها السلام فزحزحها عنهما مع نوع من الاهتضام له ، والغلظة عليه في القول على قرب عهدهم بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم وطراوة الذكر الذي هو القرآن الآمر بمودة القربى[٣] ،

---

١ - أورد هذه الجملة بن شهرآشوب في مناقبه / ٣ ، ص ٤١٣ .

٢ - صبحي الصالح ، نهج البلاغة ، أنوار الهدى ، ط٤ ، مطبعة وفا ، ١٤٣١هـ ، ص ٤٠٣ ؛ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة / ج٤ ، من منشورات مؤسسة النصر ، ١٣٨٤هـ ، ص ٢ .

٣- البحراني ، شرح نهج البلاغة / ج٤ ، ص ٤ .

فكيف ببضعته الطاهرة التي طالما أوصى علانية وعلى رؤوس الأشهاد بحرمة إغضابها ؟

وخشع الإمام عليه السلام ، ولم يتمالك نفسه من البكاء وهو يسوي التراب ، ففاضت عبراته ، وأخذ ينفض يديه بحركة يائسة ، وكأنه فرغ من الدنيا ، بعد ما وارى تحت الثرى[١] . سيدة دنياه ، زوجته الحبيبة ، فاطمة الزهراء عليها السلام .

فمن النساء من تكون امرأة بحدِّ ذاتها ، ومن النساء من تكون عالم من النساء .. أمَّا فاطمة الزهراء فكانت لعلي كل النساء ، بل سيدة نساء العالمين في الدارين .

١ – مريم فضل الله ، المرأة في ظل لإسلام ، ص ٢٢٧ .

الفصل الثالث

علي و عائشة

- علي و عائشة ... والإفك
- علي و عائشة ... والخلافة
- علي و عائشة ... والجمل

علي وعائشة ... والإفك

بعد أن تأملنا صفحات من حياة الإمام علي مع الزهراء عليهما السلام ، تلك الصفحات التي طواها علي بألم ولوعة ، وهي أنصع الصفحات في حياته الجليلة ، إذ تظهر وبشكل جلي الموقف المتزن والحكيم للإمام علي من المرأة ، وطبيعة العلاقة التي تحكم تصرفات الرجل معها ، عن طريق تعامله مع زوجته بضعة النبي صلى الله عليه وآله . فكان عليٌّ أعظم زوج ، وأحب رفيق ، وأرقى أب ، أظهر لفاطمة محبته ووده ، ورعايته ومساندته لها ، شدَّ أزرها وأعانها على ما امتحنت به من محن وآلام ، وكان شريكها الحقيقي لكلِّ قضية تبنتها ، أحب ما أحبت ، وأبغض ما أبغضت من شخوص وأشياء ، ومواقف وأحداث ، جمعهما حب الله سبحانه وتقديس ملكوته ، ومؤازرة نبيه ، وإخلاصهما للمبادئ الإسلاميَّة السمحاء ودفاعهما عنها .

أمَّا في هذا الفصل فسنتصفح صفحة أخرى مغايرة ومختلفة من علاقة الإمام علي بالنساء، إنَّها صفحة عائشة زوج النبي صلى الله عليه وآله، فقد كانت هذه الصفحة على الضدِّ من سابقتها، فصفحة عائشة في حياة الإمام علي عليه السلام كانت صعبة ومضطربة وأليمة تحمَّلَ تبعاتها كل من علي وعائشة معـًا ، كلٌ بحسب نيته وعزمه ، بل إنَّ عائشة بإشعالها نار حرب الجمل ضد الإمام قد كلفت الإسلام والأمة الإسلاميَّة والمسلمين كثيراً من الدماء ،

وفتحت الباب لفتنة ما تكاد تخمد حتى يعود أوارها كلَّما أدلى أحدهم بدلوه في هذه المحنة العصيبة وتداعياتها اللامنتهية .

ويبقى السؤال البدهي مطروحـًا على العقول دائمـًا ، إنْ كانت زوجة النبي قد بنت موقفها من الإمام تبعـًا لموقفه أو قوله في قضية الإفك ، فهل بنى الإمام علي عليه السلام موقفه من المرأة عمومـًا مفصلاً على مقياس عائشة وفعلها معه ؟

إنَّ الإجابة عن هذا السؤال هو ما تذهب إليه بعض الآراء وكثير من الكتاب الذين تناولوا هذه السيرة المشتركة ، وحاولوا ليّ عنق الحقيقة ، بالادعاء أن أحاديث الإمام وخطبه التي تُظهر عيوب المرأة لا محاسنها ينبعُ من موقفه من عائشة !؟ وهذا خلط للأوراق وإساءة لمبدئية شخص الإمام قبل عصمته وتقواه .

لأنَّ الإمامَ شخصية متفرّدة غير اعتيادية وهو معصوم في الوقت نفسه، لا تحركه الانفعالات وردود الأفعال ، بل هو إنسان (مسلم – مؤمن) يعلم ويعمل بقاعدة السماء ، ألا تزر وازرة وزر أخرى ، وهو أيضـًا سيد الأوصياء وأبو المعصومين ، فهل يعقل أن يحكم على الجنس البشري الأنثوي برمته ، بسبب موقف وقفته إزاءه امرأة واحدة ؟!؟

ولكي نفهم حيثيات العلاقة بين علي وعائشة علينا أن نطرح السؤال بشكل آخر : لماذا أخذت عائشة موقف الرفض من الإمام علي ؟ وهل

هناك مسببات ومسوغات لهذا الموقف ؟ ولنعد إلى بدايات العلاقة الإنسانيَّة والعائليَّة بين الاثنين لنحكم على نهاياتها . فقد أشعلتِ الغَيْرةُ قلبَ عائشة من الكثيرين[١] ، وليس من أبي الحسن فحسب ، منذ دخولها بيت النبي المصطفى ﷺ زوجةً مع زوجات أخريات.

فقد بقي النبي ﷺ من دون زواج ثلاث سنوات ، بعد فقْده خديجة بنت خويلد عليها السلام أم العيال وربَّة البيت ووزير الصدق في الإسلام والشريكة في الجهاد ، ولم يجرأ الصحابة على الرغم من ذلك على مفاتحته بأمر الزواج[٢] . وكان ﷺ يخلو إلى نفسه ليستعيد ذكرى الراحلة التي ملأت عليه دنياه ، وقد تراكمت عليه الهموم والأحزان .

دخلت عليه خولة بنت حكيم السلمية ، وقالت له : يا رسول الله كأني أراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة ؟! فأجاب عليه الصلاة والسلام : (أجل كانت أم العيال وربَّة البيت). فاقترحت عليه خولة بعد حديث طويل أن يتزوج ، فأجابها بنبرة عتاب .. " من بعد خديجة ؟ " فقالت : هون عليك ، إن أردت ثيباً فهذه سودة بنت زمعة .. أو أردت بكراً .. فعليك بعائشة بنت أبي بكر ، فقال لها : لكنها لا تزال صغيرة يا خولة ،

١- للمزيد ينظر : مريم فضل الله ، ص ١٥٩ – ١٦٠ وحكاية كيدها لزوجة النبي أسماء بنت النعمان .

٢- غادة الخرسا ، ص ١٢٣ .

وكان رد خولة حاضراً : تخطبها اليوم إلى أبيها ، ثم تنتظر حتى تنضج[١].

فكان دخول عائشة بيت الرسول بعد دخول سودة بنت زمعة بن ياس بن عبد شمس بن عبد ود العامرية وأمها الشموس بنت قباس من بني عدي النجار ، وكانت من النساء المؤمنات التي أفسحت لعائشة كل المجال كزوجة شابة بل إنها وهبت ليلتها لعائشة ، فاهتز الرسول الكريم بهذه العاطفة الفياضة وذلك الإيثار والسمح[٢] .

دخلت عائشة بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وهي بنت تسع ، بعد أن عقد الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم عليها بمكة وهي لا تزال يومئذ بنت ست سنوات على ما يروى – ومنهم من قال سبع سنوات – وكانت عائشة على صغر سنها ، نامية ذلك النمو السريع التي تنموه بنات العرب ، وقد اكتسبت العلم في حياتها مع الرسول وقد عرف عنها أنها كانت تسأل عن أشياء تدل على فطنتها وذكائها . وعلى الرغم من سعة العلم هذه فإنَّ عائشة كانت مشغولة بقضايا دنيوية لا تبعد عن طبيعتها كامرأة ، فقد كانت أكثر نساء النبي غيرة عليه واهتمامًا زائداً بالاستئثار بحبه ، فهي لذلك كانت تعمل دائبة على المباعدة بين النبي وزوجاته[٣] .

١- مريم فضل الله ، المرأة في ظل الإسلام ، ص ١٥١ – ١٥٢ .

٢- غادة الخرسا ، ص ١٢٣ .

٣- المصدر نفسه ، ص ١٢٦ .

وقد جاء في (مجلة الأزهر) هذا القول[١] : ((وكانت عائشة – رضوان الله عليها – إلى ما خصها الله به ، بعيدة الهمّة ، طماحة[٢] إلى ذروة المجد . لم يكفها أن حظيت بأسمى مكانة من صواحبها لدى النبيﷺ ، حتى رغبت أن تحتل من قلبه المكان الأول ، مكان الصديقة الأولى – أي خديجة – والحبيبة الفضلى ، التي لا يفتأ يذكرها ويبشرها ، ويكرم من أجلها خلائلها ، ويثني عليها ثناءً كريماً يسابع الدهر . وعبثاً حاولت الصديقة بحسن الدل ، ولطف الحيل ، وفنون الذكاء والنبل ، أن تُقنع سيد الأوفياء ، وأكرم النبلاء ، بأن الله أبدله خيراً من خديجة .. فلتلق السلم إذاً ، ولا تجادل في الحق بعدما تبين ، ولتعلم أن المجادلة والمنافسة والغيرة من أعقل العقائل وفضلى الفواضل ، ومَن لها قدمُ الصدق وفضل السبق لا تزيد صاحبتها التي لم ترها إلا صدقاً من عاطر الثناء وخالد الذكر)[٣] .

١- جورج جرداق ، الإمام علي صوت العدالة الإنسانيَّة ، اختصره وحققه حسن حميد السنيد ، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيتعليهم السلام ، ط١، ١٤٢٤هـ ق ، ط٢ ١٤٢٦هـ ق مطبعة ليلى ، ص ٥٧٣ .

٢- طماحة : شرهة ، الصحاح ١/ ٣٨٨ ، مادة (طمح) .

٣- مجلة الأزهر : الجزء العاشر – المجلد السابع والعشرون – ١١ مايو ١٩٥٦ ص ١٠٦٣ – ١٠٦٤ .

دخلت عائشة بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لتثير غيرتها زوجة راحلة لا زوجة حية، ولم تكتم عائشة غيرتها هذه، تقول: (ما غرتُ على أحدٍ من نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما غرتُ على خديجة ، وما رأيتها ، ولكن كان النبي يكثر ذكرها ، وربما ذبح الشاة ثم يقطّعها أعضاء ثم يبعث بها في صدائق خديجة ؟ فربما قُلت له : كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة ! فيقول : إنها كانت ، وكانت ، وكان لي منها ولد)[١] .

فإنَّ عائشة تعترف بأنَّ النبي كان يؤثر خديجة على زوجاته جميعاً . ومن الطبيعي أن يؤثر ذلك في نظرتها إلى فاطمة بنت خديجة، ثم في موقفها من علي زوج فاطمة ووالد سبطي الرسول حفيدي خديجة[٢] .

ولطالما أوجعت عائشة سيدتنا فاطمة عليها السلام بذكر والدتها ومحاولة التقليل من قدرها لدى النبي فتشكوها إلى والدها فيطيّب خاطرها بكلام فصل في منزلة والدتها عنده[٣] .

بقيت خديجة الكبرى عليها السلام تشارك عائشة عواطف الزوج وحنانه ، بل تستأثر بمحبته الخالصة لها ، وهي بين الأموات ، وتحت الثرى ، ولكن طيفها ما زال ماثلاً أمام عيني الرسول ولسانه يلهج بذكرها يردد

١- جورج جرداق ، ص ٥٧٤ . نقلاً عن البداية والنهاية : ٣/ ١٥٨ .

٢- المصدر نفسه .

٣- ينظر الفصل السابق .

اسمها في كل حين ، ولم يسأم من الثناء عليها حتى تأججت نار الغيرة في قلب عائشة فلم تتمالك أن قالت للرسول ﷺ : (ما تذكر من عجوز حمراء الشدقين ، قد أبدلك الله خيراً منها) ، فآلم النبي ﷺ هذا القول ، وردَّ عليها قائلاً : (ما أبدلني الله خيراً منها ، كانت أم العيال وربَّة البيت ، آمنت بي حين كذبني الناس ، وواستني بمالها حين حرمني الناس ، ورزقت منها الولد وحرمت من غيرها)[١] .

فلا غرابة أن تزداد نار الغَيْرة في قلب عائشة وهي تسمع النبي يردّد في كلِّ حين (كان لي منها ولد) وعائشة تلك الشابَّة الجميلة –ذات الذكاء والفطنة لم تنجب لزوجها ولداً ، في حين أن خديجة وهي العجوز – بحسب قولها – قد أنجبت له البنين والبنات[٢] .

إنّ مرارة العقم ومرارة عواطف الأمومة المحرومة منها ، سبَّبت لها هذه المشاعر الفطريَّة الطبيعية ، إذ كانت تثير في نفس السيدة عائشة دائماً شعوراً بالخسران ، وهي تنظر إلى بنات ضرتها (خديجة) متحسِّرة تشعر كأنَّ حواجز منيعة تقوم بينها وبينهن ، بل ترى أن كل واحدة منهن هي صورة عن ضرتها التي استأثرت بقلب الزوج الرسول وما بلغته من إيثار لم يبلغه أحد من قبل ، ولا من بعد[٣] .

---

١ – موجز سيرة الرسول وأهل البيت ﷺ، تأليف ونشر: لجنة التأليف – مؤسسة البلاغ، ص١٠٤ .
٢ – مريم فضل الله ، ص ١٥٨ .
٣ – المصدر نفسه ، ص ١٥٩ .

وقد حظيت الزهراء عليها السلام بالنصيب الأوفر من هذه المشاعر ، هي وزوجها وأولادها ، وهي ترى بأمِّ عينها لهفة النبي صلى الله عليه وآله عليهم ومحبته ورعايته الدائمة لحركاتهم وسكناتهم . إذا ما أخذنا بالحسبان أنَّ عائشة لحظة وفاة الرسول لم تبلغ العشرين ، وقد عاشت بعده خمس وأربعين سنة[١] ، أي أنَّها كانت مقاربة لعمر الزهراء عليها السلام !

إنَّ كره عائشة لعلي قديم يعود تاريخه إلى اليوم الذي دخلت فيه بيت الرسول على ما يذكر أكثر المؤرخين ، ومن أسباب كرهها لعلي منذ تلك الساعة : أنه زوج فاطمة ، وفاطمة بنت خديجة التي شغلت وجدان النبي بنبلها وسمو أخلاقها ، شغلت وجدانه في حياتها وتركت فيه بعد موتها مكانـًا لم تستطع عائشة بكلِّ ما فيها من مزايا أن تزاحمها فيه[٢] .

إنَّ كتب السير تجمع على أن عائشة هي من بدأت النفور من علي عليه السلام ، بل إنَّ الأحاديث المتواترة تؤكد حقيقة رفضها ذكر علي بخير وهي تستطيع ، روى عكرمة عن عائشة في حديثها له بمرض رسول الله صلى الله عليه وآله

١ – غادة الخرسا ، ص ١٢٥ .

٢ – جورج جرداق، ص٥٧٣ . لقد كادت عائشة بالتعاون مع حفصة بنت عمر لزوجات أخريات. للمزيد ينظر : تراجم سيدات بيت النبوة للدكتورة بنت الشاطئ .

ووفاته ، فقالت في جملة ذلك: فخرج رسول الله متوكيـًا على رجلين من أهل بيته أحدهما الفضل بن العباس ، فلما حكى عنها ذلك لعبد الله بن العباس ، قال له: أتعرف الرجل الآخر ، قال: لا لم تسمه لي ، قال: ذاك علي بن أبي طالب عليه السلام وما كانت أمنا تذكره بخير وهي تستطيع[١] .

وبعضهم الآخر يُرجع سبب كرهها للإمام علي عليه السلام وخروجها عليه بحرب الجمل رداً منها على موقفه في قضية الإفك ، بل يجعله السبب الرئيس وراء كرهها الشديد لعلي يوم أشار على الرسول بطلاقها[٢] .

ذكر طه حسين في الخلفاء الراشدون : (وكان معروفـًا أنَّ عائشة رحمها الله لم تكن تحب عليـًا ولا تهواه ، بل كان معروفـًا أنها كانت تجد عليه موجدة شديدة منذ حديث الإفك، حين أراد علي أن يواسي النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأشار عليه بأن يطلقها وقال له : (إن النساء غيرها كثير)[٣] . وكان ذلك قبل أن يُنزل الله براءتها في القرآن . فلم تنس لعلي قوله ذلك . وكانت

١- المفيد ، الإرشاد ، فصل في ذكر بعض خصائصه ومناقبه ، ص ١٦٤ .

٢- جورج جرداق ، علي صوت العدالة ... ، ص ٥٧٤ .

٣- طه حسين ، المجموعة الكاملة لمؤلفاته – المجلد الرابع / الخلفاء الراشدون ، دار الكتاب اللبناني ، الطبعة الأولى ، بيروت – لبنان ، ١٩٧٣ ، ص ٤٥٣ – ٤٥٤ .

عائشة من أقوى الشخصيات التي عرفها تاريخ المسلمين في ذلك العهد ، لم تكن رقيقة كأبيها ، بل كانت شديدة كعمر ، على احتفاظ منها بكثير مما ورثت العرب عن جاهليتها . فكانت تحفظ الشعر وتكثر من حفظه وإنشاده والتمثل به[١] .

ولعلَّ قضية الإفك كانت أكبر وأخطر حادثة تعرضت لها السيدة عائشة في حياتها ، وجعلت مسألة اقترانها أو افتراقها عن النبي على المحكّ ، فقد أقدم أعداء الإسلام والرسول على بث إشاعة خبيثة في أثناء رجوع المسلمين من غزوة بني المصطلق ، وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنْ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ**﴾[٢] . ونفيد من هذه الآيات أن بعضهم رمى بعض

---

١ - تمثلت عند احتضار أبيها قول الشاعر :

لعمـرك مـا يغنـي الثـراء عـن الفتـى إذا حشرجت يومـاً وضـاق بهـا الصـدر

فنهرها أبوها منكراً قولها : بخ بخ يا أم المؤمنين ! هلا تلوت قول الله عز وجل ﴿**وَجاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذلِكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ**﴾ ق: ١٩، للمزيد ينظر : المصدر نفسه.

٢ - النور : ١١ – ١٢، هذه الآيات تشير إلى حديث الإفك، وقد قيل إنها نزلت في عائشة، وقيل في مارية القبطية أم إبراهيم. للمزيد يراجع: الميزان في تفسير القرآن/ ١٥ للعلّامة محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ص ٨٩ – ١٠٧ .

أهل النبي ﷺ بالفحشاء ، وكان الرامون عصبة من القوم ، فشاع الحديث بين الناس يتلقاه هذا من ذاك ، وكان بعض المنافقين أو الذين في قلوبهم مرض يساعدون على إذاعة الحديث ، حبـًا منهم أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ، فأنزل الله الآيات مدافعـًا عن نبيه ﷺ[١] . وبعد أن امتحن الله به أُسرة ، هي في قمة أسر الدنيا نقاءً ، تلك هي أسرة الرسول الكريم .

والذي حدث أنّ السيدة عائشة رافقت النبي في غزوة بني المصطلق ، وتخلفت عن الركب قليلاً في العودة فأثارت قلق الناس ، وبعد ساعة شوهدت تركب بعيراً يقوده صفوان بن المعطل السلمي ، وكان الأمر اعتياديـًا ، لولا ألسنة بعض اليهود الذين بثوا شائعات مغرضة وصلت إلى سمع النبي ﷺ فآذته ، فقام في الناس يخطبهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : " يا أيها الناس ، ما بال رجال يؤذونني في أهلي ويقولون عليهم غير الحق ؟ والله ما علمت منهم إلا خيراً ، وما يدخل بيتـًا من بيوتي إلا وهو معي "[٢].

---

١ - حسن السعيد ، سيكولوجية الإشاعة / رؤية قرآنية ، دار دجلة ، ط١ ، ٢٠١١ ، عمان – المملكة الأردنية الهاشمية ، ص ٧٨ وما بعدها .

٢ - غادة الخرسا ، ص ١٢٦ .

وقاد حملة النفاق والدسّ عبدالله ابن أبي سلول الذي استمر ينفث حقده الدنيء على الرسول منذ جاء إلى دار الهجرة . قال ابن عباس[١] : منهم عبدالله بن أبي سلول وهو (الذي تولى كبره) وهو من رؤساء المنافقين ومسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بن جحش وهو قول عائشة ، وبحسب الرواية التي تقول : إنَّ المقذوفة هي عائشة ، وإنَّ سبب الإفك أن عائشة ضاع عقدها في غزوة بني المصطلق ، وكانت تباعدت لقضاء حاجة فرجعت تطلبه ، وحمل هودجها على بعير ظنًا منهم أنها فيه، فلمَّا صارت إلى الموضع وجدتهم قد رحلوا عنه ، وكان صفوان بن معطل السلمي الذكواني من وراء الجيش فمرَّ بها ، فلمَّا عرفها أناخ بعيره حتى ركبته ، وهو يسوقه حتى أتى الجيش بعدما نزلوا في قائم الظهيرة . هكذا رواه الزهري عن عائشة[٢] . فقال أهل الإفك ما قالوا واخترعوه من الأكاذيب .

وكان الذي تولى كبره ، وقاد حملته واضطلع منه بالنصيب الأوفى هو عبدالله بن أبي بن سلول رأس النفاق ، وحامل لواء الكيد ، ولقد عرف كيف يختار مقتلاً ، لولا أنَّ الله كان من ورائه محيطًا ، وكان لدينه حافظًا، ولرسوله عاصمًا ، وللجماعة المسلمة راعيًا .

١- حسن السعيد ، سيكولوجية الإشاعة ، ص ٨٠ .

٢- المصدر نفسه ، نقلاً عن : التبيان / ٧ ، ص ٤١٥ .

انتقلت عائشة إلى بيت أبيها ، ودامت هذه المحنة شهراً كاملاً ، وكانت أزمة حادة عنيفة زلزلت أخلاق الناس ، وشاع بهم همٌ عظيم .

وقد استشار النبيُّ عليّ بن أبي طالب وأسامة بن زيد ، فأما أسامة فقد أثنى على عائشة خيراً ، وقال : يا رسول الله أهلك ولا نعلم منها إلّا خيراً ، هذا الكذب والباطل[١] .

وأمَّا علي فإنه قال : يا رسول الله ، إنَّ النساء لكثير ، وإنك لقادر على أن تستخلف رسل الجارية فإنها ستصدقك . فدعا الرسول الجارية بريرة وسألها فقالت : والله ما أعلم إلا خيراً وما كنت أعيب على عائشة شيئاً إلا أني كنت أعجن عجيني فآمرها أن تحفظه فتنام عليه ، وتأتي الشاة فتأكله !

واستمرت الحَيْرة ، وبقي حديث الإفك من دون حلّ حاسم له إلا قول السماء فيه ، بنزول وحي الله: ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلاَ تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْفَاسِقُونَ**﴾[٢] ... و﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ...**﴾[٣] .

---

١ - غادة الخرسا ، ص ١٢٧ .

٢ - سورة النور ، الآية ٤ .

٣ - سورة النور ، الآيات من ١١ إلى ١٩ .

وخرجَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله من هذه المعركة والمحنة العظيمة منتصراً كاظمـاً لآلامه الكبار ، محتفظـاً بوقار نفسه وعظمة قلبه وجميل صبره[١] .

وأمَّا عائشة فعادت إلى مكانها في بيت الرسول ، لتستأنف حياتها الزوجيَّة معه من دون أنْ تنسى قول الإمام علي عليه السلام للنبي في إمكانية استبدالها فالنساء كثير ، ولو تمعنا بهذا الموقف قليلاً لوجدنا أن النبي صلى الله عليه وآله قد طلب المشورة من اثنين هم الأقرب إلى أهل بيته ، وهذا تصرف طبيعي وحكيم ، فأمَّا أسامة فلم يقل إلا كلمة طيبة من دون محاججة أو دليل ، وأمَّا الإمام علي عليه السلام فكان رأيه أكثر دلالة ومعنى ، ويتوافق مع ما عرف من أبي الحسن عليه السلام ، فهو في جانب قد واسى أخاه وحبيبه المصطفى ، وهو يراه يمتحن هذه المحنة العظيمة في أهل بيته ، بالتهوين من الخطب والتخفيف عنه ، ثم عمد إلى أسلوب الاستنطاق ، فطلب جارية عائشة لمعرفة أحوالها وما يكون منها . وهذا الأسلوب لطالما اتبعه الإمام علي في قضايا أخرى قد قضى فيها فأصاب .

وهنا كان على عائشة أنْ تفرح بهذه الشهادة والاستنطاق ؛ لأنَّها أظهرت براءتها وطفولية تصرفاتها وعدم عنايتها ببعض الجزئيات ؛ ويعود ذلك ربَّما لصغر سنها .

---

١ – حسن السعيد ، سيكولوجية الإشاعة ، ص ٨١ .

ولو لم يعمد الإمام علي عليه السلام إلى هذه الطريقة لكان قوله مشابه لقول أسامة وغيره ، كلمة طيبة تقال لا غير ، من دون أثر أو حجَّة أو شهادة شاهد .

أمَّا فهم عائشة المغاير لقول الإمام ، وكذلك فهم وآراء الكتاب ممن تناولوا هذه القضية، فيجافي الحق والحقيقة؛ لسبب جوهري لا يُمكن إغفاله، أنَّ الإمامَ عليّـًا بإيمانه بالرسول وحبّه الجمّ له لا يُمكن أن يوجعه بقول أو رأي يخالف ما تريده نفسه، وهو الأحرص والأكثر غَيْرة على بيت النبي وعروس النبي والواثق من طهارة ونقاء رداء يتسربل به رسول الله .

ولكنَّ زوج النبي عائشة أخذت من القول ظاهره واعتمدته منهاجـًا في تعاملها مع الإمام علي ، فما كانت تطيق له حضوراً أو انصرافـًا عن النبي ، بل كانت تظهر رفضها واستنكارها لاستفراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعلي ومناجاته له في كل خلوة .

وأظهرتْ موقفها صريحـًا واضحـًا فيما بعد ، عندما جاءها خبر استخلاف الإمام علي خليفة للمسلمين فأعلنت رفضها الثابت لكلَّ خير يصل إليه .

علـي وعـائشـة ... والخلافـة

لا تذكر لنا كتب السير والتاريخ أنَّ عائشة زوج النبيﷺ كان لها قولٌ أو موقفٌ معارض للخلافة الإسلاميَّة بعد وفاة الرسول الكريمﷺ، إلا موقفها في الأيام الأخيرة من عهد الخليفة عثمان بن عفان ، فعائشة راضية عن الحال ما دامت الخلافة بعيدة عن علي بن أبي طالب حتى إذا ما صارت إليه، نراها زعقت بالقوم تؤججهم ضده ، وترفع أول راية للحرب والمعارضة .

إنَّ حقد قريش على عليّ أمر يعرفه أبو الحسن عليه السلام وهو القائل فيها : كل حقد حقدته قريش على رسول الله ﷺ أظهرته فيّ وستظهره في ولدي من بعدي ما لي ولقريش إنما وترتهم بأمر الله وأمر رسوله أفهذا جزاء من أطاع الله ورسوله إنْ كانوا مسلمين [١] .

وفي خطبة أخرى له عليه السلام يستعين بالله على ظلم قريش له بقوله: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ ومَنْ أَعَانَهُمْ فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي وصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِيَ وأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْراً هُوَ لِي ثُمَّ قَالُوا أَلا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ)[٢] .

---

١ – كاظم النقيب ، أئمتنا قادة وهداة ، ص ٤٧٧ . نقلاً عن ينابيع المودة ، ص ١١١ .

٢ – محمد جواد مغنية ، في ظلال نهج البلاغة – محاولة لفهم جديد – الجزء الثاني ، دار العلم للملايين ، ط٣ ، بيروت – لبنان ، ١٩٧٩ ، ص ٥٠٤ .

وما الذي أنكرته عائشة من علي عليه السلام ، وهي التي طالما سمعت نهي النبي وأوامره صلوات الله وسلامه عليه بحفظ حق علي وعواقب بغضه ومعاداته . وهي التي حدثت بهذا الحديث النبوي الشريف (علي خير البشر) . فعن ابن مجاهد في التاريخ ، والطبري في الولاية ، والديلمي في الفردوس ، وأحمد في الفضائل ، والأعمش عن أبي وائل ، وعن عطية عن عائشة ...، قالوا : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (علي خير البشر ، فمن أبى فقد كفر ومن رضي فقد شكر)[١] .

وقال لها أخوها محمد بن أبي بكر : أما سمعتِ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: علي مع الحق والحق مع علي ، ثم خرجت تقاتلينه بدم عثمان ![٢] ، فعلي هو إمام المتقين[٣] بصريح الروايات المتواترة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وما هذه الحقيقة البينة ببعيدة عن ذهن عائشة أو غيرها من أمهات المؤمنين من زوجات النبي المصطفى .

وعن الفقيه الهمداني الشافعي في المودة الثالثة من مودة القربى عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : (إن الله قد عهد إلي من خرج على علي فهو كافر في النار)[٤].

١- ابن شهر آشوب ، مناقب آل أبي طالب / ٣ ، ص ٨٢ .

٢- كاظم النقيب ، أئمتنا ... ، ص ٤٧٥ .

٣- ابن شهر آشوب ، المناقب / ٣ ، ص ٧٩ .

٤- جواد جعفر الخليلي ، أمير المؤمنين ص ٩٨ .

ولو أن عائشة تعلقت باعتذارها ببعد الزمان ونسيانها هذه الأحاديث، فما اعتذارها بعد التذكير والتحذير .

فها هي أم المؤمنين أم سلمة تعيد عليها الذكريات وأقوال رسول الله في علي وإنه وصيه وحبيبه ووزيره وخليفته ، وتأكيده في أن إحدى نسائه ستخرج على علي وتنبحها الكلاب عند ماء حوأب مع تأكيده بالخشية من أن تكون هي المعنية بذلك !؟

ولسنا هنا في باب المفاضلة بين زوجات رسول الله ، ولكن يحق لنا بوصفنا باحثين عن الحقيقة أن نكثر الحديث عن هذه المرأة المؤمنة أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ، وهي الحافظة لقول الرسول وأمره ونهيه ، وكل تعليماته وذكرياته بوصفه نبيّـًا ورسولاً وزوجـًا ووليّ أمر ، فكم حدثت ، وكم حذرت ، ولننظر إلى صدق أحاديثها التي تظهر عمق إيمانها وعنفوانه ، وهي توالي من والاه محمد ، ففي حديث العيبة .. ، يحمّل رسولُ الله أمَّ سلمة مسؤولية إسلاميَّة مضاعفة فهو يريدها سامعة ، وشاهدة على قوله في ابن أبي طالب وكذلك شاهدة حيَّة على محبته لابن عمه وتفضيله على سائر الخلق ، فيقول لها : (يا أم سلمة اشهدي واسمعي هذا علي أمير المؤمنين ..) ، ولو لم تكن أم سلمة صادقة الإيمان ومرضيّـًا عنها من الله عز وجل ونبيه ، أما كان لها أن

تخفي كل هذه الكنوز المحمديَّة والدرر الإيمانيَّة التي أتحفها بها الرسول بحق علي!! ، ولا عتبَ عليها إن ادعت كما قالت صاحبتها .. لقد نسيت!؟!

أم سلمة زوج الرسول الأكرم كانت تعلم بغضَ عائشة لعلي ، فلم يكن كرهها له بالأمر الخفي ، وها هي أم سلمة تذكّرها بمواقف كرهها لعلي أيام الرسول .

روى ابن أبي الحديد في تاريخ أبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي أنَّ أم سلمة حينما كانت حاجّة في مكة سمعت أنَّ عائشة تطالب بدم عثمان وتقصد البصرة فتأثرت كثيراً ولما علمت عائشة بوجودها في مكة قصدتها كي تحاول استصحابها معها للبصرة . فقالت لها أم سلمة : لقد كنتِ يا عائشة بالأمس القريب تحرّضين على قتل عثمان وتنسبين له ما يستوجب قتله ، واليوم – كرهـًا لعليّ – تطالبين بدمه ، فهلا أذكرك بأني ورسول الله جئناك إلى حجرتك وخلالها جاء علي وذهب إليه رسول الله وطالت بينهما النجوى فأردتِ الهجوم فمنعتك فلم تكترثي وهجمت وقلت كل تسعة أيام يوم لي من رسول الله وهذا اليوم جئت وألهيت النبي عني فغضب رسول الله ﷺ واحمَّر وجهه ، وقال لك : (ارجعي وراءك والله لا

يبغضه أحد من أهل بيتي ولا من غيرهم من الناس إلا وهو خارج من الإيمان) فرجعت نادمة ؟ فأجابت : نعم[١] .

إنَّ موقف رسول الله الواضح والقاطع من بغض علي ، كان يبيّنه مراراً أمام عائشة علَّها ترتدع عن مواجهة ابن عمه الأثير لديه ، لكن هيهات لقد سبق السيف العذل ، وها هو يلقيها صريحة ، إنَّ من تحارب علي تزل قدمها عن الصراط بقوله : (من منكن صاحبة الجمل ..) ، إذ عادت أم سلمة وسألت عائشة في ذات الموقف السابق : أتذكرين يوماً كنت تغسلين رأس رسول الله وأنا كنت أهيئ غذاء ، فرفع رسول الله رأسه وقال : من منكن صاحبة الجمل التي تنبحها كلاب الحوأب ويزل قدمها عن الصراط وتقع . فرفعت يدي عن الغذاء وقلت أعوذ برسول الله من هذا الأمر ، وعندها طبطب على ظهرك وقال: اتقي أن تكوني أنت صاحبة ذلك العمل ؟ فأجابت عائشة : أذكر[٢] .

استنكرت أم سلمة الموقف المستقبلي ونبوءة زوجها النبي، فاستعاذت برسول الله من هذا الأمر من دون عائشة التي كانت إحدى اثنتين ستتقلد وزر هذا الأمر الجلل ، وها هو تصرف النبي صلى الله عليه وآله وسلم اللاحق

١ – جواد جعفر الخليلي ، أمير المؤمنين / القسم الثاني ، ص ٩٩ .

٢ – المصدر نفسه .

يؤكّده ويلبسها ثوب تهمته بل إنها تتقمصه بجدارة عندما طبطب الرسول على ظهرها قائلاً لها : (اتقي أن تكوني أنت صاحبة ذلك العمل ؟!) .

ولو لم يكن إلا هذه الاستذكارات من أم سلمة لكانت رادعة لأيِّ امرأة أخرى غير عائشة في أن تمضي فيما عزمت عليه .

إنَّ موقف أم المؤمنين أم سلمة لم يكن بالقول فحسب ، بل والفعل أيضـًا ، فبعد حديث استذكار طويل مع عائشة لتردّها عما نوت وتردعها بقولها : (يا عائشة إنك تعرفين منزلة علي عند رسول الله ﷺ فأي خروج تخرجين بعد هذا ؟) فقالت عائشة : (إنَّما أخرج للإصلاح بين الناس وأرجو فيه الأجر إن شاء الله . قالت أم سلمة : (أي أجر يا عائشة ؟! قال تعالى : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾[١] عودي فقرّي في بيتك)[٢] .

وفي قول آخر لها : (أقسم بالله لو سرت مسيرك هذا ، ثم قيل لي ادخلي الفردوس لاستحييت أن ألقى محمداً هاتكة حجابـًا قد ضربه عليّ، اجعلي حصنك بيتك ، والستر قبرك حتى تلقيه ، وأنت على ذلك أطوع ما تكونين لله ما لزمته ، وأنصر ما تكونين للدين ما جلست عنه)[٣].

١- سورة الاحزاب، آية ٣٣.

٢- عبد الرحمن الشرقاوي ، ص ٢٥٨ .

٣- محمد جواد مغنية ، فضائل الإمام علي ، ص ١٢٩ . نقلاً عن ابن الأثير / ج٣ ، ص ١٠٩ .

ثم إن أم سلمة أرسلت إلى علي عليه السلام : (يا أمير المؤمنين لولا أن أعصي الله تعالى عز وجل – وأنت لا تقبل مني هذا – لخرجت معك . وهذا ابني عمر يشهد معك مشاهدك) وأرسلت ابنها عمر بن سلمة بهذا الكتاب . وجهزته للحرب مع الإمام علي[١] .

كان من الممكن أن يوظّف أيّ طرف حرب - غير علي بن أبي طالب- بورقة أم سلمة أم المؤمنين عاملَ ضغط على موازين الحرب ، وكان يمكن له استغلال تأييدها له أقصى استغلال ، فإن كان الطرف الآخر تتقدمه زوج نبي وإحدى أمهات المؤمنين ، فالجانب الآخر يمثل عليّاً ومن معه أيضاً إحدى زوجات النبي وأم المؤمنين !.

ولكن أم سلمة تعلم علم اليقين أنَّ عليّاً لا يرضى لها هذا الموقف وهي قد صرحت له بذلك (وأنت لا تقبل مني هذا) ، بل إنَّ عليّاً عليه السلام لم يرض هذا الموقف حتى لعائشة ، وأرسل لها كتاباً وكلاماً يوضّح لومه لمن أخرجوها وحصّنوا نساءهم .

جاء في إحدى خطبه عليه السلام : (فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله كَمَا تُجَرُّ الأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ ، فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا وأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله لَهُمَا ولِغَيْرِهِمَا فِي جَيْشٍ مَا

١ - محمد جواد مغنية ، فضائل الإمام علي ، ص ١٢٩ . نقلاً عن ابن الأثير / ج٣ ، ص ١٠٩ .

مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلا وقَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ وسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ...)[١] .

أظهر الإمام علي عليه السلام عتبه وألمه بسبب إخراج طلحة والزبير أم المؤمنين عائشة من خدرها ، وإركابها الجمل ليؤديا مهمَّة قميص عثمان الذي نشره معاوية في بلاد الشام لكسب الأصوات ، فعلي عليه السلام يلقي باللوم هنا والتبعة على الزبير وطلحة اللذين تجرءا على إخراج عائشة من خدرها ، وأظهراها للملأ ، وأبقى كل منهما زوجته في الخدر !. ووصف الإمام عائشة بالحبيس لقوله تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهليَّة الأُولَى**﴾[٢] ؛ أو لأنَّها محبوسة عن الرجال بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٣].

فكلُّ ما يعني الإمام علي عليه السلام ويهمّه في هذا الموقف هو حفظ كرامة حرم رسول الله وستره من بعده ، فلا تُصبح عرضة لأنظار طلحة والزبير أو غيرهما . فكانت هذه أول بدعة في الإسلام وتليها شهادة الزور بأنَّ الكلاب النابحة على الجمل ليست كلاب حوأب .

١- محمد جواد مغنية ، في ظلال نهج البلاغة / محاولة لفهم حديد – الجزء الثاني ، ص ٥٠٦ .

٢- سورة الأحزاب، آية ٣٣ .

٣- محمد جواد مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ص ٥٠٧ .

وموقف الإمام علي عليه السلام يمثّل المبدأ الإسلامي في ضرورة حفظ المرأة وعدم امتهان كرامتها ، واستغلالها وسيلةً لتحقيق رغبات الطامحين إلى السلطة أو غيرها من المكاسب الدنيويَّة ، وكان هذا الفعل ليسعد أم المؤمنين عائشة لو حكّمت العقل وأصغت للنصح ، فقد كتب لها علي عليه السلام ليدين خروجها ومن تبعها ، وليسلّط الضوء الكاشف على الدوافع والمزاعم[١] : (أما بعد : فإنك قد خرجت من بيتك عاصية لله ولرسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، أتطلبين أمراً كان عنك موضوعـاً ، وتزعمين أنك تريدين الإصلاح بين المسلمين ، فخبرينا ما للنساء وقود العساكر والإصلاح بين الناس ، وطلبت كما زعمت بدم عثمان ، وعثمان رجل من بني أمية وأنت امرأة من بني تيم بن مرة ، ولقد كنت تقولين بالأمس اقتلوا نعثلاً فقد كفر ، ولعمري أن الذي عرضك للبلاء وحملك على المعصية لأعظم إليك ذنبـاً من قتلة عثمان ، وما غضبت حتى أغضبت . ولا هجت حتى تهيجت ، فاتقي الله يا عائشة وارجعي إلى منزلك ، وأسبلي عليك سترك ، والسلام)[٢] .

---

١ – مهدي محبوبة ، ملامح من عبقرية أُمام علي عليه السلام ، تقديم وتمهيد هاشم محمد الباججي ، إصدارات العتبة العلوية المقدسة / قسم الشؤون الفكرية والثقافية (٤٩) ، دار المعارف للمطبوعات ، ط١ ، بيروت – لبنان ، ٢٠١٢ ، ص ٢٢١ .

٢ – ابن شهر آشوب ، المناقب / ٣ ، ص ١٧٩ .

وفي قول آخر له : (والله إن راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عقبة ، ولا تحل عقدة إلا في معصية الله وسخطه ، حتى تورد نفسها ومن معها موارد الهلكة)[١] .

والإمام عليعليه السلام بنصحه هذا لعائشة يؤدي دوره بوصفه خليفةً للمسلمين ووصيّاً لرسول رب العالمين، وأداء حق الأمانة لودائع النبيصلى الله عليه وآله وسلم ، ولو لم تكن في الأذهان إلّا هذه الآية لكفى عائشة أن تستذكر أسباب نزولها لتتبصر في موقفها من علي ، فعن ابن عباس لما علم الله أنه ستجري حرب الجمل قال لأزواج النبي ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهليَّة الْأُولَى**﴾[٢] ، وقال تعالى : ﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ**﴾[٣] في حربها مع عليعليه السلام .

وعن شعبة والشعبي والأعثم وابن مردويه وخطيب خوارزم في كتبهم بالأسانيد عن ابن عباس ومسعود وحذيفة وقتادة وقيس بن أبي حازم وأم سلمة وميمونة وسالم بن أبي الجعد واللفظ له : إنه ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم خروج

---

١ - محمد جواد مغنية ، فضائل الإمام علي ، ص ١٢٩ . نقلاً عن : ابن الأثير / ج٣ ، ص ١٠٩ حوادث سنة ٢٦ وأعيان الشيعة نقلاً عن الطبري .

٢ - سورة الأحزاب، آية ٣٣ .

٣ - سورة الأحزاب ، آية ٣٠ .

بعض نسائه فضحكت عائشة ، فقال : (انظري يا حميراء لا تكونين هي) ثم التفت إلى علي فقال: (يا أبا الحسن إن وليت من أمرها شيئـًا فارفق بها)[١] .

ولم يقتصرِ النصح لعائشة من الإمام علي عليه السلام وأم المؤمنين أم سلمة فحسب ، بل كان هناك كثير من الإجابات على رسائلها التي أرسلتها إلى كبار المسلمين تطالبهم مشاركتها المعركة وتحمل العبارة الآتية : من عائشة بنت أبي بكر (أما بعد فإن أتاك كتابي هذا فأقدم فانصرنا ، فإن لم تفعل فخذّل الناس عن علي ... أم المؤمنين ، حبيبة رسول الله إلى ابنها الخالص فلان). ولبَّاها من لبَّى ، وردَّ عليها من يقول: (أمَّا بعد فإنَّ ابنك الخالص إن اعتزلت ورجعت إلى بيتك ، وإلا فأنا أول من يباذلك) ويقول آخر : رحم الله أم المؤمنين : أمرت أن تلزم بيتها – وأمرنا أن نقاتل فتركت ما أمرت به وأمرتنا به ، وصنعت ما أمرنا به ونهتنا عنه .

بل إنَّ عائشة لقيت معارضة مباشرة وصلت إلى حدِّ الجرأة ، فهذا جارية بن قدامة السعدي يردُّ عليها قائلاً : (يا أم المؤمنين ، والله لقتل عثمان بن عفان أهون من خروجك من بيتك على ظهر هذا الجمل

---

١ – ابن شهر آشوب ، المناقب ، ج ٣ ، ص ١٧٤ .

الملعون عرضة للسلاح ، إنه قد كان لك من الله ستر وحرمة ، فهتكت سترك وأبحت حرمتك ، إنه من رأى قتالك يرى قتلك)[١] .

إنَّ عائشة كان لها ما لأمهات المؤمنين وعليها ما عليهن ، ولو أنها سلكت نهجهن لنجت ، حتى إن أقرب أمهات المؤمنين إليها وهي حفصة بنت عمر التي لطالما توحَّدت معها في المواقف واتخذتا موضعـًا واحداً في جبهة ضد باقي زوجات النبي ﷺ ، رفضت الانصياع لرغبتها تلك بعد أن كادت تطاوعها[٢] .

كادت حفصة أن تتبع عائشة وتشترك معها في موقعة الجمل ، إذ قالت: رأيي لرأي عائشة تبع ، وأرادت أن تخرج مع عائشة إلى البصرة ، فحال أخوها عبدالله دون ذاك ، ولم تجد حفصة بداً من القعود ، وبعثت إلى عائشة تقول معتذرةً: إن عبد الله حال بيني وبين الخروج[٣] . والحق أنَّ موقف عبدالله بن عمر هذا قد أنقذ أخته ، وكان قوله حكيمـًا : (إن بيت عائشة خير لها من هودجها)[٤] .

١- غادة الخرسا ، ص ١٣٢ ؛ محمد جواد مغنية ، فضائل الإمام علي ، ص ١٢٩ .

٢- مريم فضل الله ، ص ١٥٩ .

٣- غادة الخرسا ، ص ١٣٤ .

٤- عبدالرحمن الشرقاوي ، ص ٢٥٨ ، طه حسين ، الخلفاء الراشدون ، ص ٤٥٧ .

ونعود للسؤال: ما الذي أنكرته عائشة على علي لترفض خلافته ؟

نستعين بقول طه حسين لنعرف الإجابة عن هذا السؤال ، قال : (..وكانت تنكر على علي فيما أعتقد أمرين .. : أحدهما لم يكن لعلي فيه خيرة ، فقد تزوج فاطمة بنت رسول الله ورزق منها الحسن والحسين ، فكان أبا الذرية الباقية للنبي ، ولم يُتح لها هي الولد من رسول الله ، مع أنه قد أتيح لمارية القبطية أم إبراهيم في أواخر أيام النبي . فكان هذا العقم يؤذيها في نفسها بعض الشيء ، ولا سيَّما وهي كانت أحب نساء النبي إلى النبي .

أمَّا الأمر الآخر فهو أن عليـًا قد تزوج أسماء الخثعمية بعد وفاة أبي بكر رحمه الله ، وأسماء هي أم محمد بن أبي بكر الذي نشأ في حجر علي، فكانت عائشة تجد على علي لهذا كله)[١] .

للحقيقة نقول: ما وجدنا في هذا الرأي تسويغـًا مقنعـًا لموقف عائشة من الإمام ، فطه حسين هو المعترف أنه لم يكن لعلي خيرة في أن يضعه الله ورسوله هذا الموضع الشريف فتصب عليه وافر عقمها النفسي ، فكل فضيلة من فضائل علي عليه السلام كانت تجدها عائشة مؤذية لذاتها النافرة من

١ – طه حسين ، المجموعة الكاملة .. الخلفاء الراشدون / المجلد الرابع ، ص ٤٥٤ .

الإمام ، فماذا نقمت من أبي الحسن غير اكتمال صفاته وخصاله، ولله الكمال وحده ؟!

أمَّا عدم إنجابها من النبي ﷺ فأمر تشترك فيه مع بقية زوجاته ، ما خلا خديجة الكبرى عليها السلام ومارية القبطية ، فلِمَ لم يذهبن إلى ما ذهبت إليه عائشة ؟!

أمَّا زواجه من أسماء زوجة أبيها ، فأمر محمود لعلي بن أبي طالب ، وهذا ما كان المسلمون يفعلونه للحفاظ على كرامة نساء رجالهم بعد فقدهن ، ولهم في رسول الله ﷺ أسوة حسنة في هذا الجانب ، وما كانت عائشة لتحرّم ما حلّل الله ، وأن اتخاذه لمحمد بن أبي بكر ربيبًا وابنًا ، كان فيه علي عليه السلام خير أب لمحمد.

وكان محمد أطيب ثمرة لتربية الإمام ورعايته ، حتى رثاه في موته بكلِّ الألم والتوجع . إذ يقول فيه الإمام في بعض خطبه : «... **فَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيبًا وكَانَ لِي رَبِيبًا**» ، وكان الإمام يقول : «**محمدٌ ابني من صُلْبِ أبي بكر**»[١] .

نجد أنَّ طه حسين غير مقتنع فيما أورده ، فيعود في صفحات لاحقة ليورد قائلاً : (وأمَّا عائشة فقد أمرها الله فيمن أمر من نساء النبي أن تقرّ في

١- محمد جواد مغنية ، في ظلال نهج البلاغة / ج١ ، ص ٣٤٠ – ٣٤١ .

بيتها . وكان عليها أن تفعل أيام علي كما كانت تفعل أيام الخلفاء من قبله، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر دون أن تخالف عما أمرت به من القرار في بيتها لتذكر ما كان يُتلى عليها من آيات الله والحكمة ولتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة كما فعل غيرها من أمهات المؤمنين ، ولو قد أبت أن تبايع علياً أو تؤمن له بالخلافة لما وجدت منه شيئاً تكرهه ، فهي أم المؤمنين وحبيبة رسول الله وبنت أبي بكر . وكان من الطبيعي أن تلقى من علي مثال ما لقي المعتزلون على أقل تقدير . وآية ذلك أنها لم تلق منه بعد يوم الجمل إلا الكرامة والإكبار)[١]

إذن لم يكن عليٌّ عليه السلام غير مؤهل للخلافة ، حتى تعترض السيدة عائشة على توليه هذا الاعتراض الدموي ، ولم يكن عليٌّ طامعاً أو طامحاً لنيلها وهي حقّه المسلوب ، بل إنه رفضها وبقي المسلمون من دون خليفة أربعة أيام (أو خمسة) بعد مقتل عثمان بن عفان[٢] .

---

١ – طه حسين ، الخلفاء الراشدون ، ٤٥٩ .

٢ – بعد قتل عثمان ، حكم الثائرون المدينة وأرهبوا أهلها ، وظل المسلمون خمسة أيام بلا إمام ، فلا علي بن أبي طالب يقبل البيعة ولا الناس يعدلون عنه إلى غيره ! للمزيد ينظر : عبدالرحمن الشرقاوي ، ص ٢٢٧ ؛ كاظم النقيب ، ص ٤٤٤ . نقلاً عن مروج الذهب ج٢ ، ص ٣٥٩ (ذكر أنه بويع البيعة العامة بعد مقتل عثمان بأربعة أيام) .

قال الإمام علي عليه السلام : «**فَمَا رَاعَنِي إلا والنَّاسُ كَعُرْفِ الضَّبُعِ إِلَيَّ يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ الْحَسَنَانِ وشُقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ الْغَنَمِ**»[١] .

ولكنَّ السيدة عائشة عندما علمت بخلافة علي عليه السلام ، أظهرت حقيقة ما كانت تخفيه في نفسها، ولم تخاتل أو تناور أو تخادع كما فعل طلحة والزبير ، اللذان بايعا ثم نكثا ، فلقد كان طلحة بن عبيد الله أول من بايعه وكانت أصابعه شلاّء فقال عليه السلام : ما أخلفها أن تنكث[٢] .

تخبرنا المصادر التاريخيَّة كيف تلقت عائشة خبر استخلاف علي عليه السلام ، فقد لقيها رجل من أخوالها من بني ليث يقال له (عبيد بين أبي سلمة) ، في طريق عودتها من مكة بعد أدائها مناسك العمرة ، فسألته : لهيم ! فأصم ودمدم فقالت : ويحك علينا أو لنا ، قال : ألا تدري قتل عثمان ، وسكت[٣] .

---

١ - محمد جواد مغنية ، في ظلال نهج البلاغة / ج٢ ، ص ٤٨ – ٤٩ . قال البلاذري في أنساب الأشراف ج٥ ص ١٨ " جاء الناس كلهم يهرعون إلى علي ، أصحاب النبي وغيرهم ، وهم يقولون : إن أمير المؤمنين علي .. وقال الطبري في ج٥ ص ١٥٢ : أتاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وقالوا له: قد قُتل هذا الرجل، ولابد للناس من إمام، ولا نجد اليوم أحق بهذا الأمر منك، ولا أقدم سابقة، ولا أقرب من رسول الله، فقال لهم : لا تفعلوا ، فإني أكون وزيراً خير من أن أكون أميراً .

٢ - كاظم النقيب ، أئمتنا ...، ص ٤٤١ .

٣ - غادة الخرسا ، ص ١٣٠ .

فقالت حين علمت بمقتل عثمان: إيه صاحب الإصبع - تعني طلحة -! لله أبوك . أما أنهم وجدوا طلحة كفؤاً لها . إيه أبا شبل ! إيه يا بن عم!)[١] .

إن السيدة عائشة تجد طلحة كفؤا وأهلا للخلافة من دون علي فأظهرت سرورها بما تمني به نفسها ، ولكنها ما إن علمت أن المسلمين بايعوا عليـًا ، حتى أمرت برد ركائبها إلى مكة ، وقالت : (ليت هذه انطبقت على هذه – تريد الأرض والسماء – إن تم الأمر لعلي !)[٢] .

وفي رواية أخرى أن من جاءها بهذه الأنباء ابن أختها عبدالله بن الزبير فأمرت الركب أن يعود إلى مكة[٣] وأخذت تردد : ردوني ، ردوني ![٤]

وراحت تقول بصوت مرتفع : (قتلوا عثمان بن عفان ! رحمه الله) ، فقال لها بعض من سمعوها : (بالأمس كنت تحرضين عليه واليوم تبكينه ! ألم نسمعك تقولين أبعده الله ؟! لقد رأيناك من أشد الناس عليه حتى قتل ، فلما لم يبايع الناس ابن عمك طلحة ولا زوج أختك الزبير ، بكيت عثمان يا أم المؤمنين ؟!)[٥] .

---

١ - عبدالرحمن الشرقاوي ، ص ٢٣٤ .

٢ - جورج جرداق ، ص ٥٧٢ .

٣- عبدالرحمن الشرقاوي ، ص ٢٥٣ .

٤ - غادة الخرسا ، ص ١٣١ .

٥ - عبد الرحمن الشرقاوي ، ص ٢٣٤ .

والواقع أن عائشة لم تندب عثمان حباً به ، بل كرهاً لعلي فهي التي كانت تحرض على قتل عثمان في عدة مناسبات ، كما كانت تتهمه بالكفر[١].

ولكن موقف عائشة هذا كان واضح الدلالة لكل ذي عينين ، فما أن أخذت تقول كلمتها : قتل والله عثمان مظلوماً . والله لأطلبن بدمه ! حتى سألها عبيد : ولم ؟ فوالله ، إن أول من أمال حرفه لأنت ! كنت تقولين : اقتلوا نعثلاً[٢] ، فقد كفر ! فأجابت : إنهم استتابوه ثم قتلوه . وقد قلت وقالوا : (وقولي الأخير خير من قولي الأول)[٣] .

وهنا يروي الطبري أبياتاً قالها عبيد لعائشة ، وفيها يُلقي التبعة عليها في مقتل عثمان :

فمنكِ البداءُ ، ومنكِ الغَيرْ ... منكِ الرياحُ .. ومنكِ المطرْ
وأنت أمرتِ بقتل الإمام ... وقلت لنا إنه قد كفرْ
فهبنا أطعناكِ في قتله ... وقاتلُهُ عندنا مَن أمَرْ
ولم يسقط السقفُ من فوقنا ... ولم تنكسف شمسُنا والقمرْ[٤]

---

١ - غادة الخرسا ، ص ١٣٠ .

٢ - نعثلاً : النعثل ، الذكر من الضباع ، والشيخ الأحمق . والنعثلة : الحمقى ، لسان العرب ١١١/ ٦٦٩ ، مادة (نعثل) .

٣- جورج جرداق ، ص ٥٧٢ . نقلاً عن تاريخ الطبري ٣١ ، ص ٤٧٧ .

٤ - المصدر نفسه .

إنَّ المتتبع لخط سير العلاقة بين الإمام علي والسيدة عائشة يجد أنَّ موقفها من علي عليه السلام يتوافق تمامـاً مع مواقفها السابقة ، فهي لم تحيد عن كرهه وعداوته لا في حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولا بعد وفاته .. إنها هي هي ، عائشة التي تغضب زوجها وولي أمرها ونبيها لوجود علي سويعات نجوى مع النبي ، ما كان لها أن ترى به خليفة عليها ، وها هي تقول لطلحة بعد أن لقيها في مكة : (وما لعلي يستولي على رقابنا ؟ لا أدخل المدينة ولعلي فيها سلطان !) ، إنها تجد عليّـاً يستولي على الرقاب ، فهي لم تدخله قلبها يومـاً ، ولم تجد فيه وليـاً للمتقين كما أخبرها بذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم مراراً ، بل سلطانـاً ولن تخضع له !!

لبست عائشة درعها ، وركبت جملها عسكراً[١] . وتهيأت لحرب الرجل الذي ناصبته العداء منذ أن دخلت بيت زوجها ، والذي يتابع سيرة عائشة في هذه المرحلة يُدرك أي كره هو ذاك الذي كانت تضمره لعلي عليه السلام[٢] .

أمَّا رأي الإمام علي عليه السلام في عائشة ، فيوجزه بقوله وهو يستعد

١ - ابن شهرآشوب ، المناقب ، ج ٣ ، ص١٨١ .

٢ - جورج جرداق ، ص ٥٧٣ .

لحرب الجمل وصاحبة الجمل وصاحبيها : (بليت في حرب الجمل بأشد الخلق شجاعة ، وأكثر الخلق ثروة وبذلاً ، وأعظم الخلق في الخلق طاعة ، وأوفى الخلق كيداً وتكبراً ، بليت بالزبير لم يرد وجهه قط ، ويعلي بني أمية يحمل المال على الإبل الكثيرة ، ويعطي كل رجل ثلاثين ديناراً وفرساً على أن يقاتلني ، وبعائشة ما قالت قط بيدها هكذا إلا واتبعها الناس ، وبطلحة لا يدرك غوره ولا يطال مكره)[١] .

١ - مهدي محبوبة ، ملامح من عبقرية الإمام ، ص ٢٢١ .

علـي وعـائشـة ... والجـمـل

رَمَتِ السيدة عائشة بسهم آخر من سهام معاداتها للإمام علي عليه السلام ، وكشفت عن كل كراهيتها له ، فما عادت المواجهة بينها وبينه بالكلام بل بالنبال وطعن السيوف . فكانت موقعة الجمل (عسكر) الذي ركبته عائشة لتقود أول حرب من الحروب التي واجهها علي بن أبي طالب عليه السلام في مدة خلافته، مصداقاً لعهد رسول الله صلى الله عليه وآله إليه قبل وفاته، قائلاً: (يا علي لتقاتلن الفئة الناكثة ، والفئة الباغية ، والفرقة المارقة ، إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون)[1] .

وقد أسهبت الكتب والمراجع التاريخيَّة في تناول أحداث حرب الجمل وسرد وقائعها وتفاصيلها ، ولا نأتي بجديد في السرد ، وإنما نذكر بأنها كانت الصفحة الأكثر دموية وإيلاماً وإثارة للفتنة ، ربطت بين قطبي الصراع ، علي وعائشة ، وأنضحت بكامل ما في إناء كل منهما .

فمن القائل إنَّ السيدة عائشة لم تكن تريد القتال وإراقة الدماء بخروجها على خليفة المسلمين ، بل أرادت إصلاحاً .

---

١ – ابن شهر آشوب ، المناقب ، ج ٣ ، ص ١٧٤ .

وإنَّ هؤلاء الثلاثة ما خرجوا أبداً لقتال علي ، ولا للتشهير به ، ولا لإعانة خصومه عليه ، كما يقول بعض المؤرخين[١] .

ورأي يرفع عنها تبعات الخروج والحرب برمّتها ، بالذهاب إلى أنَّ طلحة والزبير هما من أخرجاها وأدارا رحى الحرب الطاحنة .

ورأي يذهب إلى أنَّ ما جرى كان فتنة شيطان رجيم بين أخوة أحباء ، قاتلوا بعضهم بعضـًا ، وقلوبهم تملأها محبة أحدهم للآخر وانتهت بالرضى والتقبيل والبكاء على ما جرى ولكل نصيب من رحمته الواسعة وفي الجنة ملتقاهم إذ هم مبشرون[٢] !؟!

ورأي ينظر إلى النتائج لا المسببات والدوافع في معركة الجمل ويخلص إلى أن عائشة سامحت عليّـًا ، وعلي سامح عائشة ، وكلاهما تاب إلى الله وقالا قولاً مشتركـًا في تمني عدم وقوع هذه الحرب !؟ .

وهناك مؤلفات تهوّن من الخطب كثيراً ، وترى أنَّ المبالغة قد شابت الوقائع التي سردت والأشعار التي ألقيت ، والأرقام التي عددت ما حصدت هذه الفتنة من ضحايا وأرواح من الجانبين .

---

١ - محمد بكر إسماعيل ، ص ٣٦٨ .

٢ - المصدر نفسه ص ٤٠٧ . (فاقتتلوا والحب ملء قلوبهم ، وهو أمر عجاب ، ولكنها الحقيقة التي لا تخفي نفسها) !!

ومن البدء نقول : إنَّ هذه الحرب ما كانت لتكون لولا ركوب السيدة عائشة جملها وقيادتها جبهة الرفض لخلافة الإمام علي عليه السلام ، وعزمها على مقاتلته ، فقد بلغ عائشة قتل عثمان وبيعة علي بسرف[١] ، فانصرفت إلى مكة منتظرة الأمر ، فتوجه طلحة والزبير وعبدالله بن عامر بن كريز فعزموا على قتال علي عليه السلام ، واختارا عبد الله بن عمر للإمام فقال : أتلقونني بين مخالب علي وأنيابه ؟[٢]

وقيل إنَّ عائشة عندما كانت تروي حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم (علي خير البشر) قيل لها : فلم حاربته ؟ قالت ما حاربته من ذات نفسي إلا حملني طلحة والزبير ، وفي رواية أمر قدر وقضاء غلب[٣] .

وقد حاججها أهل البصرة عندما خطبت بهم قبل بدء المعركة تحرضهم على القتال في صفّها ، فقال لها رجل من البصرة : (يا أم المؤمنين إن كنت خرجت مكرهة فاستعيني بنا نعيدك إلى منزلك ، وإن كنت خرجت طائعة فعودي)[٤] .

---

١ – سرف : موضع على ستة أميال من مكة .

٢ – ابن شهر آشوب ، المناقب، ج٣ ، ص ١٧٥ .

٣ – المصدر نفسه ، ص ٨٢ .

٤ – عبدالرحمن الشرقاوي ، ص ٢٦٧ .

إن معظم المصادر التاريخيَّة تجمع على أن السيدة عائشة خرجت غير مكرهة لتقود هذه الحرب التي سميت بحرب الجمل ، لأن قائدة الجيش ، وهي السيدة عائشة فضلت ركوب الجمل على البغال والحمير[١] ، قال المستشرق الألماني (كارل بروكلمن) في الجزء الأول من (تاريخ الشعوب الإسلامية) ص ١٣٩ : (توقفت المعركة أمام الجمل الذي كانت تمتطيه عائشة ، وتستفز من على ظهره المقاتلين بحسب العادة العربية العريقة – إي عادة الجاهليَّة الجهلاء – ولم تتم الغلبة لعلي إلا بعد أن عقر الجمل الذي خلع اسمه على هذه المعركة في ٤ كانون الأول سنة ٦٤٦م ، وعرضت عائشة على المنتصر تأييدها ولكنه رفض) . وعن الواقدي والمسعودي إن الواقعة كانت يوم الخميس لعشر خلون من جمادي الآخرة سنة ٣٦هـ[٢] .

ويذكر ابن شهر آشوب أن وقعة الجمل كانت بالخريبة ، ووقع القتال بعد الظهر ، وانقضى عند المساء . فكان مع أمير المؤمنين عليه السلام عشرون

---

١ – خرجت السيدة عائشة بعد مقتل الإمام علي عليه السلام في وفاة الإمام الحسن عليه السلام عندما أرادوا دفنه عند قبر جده صلى الله عليه وآله فاعترضت الجنازة وهي على بغلتها فقال لها ابن عباس (رضي الله عنه) : تجملت تبغلت ولو عشت تفيلتي !!

٢ – محمد جواد مغنية ، فضائل الإمام علي ، ص ١٢٨ . نقلاً عن : الطبري / ج ٥ ، ص ١٨٣ – ١٨٤.

ألف رجل ، ومنهم البدريون ثمانون رجلاً ، وممن بايع تحت الشجرة مائتان وخمسون ، ومن الصحابة ألف وخمسمائة رجل . وكانت عائشة في ثلاثين ألفـًا أو يزيدون منهم المكيون ستمائة رجل ، قال قتادة : قتل يوم الجمل عشرون ألفـًا . وقال الكلبي : قتل من أصحاب علي ألف راجل وسبعون فارسـًا ، منهم زيد بن صوحان ، وهند الجملي ، وأبو عبدالله العبدي ، وعبدالله بن رقية[١] .

ونقل المسعودي في الجزء الثاني وصفـًا رائعـًا عن المنذر بن الجارود لعسكر الإمام[٢] ، وعدته وعديده ، وقال المسعودي : قُتل من أصحاب الجمل ثلاثة عشر ألفـًا ، ومن أصحاب علي خمسة ألاف ، وكانت وقعة واحدة في يوم واحد[٣] .

وقال أبو مخنف والكلبي : قُتل من أصحاب الحمل من الأزد خاصة أربعة آلاف رجل ، ومن بني عدي ومواليهم تسعون رجلاً ، ومن بني بكر بن وائل ثمانمائة رجل ، ومن بني حنظلة تسعمائة رجل ، والقرشيون منهم : طلحة والزبير وعبدالله بن عتاب بن أسيد وعبد الله بن حكيم بن

١- ابن شهر آشوب ، المناقب، ج ٣ ، ص ١٩٠ .

٢- للمزيد ينظر : محمد جواد مغنية ، فضائل الإمام علي ، ص ١٣٣ – ١٣٤ .

٣- المصدر نفسه ، نقلاً عن : المسعودي ، ج٢ ، ص ٣٦٠ .

حزام وعبدالله بن شافع بن طلحة ومحمد بن طلحة وعبدالله بن أبي خلف الجمحي وعبد الرحمن بن معد وعبدالله بن معد[١] .

ومع كلِّ هذا التفصيل لدى المؤرخين ، هناك من يقلل من هذه الأرقام ، ويرى أن العدد لا يكاد يصدق وقد بولغ فيه ، وأنَّ عدد القتلى الذي رجحوه لا يتجاوز المائتين !! وذلك لقصر مدة القتال ، إذ إنَّ القتال نشب بعد الظهر ، فما غربت الشمس وحول الجمل أحد ممن كان يذب عنه[٢] . بل إنه يقلل إلى أقصى من ذلك فيجعله قريباً من المائة ، ويعقد مقارنة بين قتلى المعارك الإسلاميَّة قائلاً : وبالقياس بعدد شهداء المسلمين في معركة اليرموك ثلاثة آلاف شهيد ، ومعركة القادسية ثمانية آلاف وخمسمائة شهيد ، وهي التي استمرت عدة أيام – فإن العدد الحقيقي لقتلى معركة الجمل يعد ضئيلاً جداً ، هذا مع الأخذ في الاعتبار شراسة تلك المعارك وحدتها لكونها من المعارك الفاصلة في تاريخ الأمم)[٣] .

ولكن المؤلف للأسف ينسى أو يتناسى أن هذه المعارك التي ذكرها خاضها المسلمون ضد أعداء الإسلام لتوحيد كلمة الإسلام ، في حين أن

---

١ – ابن شهر آشوب ، المناقب، ٣ – فضل في حرب الجمل ، ص ١٩٠ .

٢ – محمد بكر إسماعيل ، ص ٢٩٦ .

٣ – المصدر نفسه .

معركة الجمل كانت أول معركة خاضها المسلمون في مواجهة بعضهم بعضـاً ، وشقت وحدة الصف الإسلامي وأثارت النعرات الجاهليَّة ، إن المؤلف – هنا – يسوق كل هذا الدفاع الساذج المستميت من أجل التهوين من خروج السيدة عائشة على الإمام .

ويهمل المؤلف طول رحلة السفر والتحشيد والكتب التي وجهت إلى رؤساء القبائل في الطريق ما بين مكة والبصرة ، وكيف لم تأل السيدة عائشة جهدها في التنفير بصوت جهوري تخطب في الجموع قبل المعركة وفي أثنائها ، لقد ركبت عائشة الجمل ، تسير عليه من بلد إلى بلد ، تخطب بالجموع وتكتب إلى الآفاق بتوقيع أم المؤمنين تشعل نار الحرب ، وتفرق كلمة المسلمين إلى شيع وأحزاب يقتل بعضهم بعضـاً[١] .

وقد تسربلت برداء الحرب ، إذ لبست عائشة درعـاً ، وضربت على هودجها صفائح الحديد وألبس الهودج درعـاً[٢] . وكان أبو يعلى هو من اشترى الجمل الضخم وجعل لها هودج من حديد ودروع ، وجعل فيه موضع لعينيها[٣] .

---

١ – محمد جواد مغنية ، فضائل الإمام علي ، ص ١٢٩ .

٢ – ابن شهر آشوب ، المناقب ، ج ٣ ، ص ١٨١ .

٣ – عبدالرحمن الشرقاوي ، ص ٢٥٧ .

كان خروج السيدة عائشة أمراً مستغربـًا ، فما اعتاد العرب على خروج النساء مقاتلات في الحرب ، ربما محرضات بالشعر والخطابة ، لكن بوقوفها وسط ساحة المعركة كقطب الرحى من طعن وضرب ..، وهي زوجة نبي الأمة ، فإنَّ هذا ما أثار استهجان كثيرين ممن انحازوا لصفها ثم عدلوا بعد أن رأوا عائشة تتقدم الصفوف داخل هودجها المدرع على جمل ضخم ، وقد ألبسوه جلود النمور ، وفوقها الزرّد !..، وجعلت تصدر الأوامر ، وإذ برجل من أصحابها يخرج من الصفوف وينحاز إلى عسكر الإمام قائلاً : (تقلدت سيفي أريد نصر الزبير وطلحة ، فإذا عائشة هي التي تأمر وتنهي وإذا الأمر أمرها ، فأيقنت أن هؤلاء قوم لعنهم الرسول ﷺ حين قال : (لعن الله قومـًا ولوا أمرهم امرأة)[1] .

كانت عائشة هي القائد الأعلى للجيش الذي تقدمته وهي راكبة جملاً أعطي اسمه للموقعة ، وكانت هي التي تصدر الأوامر ، وتعين القادة الثانويين ، وتوجّه الرسل بكتبها إلى هذا وذاك ، ممن تبغي عندهم أن يناصروها على علي ، وكانت كتبها إلى هؤلاء مصدرة بالعبارة الآتية : (من عائشة ابنة أبي بكر ، أم المؤمنين ، حبيبة رسول الله ﷺ ، إلى ابنها

١ – عبدالرحمن الشرقاوي ، ص ٢٧٦ .

الخالص فلان : أمَّا بعد ، فإن أتاك كتابي هذا فأقدم فانصرنا ، فإن لم تفعل فخذّل الناس عن علي !)[١] .

حتى أن السيدة عائشة لم تهمل جانبًا من معركتها ضد الإمام إلّا وأخذت جزءاً من عنايتها ، فهي تراسل صديقتها التي تأخّرت عنها على مضض ، لتطلعها على أخبار سيرها خطوة بخطوة ، فكتبت عائشة إلى حفصة بنت عمر بن الخطاب ، وكانت حفصة بالمدينة ، تبشرها باستيلائها على البصرة وتحدثها بنشوة الغالب ، عما تراه من أمر علي وعما هو صائر إليه : (أما بعد ، فأخبرك أن عليًا نزل ذا قار ، وأقام بها مرعوبًا خائفًا لما بلغه من عدتنا وجماعتنا . فهو بمنزلة الأشقر ، إن تقدم عقر ، وإن تأخر نُحِر !)[٢] . لقد قتل في هذه الحرب طلحة والزبير . ولكن السيدة عائشة استمرت في موقفها المحرض على القتال حتى النهاية ، ففي الهودج أم المؤمنين بقيت تحرض الناس فتردهم إلى الحماسة والجرأة بعد الخوف والفرق ، وهم يثبتون حول الجمل لا يريدون انتصاراً ولا يريدون فوزاً بل يريدون أن يحموا أمهم ، وراجزهم

---

١ – جورج جرداق، الإمام علي صوت العدالة الإنسانيَّة، ص٥٨٧ . نقلاً عن : تاريخ الطبري -٣، ص ٤٩٢ .

٢ – جورج جرداق، الإمام علي صوت العدالة الإنسانيَّة ، ص ٥٩١ .

يرتجز :

يـــا أمنـــا عـــائش لا تُراعـــي كـــل بنيـــك بطـــل المِصـــاعِ

وهي تتحدث إلى من عن يمينها محرضة ، وإلى من عن شمالها محمسة ، وإلى من أمامها مذكرة ، وأصحاب علي يلحون على هؤلاء المستقتلين وراجزهم يرتجز :

يـــا أُمنـــا أعـــق أُم نعلـــم والأم تغـــذو ولـــدها وتـــرحمُ

أمـا تـرين كـم شـجاع يُكْلَـمُ وتُختلـى منـه يـد ومعصـمُ

ويشتد وطيس الحرب... وقد رأى علي هذا القتل الذريع فراعه نكرُ ما رأى وصاح بأصحابه : أعقروا الجمل فإن في بقائه فناء العرب[١] .

فما كان موقف الإمام علي عليه السلام منها ؟

لم تصدر عن الإمام علي كلمة شائنة بحق عائشة أو تنكيراً لفعلها ، بل صب جام غضبه وتوبيخه على طلحة والزبير وكل من أخرجها من مهجعها من الرجال الطامعين بالسلطة . كان علي يعلم أنهم اتخذوا من عروس النبي مركبـًا لطموحاتهم الدنيويَّة بالخلافة ، ووافق هواهم هواها الغالب في معاداة ابن أبي طالب ، غريمها وزوج ابنة غريمتها التي طالما حسدتها لحظوتها عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى بعد مماتها .

---

١ - طه حسين ، الخلفاء الراشدون ، ص ٤٧٦ – ٤٧٧ .

فقد بعث إليها قولاً يلتمس فيه لها العذر قائلاً : (.. وما غضبت حتى أغضبت ، وما هجت حتى هُيجت..). أراد علي أن يعذر عائشة لخروجها عليه وقودها العساكر فأشار إلى أنها (أُغضبت وهُيجت) وفي ذلك ما فيه من مراعاة شعور المرأة واحترام جانبها ، ثم وجد لها مخرجـًا مما حملت عليه من المعصية – على حد تعبيره – فخطَّأ الذي عرَّضها للبلاء وحملها على الخروج من بيتها ، وجعله أعظم ذنبـًا من قتلة عثمان . ثم نصح لها بأن تتقي الله وترجع إلى منزلها ففي ذلك أمن للبلاد ورضا الناس[١] .

وكان يمكن للإمام علي عليه السلام أن يتخذ منها موقف المنتقم ، وينفّذ فيها أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي جعل طلاق نسائه إليه[٢] . وهذا الحديث ينقل عن عائشة ذاته من أن النبي جعل طلاق نسائه إلى علي .

وقد ذكّرها أبو الحسن عليه السلام بهذا الأمر يوم الجمل ، فعن الأصبغ بن نباتة قال : بعث علي عليه السلام يوم الجمل إلى عائشة : (ارجعي وإلا تكلمت بكلام تبرين من الله ورسوله) . وقال أمير المؤمنين للحسن : (اذهب إلى فلانة فقل لها قال لك أمير المؤمنين والذي خلق الحبة والنوى وبرأ النسمة ، لئن لم ترحلي الساعة أبعثن بما تعلمين) ، فلما أخبرها الحسن

١ – جورج جرداق ، ص ٥٧٩ .

٢ – ابن شهر آشوب ، المناقب ، ج ٣ ، ص ١٥٣ .

بما قال أمير المؤمنين قامت ثم قالت : رحولني ، فقالت لها امرأة من المهالبة : أتاك ابن عباس شيخ بني هاشم حاورتيه وخرج من عندك مغضبـًا . وأتاك غلام فأقلعت ! قالت : إنَّ هذا الغلام ابن رسول الله ، فمن أراد أن ينظر إلى مقلتي رسول الله فلينظر إلى هذا الغلام ، وقد بعث إلي بما علمت ، قالت : فأسألك بحق رسول الله عليك إلا أخبرتنا بالذي بعث إليك ، قالت : إن رسول الله جعل طلاق نسائه بيد علي فمن طلقها في الدنيا بانت منه في الآخرة .

وفي رواية : كان النبي يقسم نفلاً في أصحابه فسألناه أن يعطينا منه شيئـًا وألححنا عليه في ذلك، فلامنا علي فقال: (حسبكن ما أضجرتن رسول الله فتجهمناه) ، فغضب النبي مما استقبلنا به عليـًا ثم قال : (يا علي إني قد جعلت طلاقهن إليك فمن طلقتها منهن فهي بائنة) ، ولم يوقت النبي في ذلك وقتـًا في حياة ولا موت ، فهي تلك الكلمة فأخاف أن أبين من رسول الله[١] .

هذه كانت لحظات من وخز الضمير مرت بها السيدة عائشة في أثناء سيرها لحربها ، وهناك لحظة أخرى مرت بها ، لو أنها صغت إليها لجنبت الأمة هذه الفتنة وهذه الدماء ، إنها صرختها يوم قالت : (ردوني ..

١ - ابن شهر آشوب ، المناقب ، ج ٣ ، ص ١٥٣ .

ردوني)!!، ولكن هذه المرة كانت صرختها للرجوع عما نوت ودبرت ، عندما سمعت نباح كلاب (ماء الحوأب) ، وليتها فعلت !.

ففي طريق سيرها إلى البصرة ، وصلت إلى ماء يسمى حوأب نبحت عليها كلابها ، فسألت عائشة متوجسة : (أي ماء هذا ؟) قالوا : (ماء الحوأب) ، فصرخت بأعلى صوتها ثم ضربت بعيرها فأناخته ، ثم قالت : (أنا والله صاحبة كلاب الحوأب طروقًا ردوني) ، تقول ذلك ثلاثًا[١] ، وبهت الجميع ! ثم سألوها ، فقالت : (سمعت رسول الله يقول لنسائه كأني بأحدكن تنبحها كلاب الحوأب . ثم اتجه إلي وقال : إياك أن تكوني أنت يا حُميراء)[٢] .

وفي رواية أخرى ذكرناها سابقًا ، إن أم المؤمنين أم سلمة في حديث طويل مع عائشة أخذت تذكرها بأحاديث رسول الله التحذيرية لنسائه عامة ولعائشة خاصة من الخروج لحرب علي ، ضاربًا على ظهرها قائلاً: (إياك أن تكونيها ، يا بنت أبي أمية إياك أن تكونيها يا حُميراء أما أنا فقد أنذرتك)[٣] .

١- الأنصاري ، ص ٢١٧ .

٢- عبد الرحمن الشرقاوي ، ص ٢٦١ .

٣- الأنصاري ، ص ٢١٨ .

عجباً للسيدة عائشة ، فهي كما تذكر المصادر ذكيَّة لمَّاحة حافظة لكتاب الله ورسوله ، تحدث بأحاديث كثيرة عن النبي لتكون دستوراً للمسلمين في حياتهم ، وتهمل هي كل هذه التحذيرات والإشارات الواضحة من زوجها النبي الكريم ﷺ ، بحجج شتى ، مرة بالنسيان ومرة بالتغافل[١] ..، جاءها ابن أختها عبدالله بن الزبير وحلف لها : (بالله لقد خلفت ماء الحوأب أول الليل) .. وجاء لها بشهود زور خمسين من الأعراب فحلفوا على ذلك ! ورضخت لحلف الزور ، فأين حكمة السيدة عائشة ورجاحة عقلها هنا ، لقد مرت إذن كما أخبرها رسول الله على ماء الحوأب ، إن كان أول الليل أو آخره ، كما زعموا لها !؟!

ثم ما بال السيدة عائشة تنعت نفسها في مكاتباتها ، حبيبة رسول الله ، ولا تنفذ وصايا حبيب الله !. لو أن امرأة تزوجت لا برسول ونبي ، بل برجل شهم وكريم أكرم وفادتها في الحياة الدنيا وكان لها شرفٌ وعزة بين أهلها وقومها لكانت أدنى من زوج النبي وأم المؤمنين في صون وحفظ كل ما كان من زوجها بعد وفاته !.

إنَّ السيدة عائشة نست أو تناست ، وهي حافظة الأحاديث ، أخوة النبي لعلي ، وقوله : سلمك سلمي ، وحربك حربي ، وقوله : علي مع

---

١ - جواد جعفر الخليلي ، أمير المؤمنين ، ج٢ ، ص ٩٨ .

الحق ، وقوله : علي مني وأنا من علي ، وقوله : لا يبغض عليـًا إلا من خرج من الإيمان[١] .. ولا ندري كيف خفيت هذه الحقائق والحجج على على أم المؤمنين وهي الذكية الفطنة ؟![٢]

وكيف فات أم المؤمنين ، وهي الذكية الفطنة أن فتنة الجمل لم تكن بنتائجها الوخيمة حربـًا ضد علي بالذات، بل ضد الإسلام ونبي الإسلام؟!

جمعت حرب الجمل الرذائل والنقائص ؛ لأنَّها كانت السبب الأساس لضعف المسلمين وإذلالهم ، فلقد كانت أول فتنة ألقت ببأس المسلمين فيما بينهم ، يقتل بعضهم بعضـًا ، بعد أن كانوا قوة على أعدائهم[٣]، كما فتحت الباب على مصراعيه لكل الفتن والحروب الداخلية التي تلتها .

١- محمد جواد مغنية ، فضائل الإمام علي ، ص ١٣٠ .

٢- محمد بكر إسماعيل، ص٤٠٤.

[قال عروة بن الزبير: لقد صحبت عائشة فما رأيت أحداً قط كان أعلم بآية نزلت ولا بفريضة ولا بسنة ولا بشعر ولا بيوم من أيام العرب ولا نسب ولا بكذا ولا بكذا.. ولا بقضاء ولا بطب منها]!! وكان الشعبي يذكرها فيتعجب من فقهها وعلمها. وكان عطاء يقول: كانت عائشة أفقه الناس، وأحسنهم رأيًا عند المنصفين من أهل العلم والرأي.

٣- محمد جواد مغنية ، فضائل الإمام علي ، ص ١٣٩ .

جاءت نهاية الحرب بالظفر لأبي الحسن عليه السلام ، ولم يبق من قادة الجبهة المقابلة إلا عائشة على قيد الحياة ، فما كان موقف الإمام من امرأة شهرت اللسان والسنان ضده ؟

حتى قبل أن تنتهي الحرب يفكر علي في وضع عائشة ولا يريد لها إلا الكرامة والحفظ والسلامة ، ها هو علي يرى الهودج وقد شكت به السهام حتى كأنه جناح نسر أو شوك قنفذ ، فيوجه خطابه لربيبه محمد بن أبي بكر أمراً : (أنظر إذا عرقب الجمل ، فأدرك أختك فدارها)[١] .

إنه هنا ينفذ وصية أخيه وابن عمه رسول الله صلى الله عليه وآله إن ظفرت بها فأرفق، فتراه يتقدم نحو الهودج قائلاً : (يا عائشة أهكذا أمرك رسول الله أن تفعلي ؟) فقالت : يا أبا الحسن ظفرت فأحسن ، وملكت فاسجح[٢] فيقول علي : غفر الله لك ، وتجيب عائشة : وغفر لك[٣] .

إن جميع المصادر والمراجع التاريخيَّة تذكر حسن صنيع الإمام بعائشة فلم تر منه إلا التقدير والاحترام والحفاظ عليها حتى أرجعها إلى

---

١ - ابن شهر آشوب ، المناقب ، ج ٣ ص ١٨٩ .

٢ - ملكت فأسجح : أي ظفرت فأحسن وقدرت فسهل وأحسن العفو (لسان العرب ، مادة سجح).

٣ - طه حسين ، الخلفاء الراشدون ، ص ٤٧٧ .

المدينة مراعياً لها حرمة الزوجيَّة لرسول الله صلى الله عليه وآله[١] . فهذا علي رجل السلام حتى في الحرب رجل الرحمة حتى في لحظة تشابك السيوف والرماح . ففي ساحة الحرب يتدبر أمر المرأة الوحيدة في ساعة الوغى ، ويطلب من محمد بن أبي بكر ، ألاّ تصل إليها يد غريبة عنها : (شأنك وأختك فلا يدنُ منها أحد سواك)[٢] .

وإذا كان الإمام علي عليه السلام لم يذكر عائشة بفداحة فعلها وصعوبة موقفها هذا ، فإنَّ أخاها محمد لم يستطع السكوت ، فأخذ يبكتها بوجع . عصيت ربك وهتكت سترك ، ثم أبحت حرمتك ، وتعرضت للقتل) ، ويقبل محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر فيحتملان الهودج وينحيانه ناحية ، ويضرب محمد على هودج أخته فسطاطاً ، ستراً لها .

وحتى هنا لا يتوقف علي من الاطمئنان على حالها خوف أن يكون قد أصابها سهم من السهام التي شكت الهودج فيأمر علي أخاها محمد أن ينظر أأصابها مكروه . فيدخل رأسه في الهودج فتسأله : من أنت ؟ فيقول : أبغض أهلك إليك ، فتقول : ابن الخثعمية ، فيقول : نعم أخوك محمد ، ويسألها أاصابها مكروه ؟ فتقول : مشقص في عضدي فينتزعه[٣] . ويرسل

١- الأنصاري ، ص ٢١٩ .

٢- ابن شهر آشوب ، المناقب / ٣ ، ص ١٨٩ .

٣- طه حسين ، الخلفاء ...، ص ٤٧٧ .

علي عائشة أسيرته إلى أعظم بيت في البصرة تقيم فيه هو دار عبد الله بن خلف الخزاعي ، وهو زوج صفية بنت الحارث ، وكان عبدالله مع عائشة فقتل في المعركة ، وكان أخوه عثمان مع علي وتسلل إلى عائشة في دارها حيث أقامت عدد من الجرحى فأقاموا في الدار ، وطلبت لهم عائشة الأمان ، فأمر علي بألا يتعرض أحد لهم[١] .

وهمَّ بعض أصحاب علي أن يتعرّضوا لعائشة ، فزجرهم علي زجراً عنيفـًا وقال لهم موبخـًا على فعلهم : لقد كنا نؤمر بالكف عن النساء وهن مشركات ، ولقد كان الرجل ينال المرأة بالضربة فيعير بذلك عقبه . فلا يبلغني أن أحداً منكم قد عرض لامرأة بسوء إن آذنكم وشتمت أمراءكم فأنزل به أشد العقوبة .

وقال لبعض أصحابه: (لا تؤذوا النساء وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم ، فالنساء ضعيفات) .

وبالفعل لقد عاقب رجلين وقفا على باب دار عائشة يغلظان لها القول ، فأمر الإمام علي عليه السلام بهما فجلد كل منهما ثمانين جلدة !! وطابت نفس عائشة[٢] .

أعطى الإمام علي عليه السلام في هذه الحرب أروع الأمثلة الإنسانيَّة ، بل

---

١ - عبدالرحمن الشرقاوي ، ص ٢٩١ .

٢ - المصدر نفسه ، ص ٢٩٣ .

إنه أظهر وأنضح خالص ما في أنائه المحمدي الهاشمي ، فأعلن العفو العام[١] وأصدر أول بيانات المنتصر فكان رحمة وعطفاً .. إذ بعث منادياً ينادي بأعلى صوته : (لا تجهزوا على جريح ، ولا تتبعوا مدبراً ، ولا تدخلوا داراً ، ومن ألقى السلاح فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، وليس للجيش إلا ما حُمل إلى ميدان المعركة من سلاح وكراع - أي خيل – وليس لكم ما وراء ذلك من شيء)[٢] .

وقد أظهر علي سموَّ نفسه العظيمة، وحكمته البالغة عندما بين قدر السيدة عائشة ومنزلتها كونها أم المؤمنين وزوجة نبيهم، وكانوا يريدون اقتسام الغنائم قائلين: يا أمير المؤمنين، تحل لنا دماؤهم، ولا تحل لنا نساؤهم؟ فقال علي عليه السلام : (كذلك السيرة في أهل القبلة)، فلما جادلوه في ذلك قال لهم : (إذن هاتوا سهامكم لنقترع على أمكم عائشة ، فقالوا جميعاً: نعوذ بالله ونستغفر الله، ثم فاءوا إلى أمره وعادوا إليه مذعنين)[٣].

لله درك يا أبا الحسن ، أنظر كيف ينعتها بأجمل النعوت والصفات (أمكم) ولم يقل (أسيرتكم) أو (مغنمكم) أو أي كلمة أخرى مرادفة

١- محمد بكر إسماعيل ، ص ٣٩٧ .

٢- محمد جواد مغنية ، فضائل الإمام .. ، ص ١٣٩ .

٣- المصدر نفسه .. ، ص ٣٩٨ .

لواقع الحال ، إنه علي الذي أدبه فأحسن تأديبه محمد ﷺ الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه . فلم يركن الإمام إلى الانتقام بعد نصره المبين في المعركة وعلى الرغم من الخسائر الفادحة في أرواح المسلمين لدى كلا الطرفين ، إلّا أن عائشة حظيت بأرقى معاملة إنسانية كأسيرة حرب خاسرة !

عادت عائشة معززة مكرمة إلى المدينة ومعها أخوها وبضعة نساء ورجال لحمايتها ، لقد جهزها الإمام بخير جهاز من مركب وزاد ومتاع وأمر لها باثني عشر ألف درهم[١] . فلما رأت ما أعده لها الإمام قالت : (جزى الله عليـًا كل خير ، جزاه الله الجنة) وخرجت فودَّعت الناس وقالت : (يا بني لا يعتب بعضنا على بعض ، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وبين أحمائها ، وإن عليـًا لمن المصطفين الأخيار)[٢] .

لقد صان الإمام علي عليه السلام حرمة أم المؤمنين عائشة وهي الباغية عليه ، وعلى الرغم من كلِّ ما صدر منها فأخرج معها أخاها عبدالرحمن بن أبي بكر في ثلاثين رجلاً وعشرين امرأة (وأربعين على رواية أخرى) من ذوات الدين من عبد القيس وهمدان وغيرهما ، ألبسهن العمائم ،

---

١ - عبدالرحمن الشرقاوي ، ص ٢٩٤ .

٢ - محمد جواد مغنية ، فضائل الإمام علي ... ، ص ١٣٨ .

وقلدهن السيوف وقال لهن لا تعلمن عائشة أنكن نسوة وتلثمن كأنكن رجال وكن اللاتي تلين خدمتها وحملها فلما أتت المدينة قيل لها : كيف رأيت مسيرك ؟ قالت : كنت بخير والله لقد أعطى علي بن أبي طالب فأكثر ولكنه بعث معي رجالاً – فعرفها النسوة أمرهن ، فسجدت وقالت : ما ازددت والله يا بن أبي طالب إلا كرمًا ووددت أني لم أخرج وأن أصابتني كيت وكيت هذا ما ذكره المسعودي في مروجه وذكر المالكي في فصوله ، واختار لها أربعين امرأة من نساء البصرة المخبورات المعروفات سيرهن معها[١] .

وقال اليعقوبي : وجَّه معها سبعين امرأة من عبد القيس في ثياب الرجال حتى وافوا بها المدينة[٢] .

قد أعلن علي انتصاره على عائشة حتى آخر اللحظات ، وكأنه يعلم سريرتها فبعث معها النساء مرافقات مترفقات بها ، لتكن هذه آخر حججه عليها .

وفعلُ ابن أبي طالب هذا كان سيكون ذاته مع أي امرأة أخرى غير عائشة ، فما كانت المرأة عند علي عليه السلام ممتهنة أو ذليلة في يوم .

---

١ – كاظم النقيب ، ص ٤٧٥ .

٢ – محمد جواد مغنية ، فضائل الإمام علي ... ، ص ١٣٨ – نقلاً عن اليعقوبي ج٢ ، ص ١٧٣ .

بقي أمران : الأول أن السيدة عائشة قد أعلنت ندمها مما أحدثته في الإسلام من شرخ ، إذ يروي المؤرخون والمحدثون ، أنها كانت أشد المغلوبين حسرة وأعظمهم ندماً وكانت تتلو : (وقرن في بيوتكن) إلى آخر الآية ، ثم تبكي حتى يبتل خمارها ، وكانت تقول : (لو أني مت قبل هذا اليوم بعشرين عاماً . وكانت تقول بعد رجوعها إلى الحجاز : والله إن قعودي عن يوم الجمل لأحب إلي لو أتيح لي من أن يكون لي عشرة بنين من رسول الله ﷺ [١] . فهل جاء ندمها متأخراً ، ولات حين مناص !؟

وقيل أنها جزعت لما احتضرت فقيل لها أتجزعين يا أم المؤمنين وأنت زوجة رسول الله ﷺ وأم المؤمنين وابنة أبي بكر الصديق ؟ فقالت: إنَّ يوم الجمل معترض في حلقي ليتني مت قبله أو كنت نسياً منسيا[٢] .

وهل بقي في نفس عائشة تجاه علي ما بين المرأة وأحمائها حتى آخر يوم في عمرها ولم تفرغ كل ما عندها من معاداة لعلي في موقعة الجمل ؟

---

١ - طه حسين ، الخلفاء ..، ص ٤٨٢ .

٢ - أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر طيغور ، بلاغات النساء ، انتشارات الشريف الرضي ، قم المقدسة ، د. ت ، ص ١٧ .

حتى أن بعض المصادر تذكر أنها بقيت على عدائها لعلي حتى سمعت قتله فسجدت شكراً لله[١] .

الأمر الثاني ، قول بعضهم في أن قول الإمام عليه السلام لهذا الكم من الخطب التي تهجو المرأة وأتباع المرأة التي ألقيت في البصرة وخلال المعركة ، هي دليل على نظرة الإمام علي للمرأة والتي اتخذها ضد كل النساء لتأثره من موقف السيدة عائشة منه يوم الجمل .

وهذا ما سنستوضحه في الفصل اللاحق .

١ – جواد جعفر الخليلي ، أمير المؤمنين / ج٢ ، ص ٩٨ . نقلاً عن أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين وذكر البيت الذي قالته :

وألقـت عصـاها واسـتقر بهـا النـوى كمـا قـر عينـاً بالإيـاب المسـافر

وقالـت : فـإن يـك نائبـاً فلقـد لفـا غـلام ليـس فـي فمـه تـراب

الفصل الرابع

علي و النساء

- علي والنساء في نهج البلاغة
- علي وبلاغات النساء

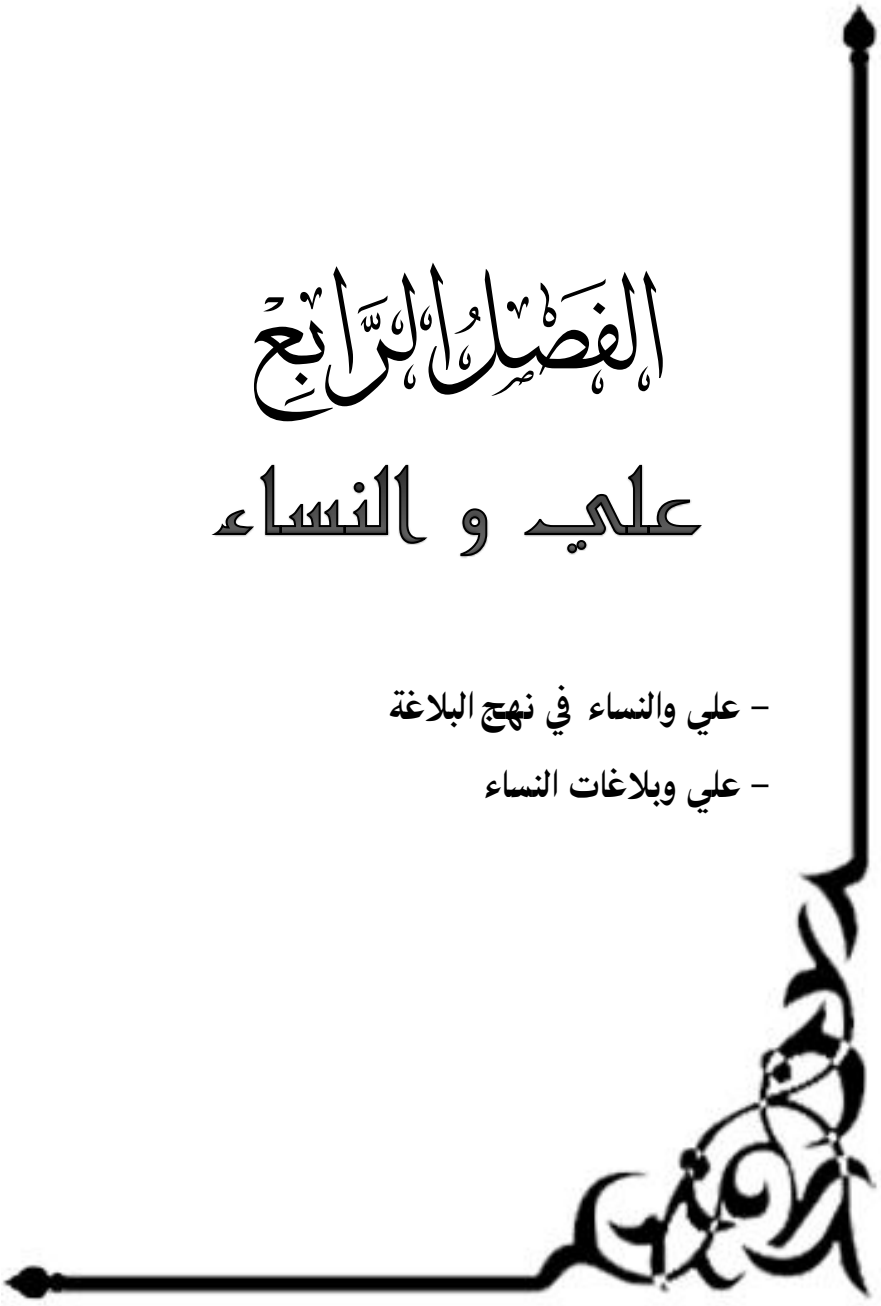

علي والنساء في نهج البلاغة

ما أن يُذكر نهج البلاغة أمام جمع من النساء والرجال ، حتى تقفز أقوالُ الإمام علي عليه السلام في المرأة إلى الأذهان ، وتشغل اللسان والفكر . ويكون الجمع قد اتخذ حكماً قطعياً مفاده : إنَّ علياً أبغض المرأة ! ، وموقفه هذا جاء منبثقاً من موقف عائشة منه في حرب الجمل .

وهل نفهم من قوله : ((المرأةُ شرٌّ كلّها ، وشرّ ما فيها أنه لابد منها)) فيه تحامل من الإمام علي عليه السلام على المرأة، وأنَّه عليه السلام لم يمدحها بكلمة. وهل أسبغ رأيه بعائشة على بقية النساء ، فلا توجد في الدنيا امرأة صالحة تستحق المدح ؟!.

أمَّا النصوص الواردة في نهج البلاغة فهي مجموعة من الخطب والرسائل والمواقف والحِكم قالها الإمام تبعاً للظروف والمناسبات[١] ، فمنها ما كان أجوبة عن أسئلة ، ومنها خطاب لأهل العراق الذين قاتلوا معه الناكثين والقاسطين والمارقين ، ومنها في وصف عظمة الخالق ، وعظمة الإسلام ونبيه ، ومنها وصايا لأرحامه وأصحابه ، ومنها في وصف الجنة والنار والحياة والموت ، وأحوال الإنسان في هذه الدنيا وشأنه ،

١ - محمد جواد مغنية ، فضائل الإمام علي .. ، ص ٧١ .

ومنها نفثة روحية إلى غير ذلك[١] . فهناك عشرات الخطب الطويلة والقصيرة الموجزة ، يهملها غير المنصف ليتم التركيز على خطب معينة لا يتجاوز عددها أصابع اليدين لتكون أسفينـاً يدق بين الإمام علي عليه السلام والنساء .

ابتداء نؤسس لفكرة مهمة إنَّ الإمام عليّـًا عليه السلام ليس عدواً لأحد ، بل هو الحق كله، والحق معه، وهو عدو للباطل والمبطلين . وقد تصفّحنا علاقة الإمام عليه السلام مع نساء في حياته في الفصول السابقة ، من أم وزوجة ، فكان خير إنسان ينظر إليهن بالنظرة الربانية والإنسانيَّة معـاً .

والمعروف أنَّ كلّ رجل يعطي رأيه عن طريق تجربته في حياته مع المرأة ، وعن طريق علاقته بزوجته ، فإذا كانت زوجته صالحة اعتقد أنَّ كلّ نساء العالم صالحات ، والإمام علي عليه السلام كانت زوجته (فاطمة الزهراء) سيدة نساء العالمين، وكذلك كانت زوجته المؤمنة أم البنين[٢].

فضلاً عن ذلك فإنَّ الإمام عليّـًا عليه السلام ، على بيّنة من أمره بأنَّ النساء لسن على درجة واحدة ، ففيهن المؤمنة والكافرة ، والتقية والفاسدة ،

---

١ – محمد عبده ، نهج البلاغة ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ٣.

٢ – مجموعة مؤلفين ، نهج البلاغة –نبراس السياسة ومنهل التربية ، مؤسسة نهج البلاغة ، مطبعة سلمان الفارسي ، قم –إيران ، ١٤٠٤هـ ، ص ١٩٣ .

شأنهن في ذلك شأن الرجال . وقد أوضح ذلك القرآن الكريم بشكل مفصَّل ، فضرب مثلاً للذين آمنوا زوجة فرعون التي كان زوجها في مقدمة الكافرين وأشد المعاندين ، في حين كانت هي من أعظم المؤمنين ، قال تعالى:

﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَاِمْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنْ اللهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلاَ النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ * وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا اِمْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[١] .

فإذا كان الإمام علي عليه السلام يعلم هذا كلّه ، ثم بعد ذلك يقول في نهجه: «**الْمَرْأَةُ شَرٌّ كُلُّهَا وشَرُّ مَا فِيهَا أَنَّهُ لا بُدَّ مِنْهَا**»[٢]، أو يقول: (النساءُ حبائل إبليس)، فهو لا يقصد بالمرأة زوجته فاطمة ومثيلاتها ممن سرن على نهجها من المؤمنات ، بل يقصد بها أي امرأة قد استحوذ عليها الشيطان فرضخت له[٣] .

١- سورة التحريم: آية ١٠ – ١١ .

٢- نهج البلاغة ، باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام ، حكمة ٢٢٩ .

٣- نهج البلاغة نبراس السياسة ، ص ١٩٤ .

أمَّا من قال إنَّ الإمامَ عليه السلام قد ألقى بثقل ما عنده من خطب في المرأة بعد موقف عائشة منه، عندما عارضت حكمه وخلافته ، وألّبت عليه الجموع وجيشت الجيوش ، ولولا موقفها هذا لم ينظر علي إلى المرأة هذه النظرة التي تحطّ من شأنها وقدرها . نقول : إنَّ الإمام ما كان يخشى أحداً في أن يقول رأيه في المرأة قبل عائشة أو بعدها ، فأقوال علي تنبع من منبع واحد هو نبع النبوة والجلالة ، فلا يُخالف ما جاء به الله عز وجل ونبيه المختار صلى الله عليه وآله وسلم قبل حرب الجمل وبعدها . ومبدئية الإمام ليست بحاجة إلى برهان أو دليل .

فعليٌّ الذي يدور مع الحق والحق يدور معه كيفما دار ، لا يركن إلى الشهوات أو الميول الذاتية ليستمد منها آراءه لتظهر مواقفه الشخصية بهذه الصورة ، وقد تناولنا بتفصيل كيف عامل عائشة قبل الجمل وفي أثنائها وبعدها ، وكيف أكرمها وهي أسيرة حرب . والمعروف أنَّ الإنسان يكره من يخاصمه ويحقد عليه ولاسيّما إذا كان ضعيفاً ، وعائشة كانت في موقف ضعف وهزيمة ومغلوب على أمرها ، أسيرة بين يدي الإمام حتى قالت نادمة آسفة : (ليتني لم أكن وأخلق)[١] .

١ – محمد جواد مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ج١ ، ص ٣٧٤ .

وإنْ كان الإمام قد فضح دواخل المرأة ومن تبعها في بعض الخطب ، فإنَّه قد فعل مثل هذا وأكثر في خطب حلَّل فيها شخصية طلحة والزبير ومروان وأهل البصرة الذين وصفهم الإمام بأسوأ النعوت: ((**جُنْدَ الْمَرْأَةِ وأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ**..))، فهل أصبح علي بعد هذه الخطب عدواً للرجال أو مبغضـاً لأهل مدينة البصرة !؟.

ما كان علي وهو باب العلم ، أن يحكم على النساء ، كلّ النساء ، بسبب امرأة واحدة تلقب بصاحبة الجمل ، ويقيس النوع بالفرد ؟ إنَّ هذا منطق الجهلاء لا المعصومين والعلماء[١] .

وقد ذكر الإمام علي عليه السلام في بعض خطبه تخصيصـاً فقال : «**وأَمَّا فُلانَةُ فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ وضِغْنٌ غَلا فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ ولَوْ دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ ولَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الأولَى والْحِسَابُ عَلَى اللهِ تَعَالَى**»[٢] .

فعليٌّ خير من أعلن أنَّ للإنسان أحوالاً وأحوالاً ، تتباين بحسب المواقف والظروف والأشخاص، فهو لا يختصر أحوال النساء ومقامهن في حال واحدة ، بل حتى عائشة قيّمها بحسب الحالات المتباينة ، فهي

---

١ - محمد جواد مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ج١ ، ص ٣٧٤ .

٢ - محمد عبده ، نهج البلاغة / ج٢ ، ص ٤٨ .

معه في حال، لن تكونه مع غيره بالحال نفسه لأسباب واضحة عنده ومفهومة، فقال : «.. **ولَوْ دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ**» .

ومن الواضح أنَّ الإمامَ عليّـًا عليه السلام كان يرتجل الكلام في خطبه ومواعظه ، بل أنَّ بعض خطبه وليدة اللحظة والموقف، وربَّما بسبب حركة من أحد الحاضرين ، أو تعليق أو استفهام ؛ لذا ليس بغريب أن يأتي من أبي الحسن بضع خطب تفسر ظاهرة اجتماعيَّة وسياسيَّة وعسكريَّة ولكنها مرتبطة بذلك الموقف، كالتي كانت في حرب الجمل مثلاً ، فالمرأة هي القائد ، وليست أي امرأة، إنِّها زوج النبي وأم المؤمنين ، فمن المؤكّد أن يكشف الإمام عن حكمته البالغة في قضية خلقت بلبلة في عقول الرجال ، فتركتهم في أوضاع متباينة ما بين مناصر ومعادٍ ، ومسالم ومقاتل ، ومشارك ومنزو.

ولنأتي إلى **ما قاله الإمام علي عليه السلام في المرأة**[١] :-

١ – «وإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا والْفَسَادُ فِيهَا».

٢ – «الْمَرْأَةُ شَرٌّ كُلُّهَا وشَرُّ مَا فِيهَا أَنَّهُ لا بُدَّ مِنْهَا».

٣ – «غَيْرَةُ الْمَرْأَةِ كُفْرٌ وغَيْرَةُ الرَّجُلِ إِيمَانٌ».

٤ – «الْمَرْأَةُ عَقْرَبٌ حُلْوَةُ اللَّسْبَةِ».

---

١ – صبحي الصالح ، نهج البلاغة ، أنوار الهدى ، ط٤ ، مطبعة وفا ، ١٤٣١هـ .

٥- «خِيَارُ خِصَالِ النِّسَاءِ شِرَارُ خِصَالِ الرِّجَالِ: الزَّهْوُ والْجُبْنُ والْبُخْلُ. فَإِذَا كَانَتِ الْمَرْأَةُ مَزْهُوَّةً لَمْ تُمَكِّنْ مِنْ نَفْسِهَا، وإِذَا كَانَتْ بَخِيلَةً حَفِظَتْ مَالَهَا ومَالَ بَعْلِهَا، وإِذَا كَانَتْ جَبَانَةً فَرِقَتْ "فزعت" مِنْ كُلِّ شيء يَعْرِضُ لَهَا».

٦- «جِهَادُ الْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعُّلِ».

٧- من خطبة له عليه السلام بعد فراغه من حرب الجمل ، في ذم النساء وبيان نقصهن: «مَعَاشِرَ النَّاسِ إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الإيمَانِ نَوَاقِصُ الْحُظُوظِ نَوَاقِصُ الْعُقُولِ فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ الصَّلاةِ والصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ وأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ امْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ وأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى الأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ الرِّجَالِ فَاتَّقُوا شِرَارَ النِّسَاءِ وكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ ولا تُطِيعُوهُنَّ فِي الْمَعْرُوفِ حَتَّى لا يَطْمَعْنَ فِي الْمُنْكَرِ»[1] .

٨- وقال عليه السلام في وصيته لابنه الحسن عليه السلام بعد انصرافه من صفين: «وَإِيَّاكَ ومُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ وعَزْمَهُنَّ إِلَى وَهْنٍ واكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ ولَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لا يُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ وإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلا

١- صبحي الصالح ، نهج البلاغة ، أنوار الهدى ، ص ١١٨ .

يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ ولا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ ولَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ ولا تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا ولا تُطْمِعْهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ لِغَيْرِهَا وإِيَّاكَ والتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى السَّقَمِ والْبَرِيئَةَ إِلَى الرِّيَبِ».

٩- ومن وصية للإمام علي عليه السلام لعسكره قبل لقاء العدو بصفين : **«ولا تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذًى وإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى والأَنْفُسِ والْعُقُولِ إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ وإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالْفَهْرِ (حجر يدق به الجوز) أَوِ الْهِرَاوَةِ (العصا) فَيُعَيَّرُ بِهَا وعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ»**[١] .

١٠- وهناك كلام له عليه السلام : **«إذا بَلَغَ النِّسَاءُ نَصَّ الحِقَاقِ فالعَصَبَةُ أوْلى»**[٢] .

١١- ومن كلام له عليه السلام في ذمِّ أهل البصرة بعد حرب الجمل ، أشار إليهم بالقول : **«كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ وأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ ، رَغَا فَأَجَبْتُمْ ، وعُقِرَ فَهَرَبْتُمْ ، أَخْلاقُكُمْ دِقَاقٌ ، وعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ ، ودِينُكُمْ نِفَاقٌ ، ومَاؤُكُمْ زُعَاقٌ...»**[٣] .

١- نهج البلاغة نبراس السياسة، ص ٢١٦ .

٢- صبحي الصالح ، ص ٦٥١ .

٣- صبحي الصالح ، ص ٤١ .

من الأقوال السابقة ، نجد أنَّ الإمامَ عليّاً عليه السلام يتحدث عن نوع من النساء يجب الحذر منه، فهو يُحذِّر من المرأة المنحرفة التي تعمل بهواها من دون التقيّد بمبدأ، فإذا تركت هذه المرأة عقلها جانباً، وألقت أوامر الشرع وراء ظهرها، لم يعد لها من همٍّ في الحياة غير زينتها وزخارفها، والانسياق وراء شهواتها فتصبح جديرة بوصف الإمام لها، وعندها تُصبح المرأة شراً كلّها، على الرغم من حاجة الرجل إليها[١] .

وفي حكمة أخرى يبيّن الإمام عليه السلام جانباً من نفسيّة المرأة الشريرة، التي دأبها أن تغدر بزوجها، في حين تظهر له حسن معاشرتها، فهي – هنا – كالعقرب التي تلدغ الإنسان بعد أن تعطيه الثقة والأمانة، فقال عليه السلام: «**الْمَرْأَةُ عَقْرَبٌ حُلْوَةُ اللَّسْبَةِ**».

إنَّ عناية المرأة بنفسها وزينتها لا يخرجها من دائرة الإيمان إنْ اتَّقت الله عز وجل، وصغت إلى نواهيه وزجره ، فلا تصبح عامل فساد في المجتمع ، كما أشار إليها الإمام عليه السلام. وأرى أنَّ هذه الكلمات هي من الغيبيات من أخبار الإمام بحق النساء في زماننا، إذ أصبحت الرقم الأول في الإفساد، في ظهورها وابتذالها في الصور والمجلات والإعلانات والأفلام والأغاني، حتى أنك لو أخفيت وجود المرأة من هذه الأعمال لخفَّ كثيراً عنصر الفساد.

---

١ – نهج البلاغة - نبراس السياسة ...، ص ٢١٧ .

وقد أشار المفكر الإسلامي المرحوم محمد جواد مغنية إلى هذا المعنى في تفسيره لهذه الحكمة بالقول: ((كان المجتمع القديم يحرّم على المرأة أنْ تسهم مع الرجل في كثير من شؤون الحياة ، ويفرض عليها ألوانـًا من التحريمات، ويسمح لها بما يتلاءم مع طبعها كالزينة وجر الذيول ، ولكن في بيتها وساحة منزلها .. ومضت الأيام ، وتغيّر الزمان ، وقنصت المرأة (حقوقها) من الرجل .. وتطورت الزينة مع الزمن حتى صارت علمـًا ، فخبراء لأزياء الملابس وكعوب الأحذية ، وآخرون لصف الشعور ، ورجال للتدليك والمكياج ، وتمرينات من أجل الرشاقة ونحافة الخصور ! .. وهكذا ظهرت المرأة – في عصر الثورة والحرية – على طبيعتها من الاهتمام بزينة الحياة الدنيا ، وتجاوزت من أجلها كل حد ، وإلى هذا التجاوز أشار الإمام بكلمة الفساد ..))[1] .

١ – محمد جواد مغنية ، في ظلال نهد البلاغة / ج٢ ، ص ٣٨٤ . مع الأخذ بنظر الاعتبار أن هذا الكلام ساقه المؤلف عن حال النساء في بدايات السبعينات من القرن المنصرم ، ولـم تنظر عينيه ما وصل إليه حال المرأة والنساء في زماننا هذا ، حيث العري هو التقدم ، والانفلات هو الحرية ، والتعفف والحجاب يوصم بالتخلف ومانعـًا للتفكير !؟! وقد قال الإمام علي عليه السلام في مستدرك نهج البلاغة ص ١٧٦ :" يظهر في آخر الزمان واقتراب الساعة – وهو شر الأزمنة – نسوة كاشفات عاريات ، متبرجات خارجات من الدين ، داخلات في الفتن ، مائلات إلى الشهوات ، مشرعات إلى اللذات ، مستحلات للمحرمات ، في جهنم خالدات" .

وقد توسَّع علماءُ الدين والفكر في تناول وشرح ما جاء في كلام الإمام علي عليه السلام في المرأة وأحوالها وكيفيَّة التعامل معها، ومع ذلك تبقى قضية (نقص النساء) مثيرة للجدل، فبعض النساء يتهمن الإمام بالتحامل على المرأة؛ لأنَّه وسمها بالنقص. ولكنَّ كلام أبي الحسن واضح لا لبسَ فيه لمن أراد الفهم والتعلم، فكلامه في المرأة مرتبط بمواقف معينة وظروف خاصة، وليس صحيحا إعمامه على المرأة في جميع أحوالها، وإذا كانت كلمة النقص قد أثارت الحفيظة فعلينا أن نضع في الحسبان أنَّ كل شيء لا يملكه الإنسان هو نقص فيه[١] .

وقد **حدَّد الإمام علي عليه السلام نقص المرأة في ثلاثة مجالات** هي:

(نقص العقول، ونقص الحظوظ، نقص الطهارة)، وأمَّا نقص الطهارة فقد عبَّر عنه الإمام بنقص الإيمان في قوله: «**إِنَّ النِّسَاءَ نَوَاقِصُ الإِيمَانِ**»؛ ذلك أنَّ العبادة التي هي لُبّ الإيمان لا تستقيم من دون طهارة ، فإذا كان الرجل يستطيع ممارسة العبادات في كلِّ وقت فإنَّ المرأة تقعد عن الصلاة والصيام في أيام الحيض، وأيام القعود تشغل ربع حياتها[٢] .

١- نهج البلاغة –نبراس السياسة ، ص ٢٢٣ .

٢- المصدر نفسه ، ص ٢٢٤ .

وهذا نقص تكويني من الخالق المبدع وليس نقصاً في الأهلية ، لأداء مهمة أخرى، فإنَّ حال الحيض لما تفرضه وظيفة المرأة المقدسة في الحمل والإنجاب والإرضاع ، فهو ليس منقصة للمرأة بل كرامة تعتز بها، ومكانة لا يزاحمها فيها الرجل، وبهذا تكون المرأة منجبة للأجيال وصانعة للأبطال وحاضنة للرسل والأنبياء والأتقياء .

لكنَّ العقولَ القاصرة والنفوس المريضة تترك اللب وتأخذ بالقشور، فلا توضح المقاصد العميقة لقول الإمام، وتثير زوبعة قصور المرأة إيمانياً للطعن في دورها الرسالي وواجباتها الدينية .

إن رأي الإمام عليه السلام وقوله هنا لا يخالف ما جاءت به السماء ، ولا يخالف رأي النبي صلى الله عليه وآله ، فرسول الله وصفها بالوصف الذي نعتها به الإمام، بل إن الإمام نقله بالحرف الواحد عن النبي ، فقد جاء في الجزء الأول من صحيح البخاري ، كتاب (الحيض) ، باب : ترك الحائض الصوم ، ما نصه بالحرف الواحد[١] : (خرج رسول الله في أضحى أو فطر إلى المصلى، فمر على النساء ، فقال يا معشر النساء تصدّقن فإني رأيتكن أكثر أهل النار، فقلن بمَ يا رسول الله ؟

١ – محمد جواد مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ج١ ، ص ٣٧٤ .

فقال : تكثرن اللعن ، وتكفرن العشيرة ، ما رأيت ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن . قلن له : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ قال : أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل ؟ قلن : بلى . قال فذاك نقصان عقلها ، أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟ قلن : بلى . قال ذاك من نقصان دينها) .... فإذا كان قول النبي في المرأة بوحي من الله فيجب أن يكون قول الإمام كذلك وهو ربيبه وتلميذه[١] .

وقال الشيخ محمد عبده رأيه في هذه الحكمة : (خلق الله النساء ، وحملهن على ثقل الولادة وتربية الأطفال إلى سن معين لا يكاد ينتهي حتى تستعد لحمل وولادة ، وهكذا فلا يكدن يفرغن من الولادة والتربية فكأنهن قد خصصن لتدبير أمر المنزل وملازمته وهو دائرة محدودة يقوم عليهن فيها أزواجهن ، فخلق لهن من العقول بقدر ما يحتجن إليه في هذا ، وجاء الشرع مطابقاً للفطرة فكن في أحكامه غير لاحقات للرجال لا في العبادة ولا الشهادة ولا الميراث)[٢] .

لقد وصم الإمام علي عليه السلام العديد من الرجال بضعف الإيمان والعقل ، وأسماهم بأشباه الرجال ، وكان من تقريعه لأهل البصرة أن

---

١ - محمد جواد مغنية ، في ظلال نهج البلاغة ، ج١ ، ص ٣٧٥ .

٢ - محمد عبده ، ج١ ، ص ١٢٩ .

وصفهم بالقول : «**كُنْتُمْ جُنْدَ الْمَرْأَةِ وأَتْبَاعَ الْبَهِيمَةِ...**» وبأنهم ضعاف العقول والدين والأخلاق ، فهم بلا عقل لأنهم أتباع البهيمة ، وهم بلا دين لأنهم منافقون ، وهم بلا أخلاق لأنهم نكثوا العهد[١] .

ولم يخالفِ الإمامُ علي عليه السلام قوله تعالى: ﴿**لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ**﴾[٢]، عندما ذكر نقص حظوظهن، ويقصد به حظ المرأة في الإرث، فنصيب النساء على الأنصاف من نصيب الرجال ، وهذا فيه تكريم كبير للمرأة . فعندما لم يطالب الإسلام المرأة بأية نفقة ، نراه يعطيها نصف ما يعطي الرجل، في حين يطالب الرجل بالإنفاق على أسرته ووالديه وعلى إخوته أيضـًا إن كانوا محتاجين ، فالتفريق في سهم الإرث إنما هو من مستلزمات التباين في الوظيفة والتكليف بين الرجل والمرأة . ولو أعطى الله المرأة كالرجل لكان ذاك ظلمـًا وجوراً . وهكذا نرى أن هذا النقص أيضـًا ليس مدعاة للحط من قيمة المرأة ، بل هو لتحقيق العدل والإنصاف، والتعادل بين الحق والواجب[٣] .

وأمَّا قضية نقص العقول فقد ورد الحديث عنها في موضع آخر من النهج ، وذلك في وصيته لعسكره قبل لقاء العدو في صفين، بعدم التعرض

---

١ – محمد جواد مغنية ، في ظلال شرح نهج البلاغة ، ج١ ، ص ١٢٥ .
٢ – سورة النساء، آية ١١ .
٣ – نهج البلاغة – نبراس السياسة ، ص ٢٢٥ .

للنساء بأذى وإن تفوهن بألفاظ السب والشتم يقول عليه السلام : «**ولا تَهِيجُوا النِّسَاءَ بِأَذًى وإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى والأَنْفُسِ والْعُقُولِ**».

وهذا قول حق ، فالمرأة تحكمها عاطفتها ، ومن صفة المرأة إذا أثيرت حفيظتها ، أنها تسترسل في التفوه بأنواع الكلام ، من دون أن تستطيع كبح جماح نفسها وعاطفتها؛ ولهذا السبب عدَّ الشارع المقدّس شهادة المرأتين كشهادة الرجل الواحد؛ لأنَّ المرأة بدافع عاطفتها الغالبة عليها يمكن أن تحور مضمون الشهادة فتخرجها عن حقيقتها فضلاً عن أنَّها كثيرة النسيان، ولا ينفي ذلك تمتع العديد من النساء بعقول ناضجة قد تفوق عقول الرجال.

والأمثلة على ذلك كثيرة في التاريخ الإنساني والإسلامي ، فها هي المرأة المخزومية التي ناقشت عمر بن الخطاب في مهر النساء فأفحمته حتى قال : ألا تعجبون من إمام أخطأ وامرأة أصابت ، فاضلت إمامكم ففضلته ؟! ، وهناك العديد من الأمثلة ذكرها ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة تعالج هذا الأمر .

وغلبة العاطفة على المرأة وأحكامها أمر لا يبتعد عن الحقيقة ، ولا يوجب النفور أو العتب ، ومن هذا المنطلق نهى النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن إمارة النساء ، لأنها إذا حكمت تحكم لهواها ، فتشيع في الأرض الفساد ، وهذا

من علامات آخر الزمان وقيام الساعة . قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (إذا كان أمراؤكم أخياركم ، وأغنياؤكم سمحاكم ، وأمركم شورى بينكم ، فظهر الأرض خير لكم من بطنها . وإذا كان أمراؤكم أشراركم ، وأغنياؤكم بخلاؤكم وأمركم إلى النساء ، فبطن الأرض خير لكم من ظهرها)[١] .

فللمرأة وظيفتها الربانية التي خلقت لها وأبدعت فيها ، إذ يؤكد الإمام عليه السلام في قول آخر له أن وظيفة المرأة هي في ممارسة الأعمال المناسبة لها ، فهي لم تخلق لتحمل المسؤوليات الشائكة والأعمال التي تضر بأنوثتها بل خلقت لتظل وردة جميلة وريحانة عطرة لأهلها وأسرتها، فقال عليه السلام : «**ولا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ**»، وفي هذا رفق كبير بالمرأة يتناسب مع رقتها وأنوثتها ولا يزيدها أعباء فوق أعبائها .

عبَّر الإمام عليه السلام خير تعبير عن حالات المرأة وأوضاعها وأصنافها ، ولم يبخل عن إسداء بعض الإرشادات الضروريَّة للرجال ، في كيفية معاملة نسائهم والحفاظ عليهن ، فالمرأة التي تنساق عادة وراء عاطفتها ، يجب أن تكون في ظل رجل يصونها ، ويمحضها النصيحة والرأي الصائب ، الذي يجعلها تفوز بسعادة الدنيا والآخرة .

---

١ - نهج البلاغة – نبراس السياسة ، ص ٢٢١ .

ومن هنا يأتي قول الإمام علي في آخر وصيته التي كتبها لابنه الحسن عند انصرافه من صفين : «**إِيَّاكَ ومُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ**»، ولكن هذا لا يعني انتفاء وجود نساء أرجح عقلاً وأقوى عزيمة من الرجال ، فإذا كانت المرأة ذات رأي قويم وعزم قوي فلماذا لا يشاورها الرجل ، ولا يمكنها بجسيم المهمات والأعمال ؟ وها هي مولاتنا سيدة الأحزان العقيلة زينب بنت علي عليهما السلام قد كلفها أخوها الإمام الحسين عليه السلام بجسيم المهمة من بعده في كربلاء ، بأن تتابع نهضته الرسالية ، وأن تبين للملأ أهدافها ومراميها ، فقامت بذلك بكل ثبات ورباطة جأش ، وحمت ابن أخيها الإمام زين العابدين عليه السلام وجميع السبايا ، فكانت بذلك (بطلة كربلاء)[1] ، وأمثولة الإباء .

والتباين في الأحوال ما بين امرأة وأخرى ، وظرف وآخر ، ينعكس كذلك على مسألة الحجاب والتستر ، فإن كان الإمام عليه السلام قد قال : «**واكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ**» فهو يتبع خطى الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وتعاليم القرآن الحكيم الذي جاء فيه : «**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ**»، وقال سبحانه في حجاب الرأس : «**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ**

١ - نهج البلاغة – نبراس السياسة ، ص ٢١٩ .

وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ»[1] . وجاء هذا النص موظَّفـًا في كلام الإمام علي: «**وإِنِ اسْتَطَعْتَ أَلا يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ**».

وعلى الرغم من أنَّ الخطاب في هذه الوصية موجّه إلى الإمام الحسن عليه السلام ولكنه كلام خاصّ يُراد به عموم المسلمين؛ لأنَّ عقيلات ونساء أهل البيت كن أشد الناس تمسكـًا وتطبيقـًا لتعاليم الشريعة . وقد ذكرنا رواية ابن شهر آشوب في المناقب أنَّ النبي صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام : ((أي شيء خير للمرأة ؟ قالت : أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل . فضمَّها إليه وقال : ذرية بعضها من بعض)).

وقد أثر عن العقيلة زينب عليها السلام أنها كانت لا تعرف من باب دارها غير وجهه الداخلي ، وكانت عندما تضطر إلى مغادرة بيتها ، تخرج ليلاً محجبة ومعها الحسن عليه السلام عن يمينها، والحسين عليه السلام عن شمالها ، وأبوها أمير المؤمنين أمامها . وهكذا كانت مولاتنا سكينة بنت الحسين عليهما السلام شبيهة بجدتها فاطمة الزهراء عليها السلام ، فكانت منقطعة إلى العبادة ودائمة الاتصال مع الله عز وجل ، لا تغادر بيتها ، ولا تلتفت عن مسجدها ، حتى أنه لما خطبها ابن عمها الحسن المثنى بن الإمام الحسن،

١- سورة الأحزاب : ٥٩ .

قال له أبوها الحسين عليه السلام : ((أعطيك فاطمة ابنتي فهي كأمي الزهراء في العبادة ، أمَّا سكينة فلا تصلح لرجل ، لأنها غالب عليها الاستغراق مع الله))[١].

وعلى الرغم من كلِّ هذا التبتل في حب الله وطاعته ، إلّا أن المقامات والأحوال تختلف ، فيفرض الواقع الموضوعي على المرأة أن تقف مع الرجل جنباً إلى جنب لتسجل موقفاً بطولياً ورسالياً يدفع إليه التكليف الشرعي وضرورة الحفاظ على حياة الإسلام وعلى حيويته، وعلى حدوده وثغوره، وهذا ما كان من مولاتنا فاطمة الزهراء عليها السلام ومن بعدها ابنتها العقيلة زينب عليها السلام وسواهن من عقائل الرسالة يشاركن في تسجيل مواقف رسالية وسياسية علنية وفي ملأ من الناس مع عدم التخلي عن الالتزام بالحجاب وعدم الإخلال به.

وهنا أذكر قولاً لمعاوية أشار فيه إلى خروج الزهراء عليها السلام وكأنَّه يُعيب على الإمام علي عليه السلام هذا الموقف.

ففي كتابه إلى الإمام نقله اليعقوبي أشار إلى : (وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار ويداك في يدي ابنيك الحسن والحسين يوم

١ - نهج البلاغة –نبراس السياسة ، ص ٢٣٠ .

بويع أبي بكر الصديق فلم ترع أحداً من أهل بدر والسوابق إلا دعوتهم إلى نفسك وميت إليهم بامرأتك وأدللت إليهم بابنيك ..)[١] .

وما معاوية بأعرف من أمير المؤمنين بواجبات السماء . وما هو بأحرص منه بحفظ العقائل ، وما كان خروج الزهراء مع علي مناصرة له إلا لإلزام المسلمين الحجة في تركهم وصية النبي المصطفى في خلافة ابن عمه المرتضى .

إنَّ نظرة الإمام علي عليه السلام هي عين نظرة الإسلام، وذات نظرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فهو الذي تربى في أحضان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وزقه العلم زقـًا ، حتى أصبح باب مدينة العلم ، وهو إمام الإنسانيَّة والرحمة ، فمما يجافي العقل أن نتصور تحامل له على المرأة أو غيرها يميل لهوى شخصي ، أو تقبيح لموقف شرس آذاه .

لقد كان سيد الأوصياء علي عليه السلام دقيقـًا في وصفه دقيقـًا في كلمه ، مراعيـًا لربه في أقواله وأفعاله ، فها هو لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أوصى بها ، ومن هنا كانت وصيته في نسائه اللاتي تركهن بعده ، فيذكرهن بالقول: (ومن كان من إمائي ، اللاتي أطوف عليهن ، لها ولد ، أو هي حامل ،

١ – علي الأحمدي الميانجي ، ص ١٩٤ . نقلاً عن تيسير الوصول ، ج ٢ ، ص ٤٦ .

فتمسك على ولدها ، وهي من حظه ، فإن مات ولدها ، وهي حية فهي عتيقة ، قد أخرج عنها الرق ، وحررها العتق)[١] .

رعى الإمام علي المرأةَ وحافظ على حقوقها، وحفظ لها مكانتها ولننظر بتمعن في أقواله للزهراء عليها السلام في حياتها ومرضها وعند دفنها وبعد رحيلها ..، كيف احتلت المكانة الكبيرة في نفسه وحياته ؛ لذا كان علي حاضراً في أقوال النسوة وبلاغاتهن حتى بعد رحيله ، فماذا قلن النساء في علي.

١- صبحي الصالح ، ص ٤٨١ .

علـي في بلاغـات النسـاء

كما كانت المرأة حاضرة في أقوال وخطب الإمام علي عليه السلام ، كذلك كان علي حاضراً في خطب النساء وبلاغتهن التي نقلتها لنا المراجع التاريخيَّة .

إنَّ التأكيد على خطب النساء أو بلاغاتهن هنا لتوضيح ما لهذه الوسيلة التوثيقية من أهمية في حفظ وقائع تاريخيَّة حدثت في زمن غير زماننا ، فضلاً عن ذلك فإنَّ الخطبة كانت تعدّ الوسيلة الإعلاميَّة الأكثر تأثيراً في نفوس المتلقين آنذاك، فالعرب بوصفهم كيانـاً مجتمعيّـًا ، وحضارة حية ، اعتزوا بالكلمة وإلقائها ، وكانت مشاهدهم ووقفاتهم الحاسمة تؤطرها خطب وأشعار تلقى فتبين الهدف من الجمع أو المشهد، ثم تثير المشاعر وتخطف العقول بأفكار تصوغها كلمات تتناقلها فيما بعد الأفواه إلى أبعد مدياتها ، فتصبح وثيقة حية لا تموت، تؤطر حياتهم وما مر بهم من وقائع .

وحيثما كانت الكلمة لها هذا الوقع المبين في أنفسهم فإن الله عز وجل قد أنزل عليهم معجزة نبيهم من لدنها ، فكانت كلمات معجزات في كتاب معجز منزل من السماء اسمه القرآن .

وسوف نتناول في بحثنا هذا بلاغات النساء من خطب ذكرت الإمام علي عليه السلام وما له من فضل وأسبقية في الإسلام ، وسنسلط الضوء على خطب سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء التي بيّنت فيها خصال أبي الحسن وانتصارها له ، مع بعض خطب للوافدات على معاوية ممن اشتملت كلماتهنّ على شهادات لفظية راقية حفظت للإمام علي عليه السلام إمامته ووصايته بعد النبي ، وأبانت مدى الاعتزاز والتقدير الذي أكنته قلوب هذه النسوة إزاء علي في حياته وبعد استشهاده .

كان علي حاضراً في خطب وأقوال الزهراء عليها السلام تصريحاً وتلميحاً ، في دفاعها عنه وعن حقه في الخلافة بعد النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، وكذلك كان حاضراً في خطب من صاحبه ومن أحبه ، لا أحد يستطيع نكران فضله وسمو خصاله وتعدد فضائله .

ولو تفحصنا خطب الوافدات على معاوية لوجدنا كماً من الأقوال البلاغيَّة ، جاءت على ألسن أنطقها الحق ولم تأخذهن فيه لومة لائم ، فلم يمنعهن الخوف من جور سلطان معاوية غريم علي وقاتله ، أن يذكرن لأبي الحسن بعض من فيض محاسنه . فقد لاحق معاوية كل أصحاب علي ومريديه وقتلهم شر قتلة ، وهم المتبتلين في حب علي ، ذاك النور المحمدي الحاضر بينهم وإن غاب عنهم ، وما خطبة ضرار فيه ببعيدة عن الأذهان .

ويبقى للنساء شرف الوقوف هذا الموقف المبدئي من الإمام علي عليه السلام ، والقائلات فيه مقالة أرَّختها صفحات التاريخ ، ووثقتها الكتب والمراجع ، فأصبحت من درر الكلم ومأثور القول .

إنَّ هذه الخطب هي وسيلة إعلاميَّة، ورسائل إعلاميَّة فائقة الأهمية نشرها معاوية رغمـًا عنه ، ومن دون أن يدري إن استنطاقه لهؤلاء النسوة ، إنما كان يسجل شهادات تقدير (رسمية) تاريخية بحق علي.

أمَّا الزهراء عليها السلام فقد قدمت دوراً إعلاميـًا متميزاً بإلقاء خطبتها في المسجد النبوي الشريف ، ومن ثم أقوالها لمن زارها من النساء في بيتها بعد احتجابها عن المجتمع الظالم لها ، وهي دائمة التذكير بحق زوجها قائلة : (ما صنع أبو الحسن إلا ما كان ينبغي له أن يصنع ... ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم)[1] .

إن موقف الزهراء عليها السلام ، السياسي – الإعلامي في توضيح (ما هي الإمامة) في ذاك اليوم وفي تلك الخطبة العصماء هو موقف عظيم ، فهي عليها السلام لم تكن معزولة عن حركة المجتمع، ولا عن تداعيات الموقف، وقضايا العدل والظلم ، بل كانت تشارك مشاركة حقيقية ، بحسب ما قدر لها ، فهي على الرغم من أنها عليها السلام ابنة رسول الله صلى الله عليه وآله ، وزوجة علي عليه السلام

١ – مريم فضل الله ، ص ٢١٠ .

وسيدة نساء العالمين وأطهر النساء ، وأبعدهن عن الدنس ، وتتمثل فيها كل صفات الكمال ، لكنها لم تتخل عن مسؤولياتها عندما واجهت الانحراف والظلم ، فقد كانت عليها السلام على استعداد لتحمل كل المحن والأذى[١] .

فالزهراء عليها السلام في وقفتها تلك لم تكن راغبة في الظهور إلى العلن لمجرد الظهور، بل إنها كانت عازفة عن كل الخلق لجثوم حزنها على أبيها المصطفى على قلبها ، وانذهالها عن الحياة ومباهجها ، وركونها إلى سكب الدمعة في بيت الأحزان .

وأمسكت الزهراء صامتة لا تعقب ، ومضت أيام بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وهي في عزلة عن الناس ، لا تنشط للنضال عن ميراثها الذي أباه عليها أبو بكر ، وهل أبقى لها الحزن من قوة تسعفها على نضال ..؟ تظل منطوية على جراحها وحزنها ، لو لم يدعها الواجب ، أن تؤدي حق زوجها وولديها عليها ، فتسعى في رد الأمر إلى أهل بيت الرسول[٢] .

عرفنا ما كانت عليه الزهراء عليها السلام من خشونة الحياة وشظف العيش ،

١- محمد باقر الحكيم ، الزهراء عليها السلام ..، ص ٤٢ .

٢- ذكر تفاصيل هذه الأحداث ، ابن سعد في طبقاته / ج٢ ، ص ٦٠ وما بعدها ؛ وكذلك البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة وابن حنبل .

وكانت الدنيا في عينيها أحقر من ذبابة طفيلية تنظر إليها باشمئزاز ، ولهذا كانت أكبر من أن تنازع ، أو تخاصم أحداً لأجل الإرث المادي وغيره من متاع الدنيا ، فهي تعلم علم اليقين بأن حياتها قصيرة لا تبقى بعد أبيها إلا أياماً معدودات كما أخبرها النبي بذلك[١] .

ولكن الزهراء عليها السلام كان لابد لها من هذه الوقفة ، ولولا موقفها في ذلك اليوم المشهود ، إلى جانب أمير المؤمنين عليه السلام لكان من الممكن أن تخفى الإمامة على الأجيال التي جاءت بعد علي عليه السلام . وتتشوه الحقائق وتتغير ، ولولا إكمالها دور علي عليه السلام في ذلك اليوم ، لكان من الممكن اختفاء حقيقة وصاية علي وولايته على كل المسلمين في الأجيال اللاحقة للرعيل الأول . لقد كان للزهراء في خطبتها وأقوالها تلك دور عظيم في حفظ الإسلام ، والحقائق الإسلاميَّة ، والمنهج والمذهب الصحيح الذي توارثته الأجيال عن أهل البيت عليهم السلام [٢] . وهذا الدور شبيه إلى حد كبير ، بتكاملية الدور الرسالي الذي وقفه أبناؤها من بعدها (الحسين وزينب عليهما السلام) في كربلاء ، ولولا هذا التكامل في الأدوار لم يحفظ الدين، ولم يبق.

١- مريم فضل الله ، ص ٢١٣ .

٢- محمد باقر الحكيم ، ص ٤٢ .

ها هي فاطمة الزهراء عليها السلام تخاطب أبا بكر موضحة منزلتها ومنزلة زوجها علي من الرسول إن أنكروا أو تجاهلوا بالقول : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم فإن تعرفوه تجدوه أبي دون آبائكم وأخا بن عمي دون رجالكم)[١] . ثم تأخذ في تبيان حسن بلاء أبي الحسن عليه السلام في الحروب التي خاضها النبي والمسلمون قائلة : (كلما حشوا ناراً للحرب أطفأها ونجم قرن الضلال وفغرت فاغرة من المشركين قذف بأخيه في لهواتها ، فلا ينكفئ حتى يطأ حماقها بأقمصه ويخمد لهبها بحده مكدوداً في ذات الله قريباً من رسول الله سيداً في أولياء الله وأنتم في بلهنية وادعون آمنون)[٢] .

ومن بعد إظهار الزهراء عليها السلام لموقف علي في الحرب وموقفهم ، تعرج على انكفائهم وانقلابهم عن الرسول بعد موته بلحظات ، قائلة : (هذا والعهد قريب والكلم رحيب والجرح لما يندمل) مشيرة بذلك إلى ما كان منهم عند وفاة النبي صلى الله عليه وآله ، فإنهم انصرفوا عن غسله إلى تنصيب خليفة عليهم يلي أمورهم بعد النبي ولم يشتغل بغسله وتكفينه إلا علي وآل البيت عليهم السلام .

---

١ - أحمد بن أبي طاهر طيفور ، بلاغات النساء ، ص ٢٤ .

٢ - المصدر نفسه .

ويذكر زيد بن علي عن عمته زينب بنت الحسين عليهما السلام رواية مشابهة لهذه الخطبة وظروفها بالقول : (لما بلغ فاطمة عليها السلام إجماع أبي بكر على منعها فدك لاثت خمارها وخرجت في حشدة نسائها ولمة من قومها تجر أذراعها ما تخرم من مشية رسول الله صلى الله عليه وآله شيئـًا حتى وقفت على أبي بكر وهو في حشد من المهاجرين والأنصار ، فأنت أنة أجهش لها القوم بالبكاء[١] .

إنَّ الزهراء عليها السلام ما أرادت إلا أن تلقي برسالتها الإعلامية المتكاملة الأركان ، البينة في حججها على ملأ من الناس ، وأكبر جمع من المستمعين لها ، لتكون حجة على من أصغى إليها وتلقى الرسالة ، وأن تضمن وصولها إلى أكبر عدد ممن حضرها ولم يحضرها . فقد كان لها أن ترسل الإمام علي عليه السلام في طلب أبي بكر ومن التف حوله في إمضاء أمره ، وتسلمه رسالتها إليه ، ولكنها أعطت درسـًا تاريخيـًا في ضرورة إظهار الحق والصدع به إينما كان ، بأسلوب الإعلان والإعلام لأكبر عدد من المتلقين ، حتى إنها عليها السلام كانت غالبـًا ما تلتفت إلى أهل المجلس[٢] مخاطبة لهم ومذكرة بواجباتهم ومواقفهم من الرسول والرسالة المحمدية.

---

١ – ابن طيفور ، ص ٢٦ .

٢ – المصدر نفسه ، ص ٢٨ .

فهي القائلة لهم : (ثم انتم عباد الله نصب أمر الله ونهيه وحملة دينه ووحيه وأمناء الله على أنفسكم وبلغاؤه إلى الأمم زعمتم حقاً لكم الله فيكم عهد قدمه إليكم ونحن بقية استخلفنا عليكم ومعنا كتاب الله بينة بصائره ..)[١] ، أي زعمتم أن لكم حقاً في الخلافة أو في منعنا الإرث فأين عهد الله لكم بذلك ؟!

أو تقول لهم (معاشر المسلمة المسرعة إلى قبل الباطل المغضية عن الفعل الخاسر..) أو قولها للأنصار: (معاشر النقباء وأعضاء البقية وأنصار الدين والملة وحضنة الإسلام ، ما هذه الغميزة في حقي والإعراض عن ظلامتي ؟ أما كان رسول الله ﷺ أبي يقول : المرء يحفظ في ولده؟... إيها بني قيلة[٢] أهظم تراث أبي وأنتم بمرأى مني ومسمع..)[٣] .

إنَّ الزهراء عليها السلام وهي الشمس المشرقة في المجتمع وغير المخفية شخصها الكريم عن الحضور ، ما كنت تبدأ خطبتها – رسالتها الإعلامية إلا بالتعريف هكذا: (أيها الناس أنا فاطمة وأبي محمد ﷺ..)[٤]. و(..بلى قد تجلى لكم كالشمس الضاحية أني ابنته)[٥] .

---

١ -. ابن طيفور ، ص ٢٨ .

٢ - وهما قبيلتا الأنصار : الأوس والخزرج .

٣- ابن شهر آشوب ، المناقب / ٢ ، ص ٢٣٥ .

٤ - المصدر نفسه ، ص ٢٩ .

٥ - محمد جواد الطبسي ، ص ٢٤٦ .

وها هو أبو بكر يرد عليها مؤكداً صدق كلامها وحججها التي أوردتها قائلاً لها : (.. كان أباك دون النساء وأخا ابن عمك دون الرجال آثره على كل حميم وساعده على الأمر العظيم ، لا يحبكم إلا العظيم السعادة ولا يبغضكم إلا الرديء الولادة وأنتم عترة الله الطيبون وخيرة الله المنتخبون على الآخرة أدلتنا وباب الجنة لسالكنا وأما منعك ما سألت فلا ذلك لي ...)[١] .

هذه الخطبة العصماء وإن كنا اعتمدنا على ما رواه ابن طيفور وابن شهر آشوب إلا أنَّ الخطبة رواها آخرين منهم : الجوهري[٢] ، والمسعودي في مروج الذهب ، وابن أبي الحديد[٣] ، والأربلي[٤] ، والسيد المرتضى في الشافي ، والعلامة المجلسي[٥] ، والطبرسي[٦] ، والطوسي[٧] ، والطبري[٨] .

---

١ – ابن طيفور ، ص ٣١ .

٢ – السقيفة : ص ٩٨ .

٣ – شرح نهج البلاغة / ج١٦ ، ص ٢١١ .

٤ – كشف الغمة / ج٢ ، ص ١٠٥ .

٥ – بحار الأنوار / ج٨ ، ص ١٠٥ .

٦ – الاحتجاج / ج١ ، ص ١٣١ .

٧ – أمالي الطوسي ، ص ٦٨٠ .

٨ – دلائل الإمامة، ص٣٠. نقلاً عن: محمد جواد الطبسي، حياة الصديقة، ص٢٤٢ وما بعدها.

إن فاطمة الزهراء عليها السلام عندما تضع صنائع الإمام علي عليه السلام أمام أعينهم في خطبتها تلك تنير في عقولهم دلالات المقارنة بينه والآخرين أينما كانوا ، وهي القائلة لهم : (قذف أخاه في لهواتها فلا ينكفئ حتى يطأ جماحها بأخمصه ويخمد لهبها بسيفه ، مكدوداً في ذات الله ، مجتهداً في أمر الله ، قريبـًا من رسول الله ، سيداً في أولياء الله ، مسمراً ناصحـًا ، مجداً كادحـًا ، لا تأخذه في الله لومة لائم)[١] .

ولم تتوقفِ الزهراء عليها السلام عن الصدح بقول الحق في الوصي علي بن أبي طالب حتى بعد اعتزالها الناس ، فها هي أم سلمة دخلت عليها فقالت لها : كيف أصبحت عن ليلتك يا بنت رسول الله ؟ قالت : أصبحت بين كمد وكرب فقد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وظلم الوصي ، والله حجبه أصبحت إمامته مقتصة على غير ما شرع الله في التنزيل ، وسنها النبي في التأويل ، ولكنها أحقاد بدرية وترات أحدية كانت عليها قلوب النفاق مكتمنة لإمكان الوشاة فلما استهدف الأمر أرسلت علينا شآبيب الأثار من مخيلة الشقاق، فيقطع وتر الإيمان من قسي صدورها ، وليس علي ما وعد الله من حفظ الرسالة وكفالة المؤمنين أحرزوا عائدتهم غرور الدنيا بعد انتصار ممن فتك بآبائهم في مواطن الكروب ومنازل الشهادات)[٢] .

١- دلائل الإمامة ، ص ٢٤٥ .

٢- ابن شهرآشوب ، المناقب ، ج ٢ ، ص ٢٣٤ .

إنَّ ابنة النبي عليها السلام تعلم علم اليقين إلى أين هي الأمور سائرة ، ولكنها في خطبها العصماء هذه ، وكلماتها الغراء ترسل لمن حولها ولمن جاء بعدها رسائلها الإعلامية ، التي تهدف إلى شرح الأسباب والدوافع وهي العارفة أنها لن تتلقى من الجموع التي استهدفتها رسالتها أي نصرة وهي القائلة لهم: (ألا وقد قلت الذي قلته على معرفة مني بالخذلان الذي خامر صدوركم واستشعرته قلوبكم ، ولكن قلته فيضة النفس ونفثة الغيظ وبثة الصدر ومعذرة الحجة..)[١] .

وهناك خطبة – رسالة إعلامية – أخرى للزهراء عليها السلام في ظلامة فدك وأهل البيت أوردها الطوسي في أماليه قال : هذا حديث وجدته بخط بعض المشايخ رحمهم الله ذكر أنه وجده في كتاب لأبي غانم المعلم الأعرج ، وكان مسكنه بباب الشعير ، وجد بخطه على ظهر كتاب له حين مات ، وهو أن عائشة بنت طلحة دخلت على فاطمة عليها السلام فراتها باكية ، فقالت لها: بأبي أنت وأمي، ما الذي يبكيك؟ فقالت لها صلوات الله عليها: (أسائلتي عن هنة حلّق بها الطائر وحفي بها السائر ، ورفع إلى السماء أثراً، ورزئت في الأرض خبراً ، إن قحيف تيم ، وأحيدك عديّ جاريا أبا الحسن في السباق ، حتى إذا تقربا بالخناق ، أسرّا له الشنآن وطوياه الإعلان)[٢] .

١- ابن طيفور ، ص ٢١ .

٢- عبد الكريم العقيلي ، ظلامات فاطمة الزهراء ، ص ١٠١ . نقلاً عن : الأمالي للطوسي : ١/ ٢٠٤ ح ٣٥٠ .

وبقيت أم الحسن عليها السلام تؤدي ما عليها من حق إزاء الإسلام ونبيه ووصيه حتى الرمق الأخير ، فلما مرضت عليها السلام المرضة التي توفيت بها دخل النساء عليها فقلت كيف أصبحت من علتك يا بنت رسول الله ، قالت : أصبحت والله عائفة لدنياكم قالية لرجالكم ...، ويحهم أنى زحزحزها عن رواسي الرسالة وقواعد النبوة ومهبط الروح الأمين الطبن[١] ، بأمور الدنيا والدين ألا ذلك هو الخسران المبين وما الذي نقموا من أبي الحسن نقموا والله منه نكير سيفه وشدة وطأته ونكال وقعته وتنمره في ذات الله ، ويا لله لو تكافئوا على زمام نبذه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لساربهم سيراً سجحاً لا يكلم خشاشة ولا يتعتع راكبه ولا وردهم منهاً رويًا فضفاضاً تطفح ضفتاه ولا صدرهم بطانا قد تحرى بهم الري غير متجل منهم بطائل بعمله الباهر وردعه سورة الساغب ولفتحت عليهم بركات من السماء)[٢] .

فالزهراء عليها السلام إذن لم تكن تطالب ببقعة من أرض اسمها فدك .. أو بإرث مادي ، وهي الزاهدة العابدة ، المنصرفة عن ملذات الدنيا ، بل كانت تطالب (بالحق) وإرجاعه إلى أهله الشرعيين ، فقد جعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الخلافة في علي بن أبي طالب زوجها[٣] .

---

١ - الطبن : لغة الفطين والطبنة : الفطنة جمع طِبن .

٢ - ابن طيفور : ص ٣٢ – ٣٣ .

٣ - مريم فضل الله ، ص ٢١٣ .

فقد أثبت جميع المؤرخين ، وأهل السير ، أن الزهراء سلام الله عليها لم تكن تهمها فدك أو غيرها مما تركه والدها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، بل كانت وقفتها تلك رسالة وجهتها إلى الأمة الإسلاميَّة وناقوس خطر دقته ، لضياع حق الإسلام والمسلمين في الحفظ قبل أن يكون حقها وحق زوجها علي عليه السلام .

أزالت الزهراء عليها السلام الغشاوة عن أعين من انقلب على عقبيه ، وهي عندما تلقي على مسامع النسوة هذه الموعظة الباهرة في توضيح سبب الانقلاب (وما نقموا من أبي الحسن) ؟! تساؤل استنكاري ، يستفز النفوس المؤمنة ليعيدها إلى الصواب ، فالإمام كما وصفته زوجته متنمراً في ذات الله ، لا على عيال الله وخلقه ، لقد زحزحوا الحق إذن عن آل بيت النبي أو بالأحرى عن علي الطبن بأمور الدنيا والدين والخبير بحال المسلمين وسبل إصلاحهم ..

قد قدمت الزهراء عليها السلام في خطبتها هذه صوراً رمزية وتصويرية واضحة الدلالة على الجانبين ؛ لو كان الوصي علي هو الخليفة المختار بعد النبي ، أو لم يكن ، كيف سيمسي حال الأمة الإسلاميَّة ، بأي بلاء سيبتلون إن نكصوا . في عبارات قل نظيرها في الخطب والأقوال كيف لا ؟ وهي سيدة النساء العاقلة الحكيمة ذات الفصاحة والبلاغة ، لم يجود مثلها في النساء .

قالت السيدة عائشة : (ما رأيت أحداً كان أشبه كلاماً وحديثاً برسول الله ﷺ من فاطمة)[١].

رأت فاطمة الزهراء عليها السلام قومها يستبدلون الذنابى بالقوادم[٢] والعجز بالكاهل ، فهل تتركهم يركنون إلى الذي هو أدنى دون الذي هو خير دون أن ترشدهم وتجزيهم النصح في بضع كلمات غرر أضحت خير مثال على رسالة متكاملة الخصائص أدتها بنت سيد البشر على أكمل وجه، فلم تدع لهم من منقذ للاعتذار .

ويمكننا الإشارة هنا إلى جملة نقاط امتازت بها هذه الوسيلة الإعلامية المتقدمة، منها :

١- كانت خطب الزهراء عليها السلام خير وسيلة للاعتراض والمعارضة ، فكانت راية رفعتها خفاقة في وجه المغتصبين حقها وحق زوجها علي وهي الحريصة على تضامن المسلمين ، وإعلاء كلمة الدين ، ولكن موقفها المتصلب هذا ، كان لابد منه لتبين للناس حق علي بالخلافة ، وتزيل الغشاوة عن أعين بعض المسلمين السابحين في لجج الضوضاء .

٢- مثلت خطبة الزهراء عليها السلام في المسجد النبوي الشريف نقطة

١- مريم فضل الله ، ص ٢١٥ .

٢- ابن طيفور ، ص ٣٣ .

التقاء وإصغاء لأكبر عدد ممكن من جمهور المسلمين ، جاؤوا لسماعها والإصغاء إلى ما ستقوله في مكان يعتبر مركز القيادة السياسية وأمام من وضع قائداً للدولة يحوطه جمع من أمراء القوم وأكابرهم .

٣- أذهلت خطبة الزهراء القوم بسعة أفقها وجزيل قولها وبلاغتها اللامتناهية ، والمستمدة عنفوانها وألقها وقوة حججها من آيات القرآن الكريم وأحاديث سيد الخلق ونبي الرحمة .

٤- كانت خطب الزهراء عليها السلام بحججها أمضى من حد السيف ، حيث كان الحق ينبلج من بين ثنايا الحروف والكلمات ، وكانت تركز في استشهاداتها إلى قول الله تعالى .

٥- بدت الزهراء عليها السلام كصاحبة قضية رأي عام ، كاملة السيطرة على الموقف الشعبي ، وقد أخذت بمجامع القلوب والأعين التي بكت لمقالتها ولتجسيدها كامل الحضور النبوي المفقود بينهم .

٦- كانت خطب الزهراء عليها السلام أداة إعلامية متكاملة الأداء والتأثير بمن حولها وسردت بوصف بلاغي معجز أحقية ومكانة ومزايا أبي الحسن زوجها وأخ الرسول وابن عمه وسانده وعضيد أمره في حياته وبعد وفاته .

٧- بلغت الزهراء عليها السلام في خطبتها الثانية للنساء أقصى درجة التحذير والتذكير واستشراف الآتي عندما أخذت بوصف الصفات القيادية

الربانية التي يمتلكها علي وكيف ستؤول الأمور بهم في الحالين .. ، لو كان علي خليفة لهم أو لا يكون ، فأعطت الدوافع والأسباب وخلصت إلى النتائج .

أضحى لموقف الزهراء عليها السلام ذاك ، امتداداته في التاريخ ، فتذكر لنا السير والمراجع التاريخيَّة ، وقفات مشرفة لنسوة حفظن للإمام علي عليه السلام ولائهن المطلق وألقين بشهاداتهن في مجلس معاوية غير آبهات بالعواقب!، وإذا كانت خطب الزهراء عليها السلام قد جاءت في حياة أبي الحسن عليه السلام فإن كلام وبلاغات تلك النسوة قد جاءت بعد وفاته .

قد جد معاوية في طلب محبي الإمام علي عليه السلام وتعقبهم وقتلهم شر قتلة ، انتقاماً منهم ، ولم تسلم من شره النساء ، عن العباس بن بكار[1] قال : حدثنا أبو بكر الهذلي عن الزهري وسهل بن أبي سهل التميمي عن أبيه قالا : لما قتل علي بن أبي طالب عليه السلام بعث معاوية في طلب شيعته فكان في طلب عمر بن الحمق الخزاعي فراغ منه فأرسل إلى امرأته آمنة بنت الشريد فحبسها في سجن دمشق سنتين ، ثم إن عبدالرحمن بن الحكم ظفر بعمر بن الحمق في بعض الجزيرة فقتله وبعث رأسه إلى معاوية وهو أول رأس حمل في الإسلام.

---

١ – ابن طيفور ، ص ٨٧ .

فلما أتى معاوية الرسول بالرأس بعث به إلى آمنة في السجن وقال للحرسي إحفظ ما تكلم به حتى تؤديه إلي وأطرح الرأس في حجرها ففعل هذا فارتاعت له ساعة ثم وضعت يدها على رأسها وقالت واحزنـًا لصغره في دار هوان وضيق من ضيمه سلطان نفيتموه عني طويلاً وأهديتموه إلي قتيلاً فأهلاً وسهلاً بمن كنت له غير قالية وأنا له اليوم غير ناسية) .

لقد لاحق معاوية أولئك النسوة ممن وقفن في صف الإمام في حياته وفي حروبه ، وأخذ يستجلبهن ويستنطقهن في مجلسه علهن يرجعن عن حبهن لعلي خوفـًا من سلطانه وحكمه تارة أو بالبذل لهن والبذخ عليهن تارة أخرى ، ولكن هيهات لقد استنطق معاوية النسوة فنطقن بما لا يرضيه ولا يسره وليسجل لهن التاريخ رسائلهن هذه التي بثت على الملأ ذاك الزمان وطبائع رجالاته، وحيثيات وقائعه، فكانت تلك الخطب والبلاغات من النسوة رسائل إعلامية أدت أفضل دور إعلامي لذاك العهد.

وقد ذكر ابن طيفور كلام لعدد منهن ، وهن ؛ أروى بنت الحارث بن عبدالمطلب رحمها الله ، وسودة بنت عمارة ، والورقاء بنت عدي ، وبكارة الهلالية ، وأم الخير بنت الحريش البارقية ، وآمنة بنت الشريد ،

وأم سنان بنت خيثمة بن خرشة ، وعكرشة بنت الأطش[١] ، والدارمية الحجونية ، وجروة بنت مرة بن غالب ، وأم البراء بنت صفوان ، ويزيد عليهن في العقد الفريد بن عبد ربه الأندلسي ، الذكوانية[٢] .

إن أبرز ما يميز هذا الكلام الذي أدلت به النسوة في مجلس معاوية هو:

١- إنَّ معاوية هو من سعى لرؤيتهن ، فمنهن من جيء بهن إلى مجلسه في الشام ، وبعضهن الآخر سأل عنهن وأمر باستقدامهن إليه في موسم الحج ، ولو قيض الأمر إليهن لما أحببن لقاءه . أنظر قول الزرقاء لموفد معاوية (إن كان أمير المؤمنين جعل الخيار إلي فإني لا آتيه ، وإن كان حتم فالطاعة أولى)[٣]

٢- أفصحت النسوة - من الوافدات على معاوية - عما في نفوسهن من حب ثابت لعلي وآل البيت وإيمان حقيقي بالله ورسوله ووصاياه للمؤمنين .

---

١ - أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، حققه وشرحه وعرف أعلامه/ محمد التونجي ، المجلد الثاني ، دار صادر ، بيروت – لبنان ، ص ٩٠ . [يذكر أن الاسم الأطرش وليس الأطش كما جاء في بلاغات ابن طيفور] ، ص ١٠٣ .

٢- أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، العقد الفريد ، ص ١٠٠ .

٣- هكذا أوردها الأندلسي ص ٨٧ . أما ابن طيفور فأوردها هكذا (إن كان أمير المؤمنين جعل المشيئة إلى لم أرم من بلدي هذا وإن كان حتم الأمر فالطاعة له أولى بي) ص ٥١ .

٣- أظهرت النساء في كلامهن بقاءهن على العهد ومبدئية موقفهن على الرغم من تغير السلطة والسلطان وتعاقب الولاة ، فلم يبدلن أبا الحسن بمعاوية رغم كرمه معهن وحسن وفادته لهن .

٤- أولئك النسوة كن طلائع لجموع من النساء المؤمنات اللواتي غمر ولائهن لولاية علي بن أبي طالب المجالس التي ضمت كل مبغض ومقاتل ومعادي لعلي من عمر بن العاص ومروان ابن الحكم وأمثالهم.

٥- ما يؤكد فاعلية هذه الرسائل الإعلامية وبعد أثرها في النفوس والتاريخ ، أن كل من كان في المجلس عند معاوية كان يحفظ كلام النساء في حب علي حتى معاوية نفسه رغم مرور السنين .

٦- كشفت خطب وبلاغات النساء خصال الجانبين ، ومن كان على الحق ومن اتبع الباطل منهم ، فأجزلن القول بحق علي وآل بيته ، وألبن الجموع على من عاداه حيـًا وميتـًا . وما خطبهن تلك إلا شهادات صدق تؤطر بالذهب المصفى وتعلق في ضمائر المؤمنين بأن علي كان دولة الحق التي أعقبتها دول الجور والظلم .

٧- التفاوت في ذكر هذه الشهادات بين مصدر وآخر يدلل على وجود الكثير منها ولكنها طمست ربما بقصد أو بغير قصد .

إنَّ أبرز ما اتسمت به أولئك النسوة هي الشجاعة والإقدام في حالتي السلم والحرب ، فلم ينكرن مواقفهن المشرفة في ساحات المعارك التي خاضها الإمام علي عليه السلام ، ولربما حاول معاوية أن يؤلب عليهن ، فيسأل أصحابه : (من منكم يحفظ كلام الزرقاء ، فقال القوم كلنا نحفظه)[١] ، أو يقول معاوية : (ولكني والله أحفظه لله أبوك لقد سمعتك تقولين أيها الناس إنكم في فتنة غشتكم جلابيب الظلم وجارت بكم عن قصد المحجة ، فيا لها من فتنة عمياء صماء يسمع لقائلها ولا ينظار لسائقها..)[٢] مما يؤكد عمق الأثر الذي تركته رسائل النسوة في تلك الجموع .

ولقد تكرر هذا القول من معاوية لكل واحدة من النساء المتكلمات عنده ، ها هي أم الخير بنت الحريش بن سراقة البارقية تقدم عليه (فأنزلها معاوية مع الحرم ثلاثاً ثم أذن لها في اليوم الرابع وجمع لها الناس فدخلت عليه فقالت : السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال وعليك السلام وبالرغم والله منك دعوتني بهذا الاسم ..) ثم سألها عن كلامها يوم قتل عمار بن ياسر .. ثم التفت إلى اصحابه فقال : (أيكم حفظ كلام أم الخير

١ – ابن طيفور ، ص ٥٠ .

٢ – المصدر نفسه ، ص ٥١ .

قال رجل أنا أحفظه يا أمير المؤمنين كحفظي سورة الحمد ، قال هاته ..) فأخذت تؤلب الجموع بين الصفين في المعركة وتعدد صفات الإمام علي عليه السلام ... : (هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل والوصي الوفي والصديق الأكبر إنها إحن بدرية وأحقاد جاهلية وضغائن أحدية وثب بها معاوية حين الغفلة ليدرك بها ثارات بني عبد شمس[١] ثم قالت : قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون .. فإلى أين تريدون يرحمكم الله عن ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصهره وأبي سبطيه ؟[٢] خلق من طينته وتفرع من نبعته ، وخصه رسول الله بسره وجعله باب مدينته وأبان ببغضه المنافقين ، وها هو ذا مفلق الهام ومكسر الأصنام صلى والناس مشركون وأطاع والناس كارهون ، فلم يزل في ذلك حتى قتل مبارزي بدر وأفنى أهل أحد ، وهزم الأحزاب، وقتل الله به أهل خيبر، ومزق به جمع هوازن، فيا لها من وقائع زرعت في قلوب نفاقاً وردة وشقاقاً وزادت المؤمنين إيماناً . وقد اجتهدت في القول وبالغت في النصيحة وبالله التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله)[٣] .

١- ابن عبد ربه الأندلسي ، ص ٩٤ .

٢- وزوج ابنته وأبي ابنيه .. هكذا وردت في ابن طيفور ، ص ٥٧ .

٣- ابن عبد ربه الأندلسي ، ص ٩٥ .

فلا يتمالك معاوية نفسه أن يقول لها : يا أم الخير ، ما أردت بهذا الكلام إلا قتلي ، ولو قتلتك ما حرجت في ذلك .. فما كان جواب أم الخير على تهديد معاوية لها بالقتل .. قالت له : والله ما يسوءني أن يجري قتلي على يدي من يسعدني الله بشقائه[١] .

إن هذا التفاني في حب علي هو قاسم مشترك لكل الوافدات على معاوية ، فها هو معاوية يقول للزرقاء بت عدي بعد تذكيره بخطبتها الشهيرة يوم صفين ...: والله يا زرقاء لقد شركت علياً عليه السلام في كل دم سفكه فقالت : أحسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين وأدام سلامتك مثلك من بشر بخير وسر جليسه قال لها وقد سرك ذلك قالت نعم والله لقد سرني قولك فأنى بتصديق الفعلّ فضحك معاوية وقال والله لوفاؤكم له بعد موته أعجب من حبكم له في حياته)[٢] .

إن كل امرأة حضرت عند معاوية وسمع مقالتها ألقمته حجراً وهي تعدد صفات علي عليه السلام وجور معاوية وأن أحسن الوفادة والمقال .. أنظر لقول أروى بنت الحارث[٣] وهي عجوز كبيرة كيف لم تأخذها في الحق

١- ابن طيفور ، ٥٨ .

٢- ابن عبد ربه الأندلسي، ص٨٧. وجاءت هكذا في ابن طيفور (أحب إلي من حبكم له في حياته).

٣- أروى بنت الحارث بن عبدالمطلب بن هاشم عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وإحدى فضليات النساء في الجاهليَّة والإسلام لها رأي راجح وشعر جيد توفيت حوالي سنة ٥١ هـ .

لومة لائم حين تقول لمعاوية : (لقد كفرت يد النعمة ، وأسأت لابن عمك الصحبة وتسميت بغير اسمك وأخذت غير حقك من غير دين كان منك ، ولا من آبائك ، ولا سابقة في الإسلام ، بعد ان كفرتم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتعس الله منكم الجدود وأضرع منكم الخدود ورد الحق إلى أهله ، ولو كره المشركون ، وكانت كلمتنا هي العليا ونبينا صلى الله عليه وآله وسلم هو المنصور ، فوليتم علينا من بعده ، تحتجون بقرابتكم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونحن أقرب إليه منكم وأولى بهذا الأمر فكنا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون ، وكان علي بن أبي طالب رحمة الله بعد نبينا صلى الله عليه وآله وسلم بمنزلة هارون من موسى، فغايتنا الجنة وغايتكم النار)[1] .. وبعد قول طويل فضخت فيه معاوية وصحبه وأمهاتهم، أجزل لها معاوية العطاء قال لها معرضاً بالإمام علي عليه السلام ، قال : لو كان علياً ما أمر لك بها . قالت : أنت تذكر علياً ؟ فض الله فاك (صدقت إن علياً أدى الأمانة وعمل بأمر الله وأخذ به وأنت ضيعت أمانتك وخنت الله في ماله فأعطيت مال الله من لا يستحقه وقد فرض الله في كتابه الحقوق لأهلها وبينها فلم تأخذ بها ودعانا (أي علي) إلى أخذ حقنا الذي فرض الله لنا فشغل بحربك عن وضع الأمور مواضعها وما سألتك من مالك شيئاً فتمنّ به إنما سألتك من حقنا ولا

١ – ابن عبد ربه الأندلسي ، ص ٩٦ .

نرى أخذ شيء غير حقنا أتذكر علياً فض الله فاك وأجهد بلاءك ثم علا بكاؤها[١] وقالت :

ألا يا عين ويحك أسعدينا ألا وابكي أمير المؤمنينا[٢]
علي خير من ركب المطايا وفارسها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال أو احتذاها ومن قرأ المثاني والمئينا
إذا استقبلت وجه أبي حسين رأيتُ البدر راق الناظرينا
ولا والله لا أنسى علياً وحسن صلاته في الراكعينا[٣]
الا أبلغ معاوية بن حرب فلا قرت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا بخير الناس طراً أجمعينا ؟
لقد علمت قريش حيثُ كانت بأنك خَيرها حسباً ودينا

وما كان معاوية ليجهل موقعه عند المؤمنين ، وإن الإمام علي عليه السلام قد ملك قلوبهم ، لذا سأل عكرشة بنت الأطرش عندما سلمت عليه بالخلافة ، فقال لها : الآن يا عكرشة صرت عندك أمير المؤمنين ، قالت : نعم إذ إن لا عليّ حي .

١- ابن طيفور ، ص ٤٦ .

٢- ابن عبد ربه الأندلسي ، ص ٩٨ .

٣- هذا البيت ذكره ابن طيفور دون عبد ربه الأندلسي .

ولم يترك معاوية الفرصة حتى يذكر النسوة بمواقفهن في المعارك التي خاضها الإمام علي عليه السلام فيقول لها : ألست المتقلدة حمائل السيف بصفين، وأنت واقفة بين الصفين تقولين: (أيها الناس عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم .. إن معاوية دلف عليكم بعجم العرب غُلف القلوب ، لا يفقهون الإيمان ولا يدرون ما الحكمة دعاهم بالدنيا فأجابوه واستدعاهم إلى الباطل فلبوه.. هذه بدر الصغرى والعقبة الأخرى... فكأني أراك على عصاك هذه وقد انكفأ عليك العسكران ، يقولون: هذه عكرشة بنت الأطرش بن رواحة، فإن كدت لتقتلين أهل الشام لولا قدر الله)[1] .

إن معاوية كان يبحث عن الجواب لسؤاله الأبدي : لم أحب الناس عليـًا وأبغضوه ، لذا أخذ يسأل النسوة هذا السؤال واحدة تلو الأخرى ، فسودة بنت عمارة تقول له : أي والله ما مثلي من رغب عن الحق أو اعتذر بالكذب .. وتذكر كيف أن حب علي عليه السلام وأتباع الحق هو ما حملها على قول الحق فيه شعراً وكلامـًا في صفين فيجيبها : فوالله ما أرى عليك من أثر علي شيئـًا ، فبكت وأنشدت :

---

١ – ابن عبد ربة الأندلسي ، ص ٩٠ .

صلى الإله على جسم تضمنه قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلاً فصار بالحق والإيمان مقرونا[١]

قال لها : ومن ذاك ! قالت : علي بن أبي طالب عليه السلام . قال : وما صنع بك حتى صار عندك كذلك . فذكرت موقفه من والي جائر اقتص منه أبا الحسن عند التجائها إليه ..، أما الدارمية الحجونية ، فقد واجهها معاوية بالسؤال : بعثت إليك لأسألك علام أحببت عليـًا وأبغضتني ، ووالليته وعاديتني ؟ قالت : أو تعفيني يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا أعفيك . قالت : أما إذ أبيت ، فإني أحببت عليـًا على عدله في الرعية ، وقسمه بالسوية ، وأبغضتك على قتالك من هو أولى منك بالأمر وطلبك ما ليس لك بحق ، ووالليت عليـًا على ما عقد له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من الولاية وحبه المساكين وإعظامه لأهل الدين . وعاديتك على سفكك الدماء ، وجورك وشقك العصا ..)[٢] .

وهكذا تذهب في تعداد مناقب خليفة حق سابق واراه الثرى ومثالب سلطان جور ما خشيت في قول الصدق أمامه ولم تأخذها في قول الحق لومة لائم .. حتى ضج معاوية من صدق النساء وتمسكهن بولائهن وجرأتهن عليه فقال لعكرشة : (هيهات يا أهل العراق نبهكم علي بن أبي

١- ابن طيفور ، ص ٤٧ –٤٨ .

٢- ابن عبد ربه الأندلسي ، ص ٩١ .

طالب فلن تُطاقوا)[١] . أو قوله لسودة بنت عمارة : (هيهات ، لمظكم[٢] ابن أبي طالب الجرأة على السلطان ، فبطيئاً ما تفطمون ..)[٣] .

لقد كان علي عليه السلام في بلاغات النساء كما وصفته جروة بنت مرة بن غالب : (جاز والله في الشرف حداً لا يوصف وغاية لا تعرف ..)[٤] . أو كقول أم البراء بنت صفوان حين قتل عليه السلام : فقالت :

يا خير من ركب المطى ومن مشى فوق التراب لمحتف أو ناعل

حاشا النبي قد هددت قواءنا فالحق أصبح خاضعاً للباطل

فقال معاوية : قاتلك الله يا بنت صفوان ما تركت لقائل[٥] .

وهو عند المؤمنات كما قالت أم سنان بنت خيثمة بن خرشة :

هذا علي كالهلال يحفه وسط السماء من الكواكب أسعد

خير الخلائق وابن عم محمد إن يهدكم بالنور منه تهتدوا[٦]

---

١ – ابن عبد ربه الأندلسي ، ص ٩١.

٢ – لمظكم : ذوقكم وعلمكم .

٣ – ابن عبد ربه الأندلسي ، ص ٨٥ .

٤ – ابن طيفور ، ص ١٠٩ .

٥ – المصدر نفسه ، ص ١١١ .

٦ – ابن عبد ربه الأندلسي ، ص ٨٨ . وجاء العجز عند ابن طيفور ، ص ٩٢ هكذا (وكفى بذاك لمن شناه تهدد) .

إن خطب النساء وبلاغاتهن لعبت دوراً إعلامياً متميزاً في عهد الإمام علي عليه السلام وما بعده من عهود ، وأدت رسالتها في ترسيخ المفاهيم الإسلاميَّة التي أقامتها دولة أبي الحسن عليه السلام ، وبينت مزايا ولاية الإمام ونقائص ولاية معاوية ، كما وثقت لأحداث ووقائع ذاك العهد وما ألقي فيها من شعر وأقوال ، وأرخت لها ، وحفظتها من الاندثار وجعلت الألسن تتناقلها شفاهاً لصدقها وحرارة إيمانها ومبدئيتها .

الخاتمة

كان الإمام علي عليه السلام أباً رحوماً للأمة وللمسلمين ، متبعاً لنهج السماء ونبيه الكريم ، وحاشى لله أن يظلم الأب عياله المساكين ، وهن القوارير اللواتي أوصى بالرفق بهن سيد الأنام، وكن عنده أحد الأضعفين.

فعلي بن أبي طالب عليه السلام ابن الفواطم الطواهر أرسى أمثولة حية لإعزاز النساء وحفظ كرامتهن وإن جرن عليه أو تعدين ، وكان سيداً للأوصياء ، وسيداً للأتقياء ، وسيداً على قلوب كل النساء ..

فزوج الزهراء البتول عليها السلام ، كان كفوءاً لها ، يوم اقترن بها زوجاً عظيماً أظهر لها كامل محبته وتفانيه حية كانت أم ميتة ، فأم الحسن عنده هي خلاصة نساء العالمين ، بل هي سيدة النساء أجمعين رافقها في المسير من المهد إلى اللحد ، بعلو الاعتزاز والتقدير ، بضعة النبي ، وابنة العم ، وأم الحسن والحسين .

ملأ قلب الوصي العذر للمرأة إن أخطأت وإن أصابت وعامل المخطئة بالحسنى حتى الرمق الأخير ، كان فوزه مبين بذكر النساء له حيناً بعد حين ، في بلاغات جاوزت جدران مجلس عدوه العتيد ، وأشرقت بنور الولاية والولاء للولي ، فما كان غيره في الضمير .. أمير المؤمنين .

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم .

٢- ابن أبي الحديد المعتزلي ، شرح نهج البلاغة ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة طريق المعرفة ، دار الكتاب العربي ، النجف – بغداد ، ط١ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

٣- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار التوفيقية للطباعة، القاهرة -مصر.

٤- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، تقديم إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

٥- أبو حيدر عبدالزهرة الخزاعي ، الإمامة عقيدة قرآنية ، العارف للمطبوعات ، ط١ ، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .

٦- أبو فرج علي بن الحسين بن محمد الأصفهاني (٣٥٦هـ) ، مقاتل الطالبيين ، تحقيق: أحمد صفر ، قم – انتشارات الشريف الرضي ، ط١ ، ١٤٠٥هـ .

٧- أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور ، (المولود ببغداد سنة ٢٠٤ والمتوفى سنة ٢٨٠ هجرية) ، كتاب بلاغات النساء ، طبعة مصر ١٣٢٦هـ/ ١٩٠٨م .

٨- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ) ، البيان والتبيين ، تحقيق وشرح: عبدالسلام محمد هارون ، مكتبة المثنى ببغداد ومكتبة الخانجي بمصر ، ط٢ / ١٩٦٠ .

٩- أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي ، حققه وشرحه وعرف أعلامه / محمد التونجي ، دار صادر ، بيروت – لبنان .

١٠ - الشيخ المفيد ، الإرشاد ، منشورات المطبعة الحيدرية ومكتبتها في النجف الأشرف ، ١٩٦٢م – ١٣٨١هـ .

١١ - المجلسي / محمد باقر بن محمد تقي – ١١١٠هـ) ، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام ، دار الكتب الإسلاميَّة .

١٢ - الموفق بن أحمد اخوارزمي (٥٦٨هـ) ، المناقب – ١ ، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين .

١٣ - جعفر السبحاني ، الحجة الغراء على شهادة الزهراء عليها السلام ، بحث موجز سلط الضوء على الأخبار المتضافرة التي تتحدث عما لحق بها بعد رحيل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ، نشر مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام ، ط٢ ، المطبعة اعتماد ، قم – إيران .

١٤ - جواد جعفر الخليلي، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، الإرشاد للطباعة والنشر ، دار الهدى ، ط٢ ، بيروت – لبنان ، ١٤٥٢هـ – ٢٠٠١م .

١٥ – جورج جرداق ، الإمام علي صوت العدالة الإنسانيَّة ، اختصره وحققه حسن حميد السنيد ، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ، ط١ ، ١٤٢٤هـ ، ط٢ ١٤٢٦هـ ق . مطبعة ليلى .

١٦ – حسن السعيد ، المرأة المسلمة – هموم وتحديات ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

١٧ – حسن السعيد ، سيكولوجية الإشاعة / رؤية قرآنية ، دار دجلة ، ط١ ، ٢٠١١ ، عمان – المملكة الأردنية الهاشمية .

١٨ – رجب البرسي الحلي ، مشارق أنوار اليقين في حقائق وأسرار أمير المؤمنين عليه السلام ، تحقيق: جمال المازندراني ، دار القارئ للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م .

١٩ – زين الدين محمد علي بن شهرآشوب ، مناقب آل أبي طالب ، انتشارات ذوي القربى ، تحقيق: يوسف البقاعي ، ط٣ ، ١٤٢٩هـ ق ، ١٣٨٧ هـ ش ، المطبعة سليمان نزادة ، قم – طهران .

٢٠ – سبط ابن الجوزي ، يوسف بن قزغلي البغدادي (٥٨١ – ٦٥٤هـ) ، تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة ، تحقيق: حسين تقي زادة ، مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام ، ط١ ، ١٤٢٦هـ ، مطبعة : ليلى .

٢١ – سعيد أبو معاش، فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في القرآن الكريم ، دار المودة ، مطبعة اعتماد ، ط١ .

٢٢ – صبحي الصالح ، نهج البلاغة ، أنوار الهدى ، ط٤ ، مطبعة وفا، ١٤٣١هـ .

٢٣ – طه حسين ، المجموعة الكاملة لمؤلفاته ، الخلفاء الراشدون ، دار الكتاب اللبناني ، ط١ ، بيروت – لبنان ، ١٩٧٣ .

٢٤ – عبدالحسين الأميني ، الغدير ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط عام ١٣٧٩هـ .

٢٥ – عبدالرحمن الشرقاوي ، علي إمام المتقين ، مؤسسة مدين للطباعة والنشر مطبعة برستش ، ط١ ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م .

٢٦ – عبدالفتاح عبدالمقصود ، في نور محمد – فاطمة الزهراء ، تحقيق: شوقي محمد ، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلاميَّة – المعاونية الثقافية ، مركز التحقيقات والدراسات العلمية ، ط١ ، ١٣٢٦هـ ق ، ٢٠٠٥م ، المطبعة خاتم ، إيران – طهران .

٢٧ – عبدالكريم العقيلي ، ظلامات فاطمة الزهراء في السنة والآراء ، ط١ ، ١٩٩٦م – ١٤١٧هـ ، بيروت – لبنان .

٢٨- عزيز السيد جاسم ، علي سلطة الحق ، تحقيق: وتعليق صادق جعفر الروازق ، منشورات الاجتهاد والعزيز للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، قم .

٢٩- علي الأحمدي الميانجي ، عقيل بن أبي طالب ، تحقيق ومراجعة: مجتبى فرحي ، دار الحديث للطباعة والنشر ، ط١ ، إيران – لبنان .

٣٠- علي بن محمد ابن الصباغ (ت ٨٥٥هـ) ، الفصول المهمة في معرفة الأئمة ، مطبعة العدل ، النجف الأشرف ، بدون تاريخ .

٣١- علي محمد دخيل ، فاطمة بنت أسد رضي الله عنها ، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام ، سلسلة أعلام النساء – ٢ ، بيروت – لبنان ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .

٣٢- علي محمد دخيل، فاطمة الزهراء عليها السلام ، مؤسسة أهل البيت عليهم السلام ، سلسلة أعلام النساء – ٣ ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .

٣٣- غادة الخرسا ، المراة عبر التاريخ ، بيروت لبنان .

٣٤- كاظم النقيب ، أئمتنا قادة وهداة ، مؤسسة الفكر الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢ ، لبنان – بيروت ، ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م ، مكتبة العلامة ابن فهد الحلي ، كربلاء المقدسة – العراق .

٣٥- كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني ، شرح نهج البلاغة ، من منشورات مؤسسة النصر ، ١٣٨٤هـ .

٣٦- محمد اليعقوبي ، انتصاراً لأم البنين – هل كان للخنساء أربع أولاد استشهدوا في معركة القادسية ؟ مركز الإمام المهدي للدراسات الإسلاميَّة ، النجف الأشرف ، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

٣٧- محمد باقر الحكيم ، الزهراء عليها السلام – أهداف – مواقف – نتائج، مؤسسة تراث الشهيد الحكيم ، مطبعة العترة الطاهرة ، ط١ ، النجف الأشرف ، ٢٠٠٦م .

٣٨- محمد بكر إسماعيل ، فقيه الأمة ومرجع الأئمة علي بن أبي طالب ، الناشر شهاب الدين ، المطبعة كلها ، قم –إيران ، ط١ ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

٣٩- محمد حسين الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م .

٤٠ - محمد جواد الطبسي ، حياة الصديقة فاطمة –دراسة وتحليل ، مؤسسة بوستان كتاب قم ، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي ، ط١ ، ١٤٢٣هـ ، ١٣٨١ ش ، قم .

٤١ – محمد جواد مغنية ، فضائل الإمام علي ، منشورات دار الهلال ودار الجواد للطباعة والنشر ، ط٢ ، ١٩٨١ ، بيروت .

٤٢ – الشيخ محمد جواد مغنية ، في ظلال نهج البلاغة – محاولة لفهم جديد ، دار العلم للملايين ، ط٣ ، بيروت – لبنان ، ١٩٧٩ .

٤٣ – مجموعة مؤلفين ، نبراس السياسة ومنهل التربية ، مؤسسة نهج البلاغة ، مطبعة سلمان الفارسي ، قم – إيران ، ١٤٠٤هـ .

٤٤ – محمد رضا عباس محمد الدباغ ، سيرة المرتضى بأسلوب قصصي ميسر ، شكوري ، مطبعة قلم ، ط١ ، ٢٠٠٥م ، إيران .

٤٥ – محمد عبده ، نهج البلاغة ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد – العراق ، ١٩٨٦ .

٤٦ – محمد علي الأنصاري ، أهل البيت عليهم السلام ، إمامتهم ، حياتهم ، قم : مجمع الفكر الإسلامي ، ط١ ، ذي الحجة الحرام ١٤٢٤هـ ق ، المطبعة شريعت – قم .

٤٧ – محسن باقر القزويني ، علي بن أبي طالب رجل المعارضة والدولة ، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، لنان ، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م .

٤٨ – مريم نور الدين فضل الله ، المرأة في الإسلام ، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٧٩م – ١٣٩٩هـ .

٤٩ – مهدي محبوبة ، ملامح من عبقرية الإمام ، تقديم وتمهيد : هاشم محمد الباججي ، إصدارات العتبة العلوية المقدسة قسم الشؤون الفكرية والثقافية ، المعارف للمطبوعات ، بيروت – لبنان ، العراق – النجف الأشرف ، ٢٠١١م .

٥٠ – موجز سيرة الرسول وأهل البيت عليهم السلام ، تأليف ونشر : لجنة التأليف – مؤسسة البلاغ ، ط١ ، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م ، المطبعة : صدر قم ، طهران ، الجمهورية الإسلاميَّة في إيران .

المحتويات

الموضوع	ص
الآية الكريمة	٥
الإهداء	٧
مقدمة المركز	٩
مدخل / الآن... يا بيان!؟	١١
الفصل الأول **علي و الفواطم**	١٩
أنا ابن الفواطم	٢١
حدقات النسوة تبارك الميلاد	٢٩
أول الفواطم.. أم محمد علي	٣٨
تذكر السير	٤٤
أم فاطمة... أم ثانية	٦٢
فاطمة الزهراء .. آغلى الفواطم	٧٩
الإضاءة الأولى: أن أبا طالب لم يقترن بغير فاطمة بنت اسد	٨٠
الإضاءة الأوخرى: ان الإمام عليا عندما اطل على الدنيا.	٨١
علي وأم البنين.. فاطمة أخرى	٨٤
الفصل الثاني **علي و الزهراء**	٩٥
قبل الزواج.. بعد الزواج	٩٧
قبل وفاة النبي ﷺ... بعد الوفاة	١٣٣

الموضوع	ص
الفصل الثالث **علـي و عائشـة**	١٦٣
علـي وعائشـة... والإفك	١٦٥
علـي وعائشـة... والخلافـة	١٨٠
علـي وعائشـة... والجمل	٢٠٠
الفصل الرابع **علـي و النسـاء**	٢٢٣
علـي والنسـاء في نهـج البلاغـة	٢٢٥
ما قاله الإمام علـي عليه السلام في المرأة	٢٣٠
حدّد الإمام علـي عليه السلام نقـص المرأة في ثلاث مجالات	٢٣٥
علـي في بلاغات النسـاء	٢٤٦
الخاتمـة	٢٧٥
المصـادر والمراجـع	٢٧٧
المحـتويات	٢٨٥

تم بحمد الله تعالى